الغلو والفرق الغالية

في الحضارة الاسلامية

تأليف

الدكتور عبد الله سلوم السامرائي

دار واسط للنشر

الغلو والفرق الغالية
في
الحضارة الاسلامية



الغلو والفرق الغالية

في الحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور عبد الله سلوم السامرائي

دار واسط للنشر

المقدمة

ان معركة الأمة العربية مع خصومها معركة قديمة امتدت على طول تاريخها ولازالت ، وقد زاد في هذه المعركة عمقا وسعة ، ان الأمة العربية كانت أمة الرسالات السماوية ، ومنها رسالة الاسلام التي جاءت للناس كافة .

لقد اشتدت المعركة مع الأمة العربية بظهور الاسلام ، وتعددت جوانبها ، وكثرت أطرافها واتسعت رقعتها ، فشملت الأمة العربية بجميع مقومات وجودها ، ولا زالت عنيفة مستمرة حتى يومنا هذا .

ان ظهور الاسلام كان ايذانا ببزوغ فجر جديد . وان قضية الاسلام كرسالة ليست مسألة عابرة أو مجرد أمر صدر من الله سبحانه وتعالى لتقوم هذه الأمة بحمل الرسالة والانتقال بها من مكان الى آخر ومن شعب الى شعوب أخرى .

ان مهمة حمل الرسالة وهداية الناس فيها ، تعبيرا عن قوله تعالى مخاطبا الامة العربية الجديدة « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، مهمة كبيرة ومعقدة ، وقد ازدادت هذه المهمة عمقا حيث ان هذه الرسالة في لغة معينة وفي أحكام جديدة تهدف الى تغير واقع الحياة تغيرا كليا .

ان مهمة كهذه تتطلب امة واعية تستطيع ان تستوعب ما في الرسالة وتستطيع ان تنتقل بها الى الآخرين وتحملهم على الاقتناع بها .

ان الرسالة بكل محتوياتها ، من أحكام ومواد قانونية تظل مجرد أحكام مسطرة على شكل حروف وكلمات موزعة هنا وهناك لا حياة فيها ولا تأثير

ما لم تتفاعل هذه الاحكام والمواد مع الانسان تفاعلا عميقا يكون العقل والوجدان ميدانه ، بحيث تنتهي عملية التفاعل اما الى الرفض واما الى القبول وعند ذلك تتحول تلك المواد والاحكام الى قوى فاعلة متحركة •

من هنا كانت عملية التفاعل بين الامة العربية وبين الاسلام عملية عميقة وشاملة انتهت الى أن معظم الامة العربية قبلتها بوعي وبدونه وكان المؤمنون بها عن وعي قوة هذه الحركة وعلامة وجودها ، فهم الذين تحركوا لحملها وحمايتها ونشرها ، فكان ان عاشت هذه الرسالة بهم وعاشوا بها ولها ، ومن هذا التعايش والتفاعل كان الوجود الجديد الذي تمثل في الانسان العربي المؤمن ، وتمثل في الدولة العربية ، كما تمثل في الحضارة العربية الاسلامية الجديدة •

وهكذا كانت العلاقة بين الامة العربية وبين الاسلام علاقة عضوية ، فالذات العربية كانت اطار هذه الرسالة ، والوجود الذي قامت عليه واستندت اليه ، فكان العرب مادة هذه الرسالة وكانت الرسالة ترجمة لهذه الذات وتعبيرا عنها بلغتها ، كما كانت تعبيرا عن أحكامها ، فقال سبحانه وتعالى « انا أنزلناه حكما عربيا » •

فكان التفاعل هذا قد تسبب في قيام علاقة جديدة بين الانسان وبين عقائده الاولى كما أحدث تغيرا في العلاقات بينه وبين ذاته وتغيرا في العلاقات بينه وبين واقعه ومجتمعه •

لقد تحرك الانسان المؤمن يحمل رسالة الاسلام يريد هداية الناس فالتقى بهم على طول وعرض ساحات واسعة فكان منهم من آمن عن وعي وقناعة وكان منهم من أسلم عن رغبة وطمع ، وكان منهم من أسلم عن رهبة وخوف ، وكان منهم من أسلم تسترا من أجل هدم الاسلام من الداخل ، وكان آخرون قد اعلنوا معارضتهم ورفضهم وصمموا على المحاربة والهدم •

لقد توزعت قوى المعارضة الى مواقف ثلاثة :

موقف توجه الى محاربة الامة العربية في أنسابها ولغتها وحضارتها وثقافتها وماضيها وحاضرها والى جميع مقوماتها وكافة مميزاتها وعمل بها

هدما وتخريبا وفضلت عليها سائر الامم وهذا النوع من المعارضة هو ما نسميه « بالشعوبية » •

لقد استعملت الشعوبية أسلحة مختلفة في محاربتها ، اعتمدت الشتيمة المباشرة والانتقاص السافر واستعملت التشويه والتزوير والتحريف ، وتوجهت الى الصور الحية الرائعة في حياة الامة العربية وعملت على تشويهها وطمس معالمها وأخذت من الصور السوداء وكبرتها وادعت بأن ليس للامة العربية الا هذه الصور • وتوجهت الى بقية الامم وفضلتها على الامة العربية في جميع النواحي • فكانت الشعوبية في معركتها هذه قد استثارت الامة العربية والمسلمين الصادقين في اسلامهم من غير العرب والمنصفين من الشعوب الاخرى من غير هؤلاء واولئك ، فكان رد الفعل عليها واسعا وقويا مما جعل معركتها خاسرة فعادت تجر أذيال الفشل والهزيمة •

وموقف توجه الى محاربة الاسلام محاربة علنية مباشرة فعمد الى هدم مبادىء الاسلام وتشويه أسسه واستعمل في معركته هذه العقائد القديمة والحجج العقلية والفكرة والقلم ولم ينس ان يستعمل السيف ، هذا الموقف هو ما نسميه « بالزندقة » •

الا أن هجوم الزندقة الصريح هذا كان قد أثار السلطة العربية والمسلمين فاندفع هؤلاء بوعي وعنف واستعملوا كل أساليب المواجهة لشل هذه الحركة، وابطال نشاطها وكانت النتيجة ان نكصت هذه الحركة على أعقابها وردت تجر خلفها كثيرا من أذيال الفشل والخذلان ، فوجد الخصوم ان أفضل اسلوب لمحاربة الاسلام هو محاربته من الداخل عن طريق التظاهر به والعمل تحت شعاره وفي ظل اسمه وهذا الاسلوب من المقاومة هو ما نسميه « بالغلو » •

فالغلو اذن اسلوب من أساليب مقاومة الاسلام يهدف الى هدمه وان هذا الاسلوب يعتبر من أخطر وأشد الاساليب فتكا ، لذلك وجد فيه الخصوم من شعوبيين وزنادقة وغيرهم ضالتهم للعمل به لتحقيق أغراضهم •

ان حركة الغلو استطاعت ان تواصل معركتها في حين انكشفت الاساليب الاخرى وتساقطت في الطريق قبل ان تحقق أي هدف من أهدافها •

لم يعلن الغلو تناقضه مع الاسلام ولا محاربته له ، انما كان يسير بخطى

موازية له ، وبخطى تعود اليه فتدخل فيه وتظل تعمل على هدمه ابان عملية الدخول هذه ، وقد تظهر أحيانا بمظاهر اسلامية تسترا واخفاء لمقاصدها ، لذلك استطاعت حركة الغلو عن هذا الطريق التستر على اصولها ومبادئها ووسائلها واغراضها واشخاصها فكانت عملية التستر هذه وسيلتهم البارعة لمواصلة عمليات الهدم والتخريب •

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، وانما اعتمد الغلاة المبادىء الاسلامية ذاتها مادة لعملهم فكان القرآن الكريم وكانت أحاديث الرسول وسنته ميادين لنشاطهم وتحركهم •

ان اخطر وسائل الحرب ولاسيما حرب المبادىء والعقائد تلك التي تحارب من داخل المبدأ وباسمه ، وكذلك كانت حركة الغلو أخطر حركة حاربت الاسلام واستطاعت ان تحقق كثيرا من أغراضها بهذه الوسيلة •

تلك كانت أطراف المعركة بين الاسلام وخصومه ، وتلك كانت دوافعها فهي معركة بين وجود حضاري متقدم يعتمد الانسان وسيلة وغاية ويريد أن تكون طاقة الانسان وقدراته من أجل حياة متقدمة وبين قوى أخرى نقيضة لها •

وهكذا كانت عملية الصراع بين جديد متحضر ، وبين قديم متخلف استمر وتطور واتخذ صورا وأساليب متعددة ، فكان هذا البحث محاولة من أجل تصوير هذه المعركة وتقديم نتائجها •

لقد وزعت هذه الدراسة على أربعة فصول :

تناولت في الفصل الاول منها أسباب ظهور حركة الغلو وقد وجدتها تعود الى سببين أساسيين أولهما الانسان وماضيه ومكوناته الفكرية والدينية التي كان عليها قبل ظهور الاسلام والتي التقى بها معه ، فكان هناك تفاعل بين هذا الانسان وبين الاسلام فكانت حالات قبول وكانت حالات رفض وهذه مجال بحثنا فكانت معتقدات الانسان ومقوماته الفكرية والدينية قد دفعت به الى عدم قبول العقيدة الجديدة والى مقاومتها ومعارضتها فكان الغلو اسلوبا نابعا من هذه المعارضة وتعبيرا عنها •

والسبب الثاني كان الاسلام باعتباره نظرية جديدة متكاملة ، فيه مواد تبحث في الحياة وفي ذات الله وفي الانسان وفي النبوة وفي علاقة الانسان بخالقه وعلاقته مع غيره وفيه مقومات أساسية ، كما ان فيه فرائض ومحرمات، كل هذه قدمت للانسان مادة تفاعل معها فكان اولئك الرافضون لها قد وجدوا في هذه المواد مادة للعمل بها فكان القرآن الكريم أساسا لهؤلاء وجدوا فيه آيات للمقاومة واخرى للتستر واخرى للتأويل فكان القرآن وسيلتهم للهجوم به كما كان وسيلتهم للهجوم عليه .

ولما كان الاسلام قد تطلب قيام سلطة تتولى أمره فان هذه السلطة والقائمين عليها وعلاقتهم بالقانون وتطبيقاتهم له كانت مادة اخرى عمل الغلاة بها واستعملوها للهجوم على الاسلام وسلطته عن طريق المطالبة بمفاهيم معينة للسلطة وواجباتها من خلال رأي الاسلام فيها ، فكانت مسألة السلطة وتطابقها مع النظرية عاملا تحرك الغلاة من خلاله ، كما وان حالة الانفصام بين السلطة والنظرية كان عاملا آخر لهذه الحركة .

وكانت الدولة في علاقتها مع الاسلام من خلال الحالة الاقتصادية وقوانينها مادة خصبة تحرك الغلاة باسمها ، فوجدوا في الزكاة وفي مسألة الغنائم وفي العشر والعطاء والجزية والخراج خير مادة عملوا بها وتحت مدلولاتها مطالبة ومعارضة وتفسيرا واحتجاجا ، وانصافا ومساواة ، فكان التشريع الاقتصادي مادة قوية استغلها الغلاة ونفذوا منها للظهور والتحرك المضاد .

وعن طريق علاقة الانسان بالاسلام ومكانته في ضوء نصوصه وجد الغلاة في هذه المسألة مادة غزيرة للعمل بها والنشاط خلفها ، فالانسان هو الوحدة الاساسية التي تمثلت فيها الحركة الجديدة فان اية عملية هدم له أو اسقاط تؤدي الى اسقاط ركن أساسي في البناء الجديد الذي قام بظهور الاسلام ، ولما كانت مكانة الانسان في الاسلام محددة وقد اختلف المسلمون في الاتفاق عليها فان هذا الاختلاف كان مادة عمل من خلالها الغلاة ، ولما وجد الغلاة ان في عملية دفع الانسان عن مكانته ما يكون دفعا للعقيدة عن حدودها كانت هذه القضية محورا تحرك الغلاة من خلاله أيضا .

وفي الفصل الثاني بحثت في معنى الغلو وبدايات ظهوره وتطوره •

ولما كانت حركة الغلو قد عملت في نطاق الاسلام وتحت ظله فقد استعرضت الفرق الاسلامية الرئيسة التي ظهرت متساوقة ومنسجمة مع الاسلام وهي الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل السنة والجماعة ، وحددت مبادىء هذه الفرق من أصول فقهها وعلاقة هذه المبادىء بالمبادىء الاسلامية الاساسية ، وتبين لنا ان تلك الفرق تلتقي مع بعضها في المبادىء الرئيسة وان ما بينها من اختلافات انما هي اختلافات في الفروع وليست في الاصول •

وقد اعتمدت معنى الاسلام والايمان الذي حدده الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليكون مقياسا نقيس به المواقف والآراء والاشخاص فنحكم لهم أو نحكم عليهم بموجبه •

وبعدها فصلت الفرق الغالية التي ظهرت في نطاق الشيعة وكانت فرقا كثيرة ، وتلك التي ظهرت في نطاق الخوارج وفي نطاق المعتزلة والمرجئة والسنة •

تعرضت لكل فرقة غالية بشيء من التفصيل فبينت رئيسها والمبادىء والآراء الغالية الخاصة بكل فرقة والاساليب التي اعتمدتها والغايات التي سعت اليها والمناطق التي عملت فيها والفترة الزمنية التي ظهرت خلالها ما استطعت الى ذلك سبيلا رجوعا الى المصادر الاصيلة في هذا المجال •

لقد تبين جليا ان هذه الفرق الغالية تعود الى اصول مشتركة وتعتمد أساليب تكاد تكون متشابهة ، وتهدف الى غايات واحدة ، وان عملية انتشارها على الفرق الاسلامية كلها كانت احدى الوسائل للتستر والتخفي والامعان في ذلك •

وتبين لنا ان الفرق الاسلامية كلها قد امتدت اليها الحركةالغالية وانهذه الفرق الاسلامية بريئة من آراء ومبادىء الفرق الغالية ولا يجوز ان تتحمل الفرق الاسلامية مسؤولية ذلك الغلو •

وعليه لم يبق هناك علاقة بين الفرق الاسلامية والفرق الغالية فلا يجوز

والحالة هذه ان يمتد الاتهام بالغلو والكفر والالحاد الى الفرق الاسلامية بحجة وجود اشخاص أو مواقف أو آراء غالية تعمل تحت اسم هذه الفرقة الاسلامية أو تلك .

ان أمثال تلك الاحكام والاتهامات كانت نتيجة الخلط بين الفرق الاسلامية وبين الفرق الغالية التي تحمل اسمها وتعمل تحت ظله وهذا حكم واتهام لا يجوز قبوله ، فليست هناك من علاقة مبدئية أو دينية بين الشيعة الامامية مثلا وبين الفرق الغالية التي عملت في نطاق الشيعة ، وليس هناك من علاقة بين الامامية والكيسانية أو بينها وبين السبأية أو البيانية ، كما وانه ليست هناك علاقة بين حركة الاعتزال وبين فرقة الخابطية التي تحمل هذا الاسم أيضا .

وبحثت في الفصل الثالث مبادىء الغلو فكانت خمسة مبادىء : الحلول والتناسخ والبداء والتشبيه والتأويل . وان هذه المبادىء كانت قد أمدت الغلاة بمادة أساسية للعمل في سبيل معارضة الاسلام ومقاومة مبادئه ، وقد كانت هذه المبادىء تشكل جانبا أساسيا من التكوين الفكري لحركة الغلو ، كما كان كل مبدأ بذاته وسيلة وغاية فكان كل مبدأ يكون عملية الغلو بشكلها المتحرك .

ولقد عرضت لكل مبدأ من هذه المبادىء مستهدفا معناه وبداياته التاريخية واستعمالاته القديمة ودخوله في الديانة الاسلامية واستعمالاته الجديدة وعلاقة كل مبدأ مع المبادىء الاخرى وارتباط بعض هذه المبادىء بآيات من القرآن فسرها هؤلاء حسب هواهم وبينت خطورة هذه المبادىء فكان هذا الفصل عرضا متكاملا لمبادىء الغلو وتحرك هذه المبادىء نحو أهدافها وبعبارة أدق كانت هذه المبادىء تؤلف ظاهرة الغلو بكل أبعادها ، فكانت الركيزة الفكرية لهذه الحركة ، كما كانت تحتوي أساليب عملها وكانت تفاعلها في ذات الانسان تؤلف قوة المقاومة والتحرك نحو أهداف هذه الحركة .

وتناولت في الفصل الرابع أساليب الغلاة وأهدافهم ورد الفعل عليهم .

فكانت مبادىء الغلو الخمسة ابرز تلك الوسائل ، فهي تؤلف في مجموعها الوسائل الاساسية لهذه الحركة .

آما بقيه الاساليب فقد وزعتها الى أسلوبين أساسيين : الاول التظاهر بالاسلام والثاني التنظيمات الخاصة بالحركة .

وقد عالجت في الاسلوب الاول وهو التظاهر بالاسلام : عمل الغلاة من خلال الفرق الاسلامية وانتشارهم عليها .

كما عالجت في ذات الموضوع عمل هؤلاء تحت ظاهرة التصوف وكيف استغلت هذه الظاهرة لمصلحة الغلو .

كما عالجت عملهم تحت ستار الولاء لآل البيت واستغلال عقيدة الشيعة استغلالا واسعا ووقفت عند استغلالهم لفكرة العصمة والتقية والرجعة استغلالا بعيدا عن مدلولاتها الاصلية .

وفي الاسلوب الثاني عالجت تنظيمات هذه الحركة ووقفت مليا عند سرية هذه الحركة وعمق وتعقيد هذه السرية .

كما وقفت عند عمليات اعداد الكوادر المنظمة الواعية ووسائل هذا الاعداد ومقومات نجاحه الى جانب وسائل كسب الانصار وتثقيفهم ودراسة طبائعهم ووضع الخطط المناسبة للسيطرة عليهم . وكانت هذه التنظيمات تختلف بين فرقة واخرى في الدقة والشمول ولكن بمجموع هذه الفرق تعتبر تلك التنظيمات من أبرع وأخطر التنظيمات في العمل السري الهادف .

وفي القسم الثاني من هذا الفصل حددت أهداف حركة الغلو في ثلاثة أهداف هي : هدم الاسلام ، واسقاط الدولة العربية ، وتعطيل الحضارة العربية وتشويهها . وقد كان هذا الفصل سجلا مختصرا للفصلين الثاني والثالث اللذين كانا بمجموعهما يشكلان خلاصة هذه الاهداف .

وفي القسم الثالث من هذا الفصل تناولت في البحث رد الفعل العربي الاسلامي على حركة الغلو الذي تمثل في موقف الفقهاء والمحدثين والكتاب والفلاسفة والمؤرخين واللغويين الذين كان لجهودهم دور أساسي في الرد على هذه الحركة .

ووقفت في هذا القسم أيضا عند حركة الاعتزال وقفـة طويلة حيث ان هذه الحركة كانت في أساس ظهورها وفي جملة نشاطها ردا واعيا على حركة الغـلو .

تلك كانت فصول هذه الرسالة عرضت لها بايجاز واطمع ان يجـد القارىء فيها صورة مصغرة لهذه الحركة الخطيرة وموقف العرب منها .

لقد أردت من هذه الدراسة تحديد معنى حركة الغلو وأسباب ظهـور هذه الحركة والمرور بمبادئها وأساليبها والوقوف عند غاياتها ، وكنت أرى انها تمثل اخطر حركة واجهت الامة العربية بعد ظهور الاسلام وقامت بينهـا وبين هذا الوجود الجديد صراعات طويلة عميقة واسعة امتدت الى أكثر مـن جانب من جوانب العقيدة واستعملت كل اساليب المقاومة والمعارضة .

لا أدعى انني وقفت عند هذه الحركة وقفة كاملة واعطيت جميع مـا يتصل بها ، ان هذا فوق طاقة أي انسان ، وفوق طاقة أي بحث ، انما أردت أن أشير الى ظاهرة أرى أنها تكون أساسا لتفسير كثير من ظواهر تاريخ أمتنا عبر حياتها الطويلة .

تلك كانت محاولة بذلت فيها جهودا مضنية فان أخطأت فيمـا توصلت اليه فأتمنى أن يكون لي أجر المجتهد ، وان أصبت فأتمنى أن أحظى بأجريه ، ولا أدعي ان هذا البحث قد بـلغ مداه انمـا هو محاولة متواضعة أتمنى أن تكون قد ألقت ضوءا كاشفا على هذه الحركة يكون نبراسا للآخرين ممن يريد التفصيل والعمق في هذه المسألة .

وبعد ـ يبقى هناك سؤال يفرض نفسه ويلح بالاجابة ، هل استطاعت حركة الغلو أن تحقق ما تريد ؟ ان الجواب على ذلك هو ما تحمله سطور هذه الرسالة ، وما يراه القارىء ويقرره ، فليس من مهمة الباحث ان يقرر مثل هذه النتائج بشكل قاطع ، انما عليه ان يترك للقارىء مجال الجواب وان كان لي أن أقول شيئا بهذا الصدد ، فاني أقول ان معركة تقوم بين الحضارة العربية الاسلامية وبين حركة الغلو ، تأخذ من حياة الامة عمرها منذ البعثة الى اليوم لابد ان يكون لها تأثيرها السلبي والايجابي ، فاذا كان تأثيرها الايجابي قـد

تمثل في مساهمة الحضارة العربية في خدمة الانسانية ، فان آثارها السلبية تبدو اليوم في حالة التمزق التي عليها الامة ، كما وتظهر في الآراء والزوائد المتطرفة التي تعيش متطفلة على الاسلام ، وتحاول ان تشوه صفاءه ورونقه .
ان هذه النتائج علامات بارزة على شدة هذه المعركة وآثارها السلبية التي لازالت باقية تعطل انطلاقة هذه الامة وتعرقل مسيرتها .

الفصل الاول

اسباب ظهور الغلو

الغلو : موقف مبالغ فيه يقفه انسان من قضية عامة أو خاصة بشكل متطرف يتجاوز حدود المألوف والمعقول .

والغلو على أنواع أبرزها أثنان :

الاول : غلو عام ساذج غير هادف يجيء نتيجة اندفاع عاطفي تفرضه حالات آنية طارئة تستثير أعجاب الانسان أو كراهيته فيندفع معبرا عن ذلك بآراء ومواقف متطرفة ، لا تتناسب وما يقتضيه الحال والمآل .

والاخر : هو الغلو الواعي الهادف الذي يجيء نتيجة ادراك ومعاناة فكرية عميقة في قضية دينية أو فكرية يعبر عنها بسلوك أو أقوال غالية تهدف الى أغراض معينة توضع لها وسائل خاصة بغية الوصول الى تلك الاغراض .

وهذا النوع من الغلو هو موضوع هذه الدراسة .

ان العوامل التي تتسبب في ظهور أية ظاهرة فكرية انما تعود ـ في الغالب ـ الى جملة أسباب تتداخل مع بعضها وتتعامل ضمن اطار واحد في عملية متفاعلة تكون فيها كل الاسباب قوى مؤثرة في احداث هذه الظاهرة .

لذلك فأن البحث في أسباب ظهور الغلو سيكون في العوامل التي تفاعلت مع بعضها وتسببت بشكل أو آخر في قيام هذه الظاهرة حيث لا يمكن بحث أسبابها بصورة حسابية يضع السبب ويضع النتيجة أمامه ، انما هو بحث في جملة أسباب داخل عملية تفاعل معقدة يدور تحركها في مجال يشمل كل الاسباب في تفاعلها مع بعضها ومع الانسان على ساحة عقله ووجدانه .

ولذلك فأن عرض أسباب هذه الظاهرة لا يقع متسلسلا أنما يكون بشكل دائري يصير فيه العامل سببا لنتيجة ما ـ وتكون هذه النتيجة سببا لنتائج أخرى ـ وهكذا تتداخل الاسباب والنتائج في عملية تفاعل مستمرة ٠

وان توزيع هذه الظاهرة الى أسباب وتتائج أنما هو في سبيل تبيان أهمية كل سبب وأثره المباشر في عملية التفاعل هذه ، ومن أجل تسهيل البحث وتوضيحه ٠

ولما كانت ظاهرة الغلو قد ظهرت في نطاق الاسلام فأن الاسلام كنظرية كان محور تلك الاسباب : معه تفاعلت ومع مبادئه تناقضت وفي اطاره تحركت واليه هدفت ٠

ولما كانت هذه الظاهرة ، ظاهرة فكرية دينية ، فأن الانسان هو السبب الرئيس في تحركها ، حيث كان لتكوينه الفكري والحضاري أثره المباشر في عملية الصراع والتفاعل هذه ٠

ولهذا فأن الاسباب الرئيسة في عملية التفاعل التي تسببت في ظهور الغلو هي الانسان والاسلام فهما يشكلان ركنى هذه العملية وطرفي تفاعلها ،

ويمكن توزيع عوامل التفاعل على الشكل الآتي :

الانسان قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره وتفاعلهما ٠ وتسهيلا للبحث توزع عملية التفاعل هذه الى :

١ ـ الانسان قبل ظهور الاسلام ٠

٢ ـ الاسلام وأثره في الانسان من خلال :

أ ـ القرآن الكريم ٠

ب ـ السلطة

ج ـ الحالة الاقتصادية

د ـ الانسان في الاسلام ٠

أولا ـ الانسان قبل ظهور الاسلام :

نريد بالانسان ذلك الذي كان يعيش في المنطقة العربية التي ظهر فيها الاسلام والانسان الذي كان في الساحات غير العربية التي امتد اليها الاسلام وأتصل بها وتفاعل مع سكانها .

الانسان الذي كان يدين بديانة خاصة ـ أياً كانت هذه الديانة ـ بحيث كانت تؤثر فيه وتطبع شخصيته بطابع خاص يميزه عن غيره من أصحاب الديانات الاخرى . كما سنبحث في الانسان الذي كانت لديه حضارة خاصة غير الحضارة التي تسبب الاسلام في وجودها ، والتي كانت تؤثر في تكوينه الفكري وفي تحديد شخصيته الخاصة والتي كانت تطبع أمته بخصائص معينة تميزها عن غيرها من الامم .

هذا الانسان الذي يمثل ديانة ما ، والذي يعتبر امتدادا حضاريا ، لحضارة ما ، حين اصطدم فيه الاسلام كان من نتيجة هذا التصادم تفاعل حاد وعميق بين ديانة قديمة وحضارة سابقة وبين ديانة وحضارة جديدتين ، فكان من نتائج هذا التفاعل بالنسبة الى الاسلام في ذات الانسان النتائج الآتية :

١ ـ اسلام وايمان عن وعي وقناعة .
٢ ـ اسلام من دون ايمان أما رهبة أو رغبة .
٣ ـ رفض ومعارضة للاسلام ومحاربة له .
٤ ـ اسلام ظاهر عن نية لهدمه من الداخل تحت ستار العمل به والتظاهر باسمه وشعائره .

وهذا النوع الاخير هو مجال بحثنا الذي سيدور حوله النقاش حيث أنه المجال الذي ظهرت فيه حركة الغلو وعملت في نطاقه بشكل مستمر .

والانسان الذي نبحث عنه في هذا الصدد يمكن تصنيفه في ضوء تكوينه اللغوي والحضاري الى نوعين :

أ ـ الانسان العربي قبل الاسلام .

ب ـ الانسان غير العربي .

أ ـ الانسان العربي قبل الاسلام :

ظهر الاسلام وكان الانسان العربي يدين بديانات عدة جمعها القرآن الكريم بقوله : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا أن الله يفصل بينهم يوم القيامة وان الله على كل شيء شهيد)[١]

واضح من هذه الآية الكريمة انه (كان في العرب يهود ونصارى وكان فيهم صابئة ومجوس ثم كان فيهم مشركون)[٢]

ويفصل ابو سعيد نشوان الديانات وتوزيعاتها على المناطق العربية وقبائلها فيقول : (الى جانب عبادة الاوثان كانت اليهودية في حمير وبني كنانة ، وكندة ، وكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة ، وكانت المجوسية في تميم ... وكانت الزندقة في قريش اخذوها من الحيرة)[٣]

ولا شك في أن هذه الديانات والعقائد التي سبقت ظهور الاسلام بعشرات السنين كانت قد تأصلت وتركزت في نفوس معتنقيها وعقولهم بحكم الوراثة ، والتلقين وتقادم الزمن والاخذ من السلف دون محاكمة وفي هؤلاء يقول سبحانه وتعالى : (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون)[٤]

ويوضح أبو العلاء المعري أثر التلقين والتنشئة في رسوخ العقيدة فيقول : (ويلقن الطفل الناشيء ما سمعه من الاكابر فيلبث معه في الدهر الغابر والذين يسكنون الصوامع والمتعبدون في الجوامع يأخذون ما هم عليه كنقل الخبر عن المخبر لا يميزون الصدق من الكذب لدى المعبّر فلو أن بعضهم ألفى الاسرة من المجوس لخرج مجوسيا ومن الصابئة لاصبح لهم قرينا سيّا)[٥] .

وحينما ينشأ الانسان على عقيدة ما ، منذ طفولته فأن هذه العقيدة تتمكن منه وتؤثر فيه ويمتد تأثيرها على قدراته الذهنية ، وتحولها بشكل

---

(١) آية ١٧ سورة الحج .
(٢) مصطفى عبدالرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٠١ـ١٠٢ .
(٣) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٣٦ .
(٤) آية ٢٣ سورة الزخرف .
(٥) بنت الشاطىء : الغفران ص ١٨٢ .

يجعلها تتأثر بتلك العقيدة بحيث تنظر الى الامور من خلالها وتصير العقيدة جزء أساسيا من مكونات عقل الانسان •

ويعلق ابن الجوزي عن أثر التقليد وفعل العقيدة في دفع الانسان الى التمسك بها والتعصب لها فيقول :

(دخل ابليس على هذه الامة في عقائدها من طريقين احدهما : التقليد للآباء والاسلاف •••• فأن ابليس زين للمقلدين ان الادلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم وقد ضل في هذه الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس وان اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم وكذلك أهل الجاهلية)(٦)

والتمسك بالعقيدة القديمة لا يخضع لمحاكمة منطقية أو عقلية ، فكثيرا ما تكون الديانة الجديدة فيها من المنطق والحلول الصائبة ما يؤكدهما العلم والعقل ومصلحة الانسان ، ومع ذلك فالانسان يرفض كل هذا ويتمسك بدياناته القديمة ، وفي هؤلاء قال سبحانه وتعالى مستنكرا تقليدهم الاعمى (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ••• قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون)(٧)

ويعلق الشاطبي على تقليد هؤلاء وتمسكهم بعقيدتهم الاولى قائلا : (اتباع ما كان عليه الآباء والاشياخ واشباه ذلك وهو التقليد المذموم)(٨)

هذه أهم الديانات التي كان يدين بها الانسان العربي وذاك هو أثرها العميق في ذاته •

وحينما جاء الاسلام كان تحديه للانسان العربي تحديا خاصا ، عنيفا عميقا ذلك لان (العرب انما يقاتلون على الاسلام لا تقبل منهم الجزية ولا يقبل منهم الا الاسلام)(٩) فكان على العربي الوثني أن يختار بين القتل وبين الاسلام فكانت النتيجة دخول أعداد كبيرة في الاسلام بدوافع شتى يعوزها الايمان والوعي وفي هؤلاء جاء قوله سبحانه وتعالى :

---

(٦) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٨٦ـ٨٧ •
(٧) آية ١٧ سورة الحج •
(٨) الشاطبي : الاعتصام ج٣/ص٢٦ •
(٩) ابو يوسف : الخراج ص٦٦ •

(قالت الاعراب آمنا قل لن تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم)[١٠]

ولذلك فأن تصادما عنيفا حصل بين الاسلام وبين الديانات الاخرى في ذات الانسان العربي ويوضح الدكتور علي سامي النشار صورة هذا التصادم ونتائجه بقوله :

(قابلت اليهودية الاسلام أول نشأته على حدود يثرب ، واشتبكت معه اشتباكات عقلية عنيفة ••• وبدأ الجدال بين الاسلام والمسيحية في هضبة الحبشة في حقيقة المسيح وفي الكلمة ••• ثم أتى وفد نصراني من نصارى نجران الى المدينة وجادل النبي ••• ثم وصل الاسلام الى الشام والعراق ومصر فبدأت المسيحية تنازعه نزاعا فكريا شديدا وهنا بدأ التفكير الفلسفي الحقيقي في الاسلام ••• والمذاهب الغنوصية قابلها الاسلام في جميع البلاد التي دخلها بلا استثناء قابلها فيما بين النهرين وفي العجم وقابلها في مصر في شكل يوناني وفي شكل الافلاطونية المحدثة ، وقد بدأ معول تلك المذاهب يهدم في بناء الاسلام منذ قوض عقائدها وطقوسها القديمة وكانت من أخطر المذاهب الهدامة التي جالدت الاسلام وحاربته بالسيف والقلم)[١١] •

وكان من نتيجة ذلك أن أعلن فريق من هؤلاء اسلامه وكان منذ البداية يضمر عداء مستحكما للدين الجديد محاولا أن يتخذ من اسلامه ستارا لغايات معادية لهذا الدين •

ب ـ الانسان غير العربي :

هو الذي أمتد اليه الاسلام واتصل به وتفاعل معه ، وكان على ديانات متعددة كاليهودية والمسيحية ، والوثنية وبخاصة المجوسية ، الى جانب حضارات متميزة كان لها الى جانب دياناتها الخاصة آثارها في ايجاد وجود متميز من الحضارة العربية الاسلامية •

---

(١٠) آية ١٤ سورة الحجرات •

(١١) الدكتور علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص١٣ـ١٥ •

والانسان غير العربي الذي تمثلت فيه هذه المميزات هو الانسان الفارسي على وجه الخصوص الى جانب أنسان آخر من أقوام عدة .. فقد تركزت الديانات المجوسية في المنطقة الايرانية وهذه كانت تمثلها الزرادشتية بشكل رسمي الى جانب ديانات أخرى ظهرت في هذه المنطقة وهي المرقونية والديصانية والمانوية والمزدكية ويجمعها كلها القول (ان النور والظلمة أزليان قديمان)[12] وأن العالم (مصنوع ومركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وانهما أزليان)[13] .

وهذه الديانات هي :

(١) **الزرادشتية :** نسبة الى زرادشت بن اسفيمان الذي ظهر أيام الملك بشتاسف وادعى النبوة ووضع أسس الديانة الزرادشتية[14] في كتاب الافستا الذي في يد المجوس[15] وامست الزرادشتية الديانة الرسمية أيام الساسانيين واستمرت حتى الفتح الاسلامي[16] .

والزرادشتية من الديانات الثنوية « اثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر ... ويسمون احدهما النور والثاني الظلمة »[17] .

وفي المجال الاجتماعي كان الزرادشتيون « يستحلون زواج الامهات وقالوا الابن احرى بتسكين شهوة امه واذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة »[18] ويؤيد بارتولد ما ذهب اليه ابن الجوزي بقوله ان الزرادشتية « اباحت زواج الاب من البنت والابن من الام والاخ من الاخت . »[19]

---

(١٢) و (١٣) الشهرستاني – الملل والنحل ص٦١٨ و ٦٢٠ (الطبعة الاوربية) .
(١٤) الطبرى ج١ ص٢٩٣ الطبعة الحسينية .
(١٥) انظر الاخبار الطوال ص٢٥ .
(١٦) كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص١٠٣ .
(١٧) الشهرستاني – الملل والنحل ج٢ ص٧٢–٧٣ (المطبعة الادبية . القاهرة ١٣٢٠ هـ) .
(١٨) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص٧٣ .
(١٩) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص٩٥ ط٣ (الترجمة العربية) .

(٢) المرقونية : تنسب الى مرقيون الذي وضع اسسها .[٢٠] وعقيدتها ثنوية كغيرها من الديانات الايرانية[٢١] ، وتختلف المرقونية عن الزرادشتية بوجود الكون الثالث فقد « زعمت ان الاصلين القديمين النور والظلمة وأن ههنا كونا ثالثا مزجها وخالفها »[٢٢] ويقول الشهرستاني « المرقونية اثبتوا أصلين قديمين متضادين احدهما النور والآخر الظلمة واثبتوا اصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج»[٢٣] وقالوا « وانما اثبتنا المعدل لان النور هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان وايضا فأن القديمين يتنافران طبعا ويتمانعان ذاتا ونفسا فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلا بد من معدل يكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيرفع المزاج معه»[٢٤] .

والعقيدة المرقونية متأثرة بالزرادشتية والمسيحية وذلك « لان مرقيون وابن ديصان سمعا كلام عيسى واخذا منه الى جانب اخذهما من الزرادشتية»[٢٥]

(٣) الديصانية : وهي تنسب الى ابن ديصان[٢٦] الذي وضع مبادئها وسمي بذلك لانه ولد على نهر يقال له ديصان واليه اضيفت الديصانية[٢٧] .

والديصانية من الديانات الثنوية ، فقد ادعى ابن ديصان « ان النور خالق الخير والظلمة خالقة الشر ... وان النور حي حساس والظلمة موات »[٢٨] الا أن ابن ديصان لم يوضح كيف ان الظلمة الموات خلقت الشر .

وذهب ابن ديصان الى ما ذهبت اليه المرقونية من وجود عالم ثالث فقال « ان الكونين النوري والظلامي قديمان ومعهما شيء قديم ثالث لم يزل

(٢٠) المسعودي : مروج الذهب ج١ ص٢٠٠ طبعة باريس سنة ١٨٦١م .
(٢١) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٨٩ (دار الصاوي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٣٨) .
(٢٢) ابن النديم : الفهرست ص٤٨٨ (مطبعة الاستقامة القاهرة بلا تاريخ) .
(٢٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٩٥-١٩٦ .
(٢٤) المصدر السابق ج١ ص١٩٥-١٩٦ .
(٢٥) البيروني : الآثار الباقية ص٢٠٧ .
(٢٦) ابن النديم : الفهرست ص٤٨٨ .
(٢٧) المسعودي : مروج الذهب ج١ ص٢٠٠ (طبعة باريس) .
(٢٨) المسعودي : التنبيه والاشراف ص٨٩ .

خلافهما وخارجا عن خارجهما وهو الذي حمل الكونين على المشـــابكة والامتزاج ولولا ذلك المعدل بينهما لما كان فيجوهرهما الاالتباين والتنافر»[٢٩] وعلى هذا فان الديصانية قالت بوجود ثلاثة عوالم ولم تحتج الى وضـــع تفسير لكيفية وجود العالم الثالث واعتبرت مهمته الفصل بين عالم النور وعالم الظلمة فقط •

وقد وضع ابن ديصان عدة مؤلفات منها « كتاب النور والظلمة وكتاب روحانية الحق ، وكتاب المتحرك والجماد وله كتب كثيرة »[٣٠] ، ولم نقـف على أي من هذه الكتب ولعلها فقدت ، ولاشك انها قد لعبت دورا في تثبيت العقيدة الثنوية • وابن ديصان أول من مهد لفكرة الحلول حيث انه « زعم •• ان نور الله قد حل قلبه »[٣١] •

(٤) المانوية : هي الديانة التي وضع أسسها « ماني بن فتق بن بابك بن ابى برزام »[٣٢] وهو « فارسي أظهر دين المنانية وزعم انه نبي »[٣٣] ، وكان ظهور ماني زمن الملك سابور ابن اردشير الذي تولى الملك[٣٤] سنة ٢٤٢ م •

ولقد تأثر ماني بالزرادشتية والمسيحية والديصانية فقد « أخذ من ابـن ديصان مذهبه وخالفه في المعـدل »[٣٥] ، ووضع دينـا بـين المجوسـية والنصرانية[٣٦] ، وادعى النبوة « وانه الفارقليط[٣٧] وانه خاتم النبيين »[٣٨] •

---

(٢٩) المقدسي : البدء والتاريخ ج١ ص١٤٢ ــ ١٤٣ (باعتناء كليمان هوار . باريس سنة ١٨٩٩م) •
(٣٠) الفهرست : ص٤٨٨ •
(٣١) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٠٧ــ٢٠٨ •
(٣٢) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٠ •
(٣٣) ابن البطريق : نظم الجوهر ص١١١ ، مطبعـة الاباء اليسـوعيين ، بيروت سنة ١٩٠٥ــ١٩٠٩ •
(٣٤) انظر ايران في عهد الساسانيين ص١٦٩ •
(٣٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص١٩٥ــ١٩٦ •
(٣٦) المصدر السابق : ج١ ص١٩٥ــ١٩٦ •
(٣٧) الفارقليط هو النبي الذى بشر به عيسى عليه السلام ، انظر الفهرسـت ص٤٧٢ •
(٣٨) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٠٧ــ٢٠٨ •

وركز ماني العقيدة الثنوية فأكد أن العالم مركب من اصلين قديمين احدهما نور والآخر ظلمة وانهما أزليان .. ولم يزالا قوتين حساستين سميعين بصيرين[39] ، ولم يذهب ماني الى ما ذهبت اليه المرقونية والديصانية من وجود عالم ثالث واكتفى بالقول « ان مبدأ العالم كونان احدهما نور والآخر ظلمة كل واحد منهما منفصل عن الآخر .. وذلك الكون النير مجاور للكون المظلم لا حاجز بينهما »[40] .

وثبت ماني في ديانته فكرة الحلول التي أخذها من الهند حين نُفِيَ اليها ، كما يقول البيروني[41] ، ومن المحتمل انه أخذها من ابن ديصان الذي ادعى أن نور الله قد حل في قلبه كما ذكرنا ، وكذلك قال ماني بالتناسخ فزعم « ان النفوس لا تموت وانها في الترديد منقلبة الى شبه كل صورة هي لابسة ودابة قبلت فيها »[42] ، وفرق ماني بين تناسخ أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلال ، ومن خلال هذه التفرقة نسف فكرة المعاد فقال « فأرواح الصديقين اذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح الى النور الذي فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم ، وأرواح أهل الضلال اذا فارقت الاجساد وارادت اللحوق بالنور الاعلى ردت منعكسة الى الاسفل »[43] .

لقد اضطهد الملوك الساسانيون المانوية اضطهادا شديدا ، فانه لما أظهر ماني ديانته في أيام الملك سابور طلبه فلم يظفر به[44] ، وعندما تولى هرمز بن سابور الملك ألقى القبض على ماني ... فقتله وعلق جسده على باب مدينة جنديسابور التي تعرف الى الآن ببوابة ماني[45] .

وبرغم هذا الاضطهاد استمرت المانوية وتحولت الى حركة سرية وبقيت

---

(٣٩) انظر الملل والنحل ج١ ص١٨٨ـ١٩٠ ، والفهرست ص٤٧٢ـ٤٧٣ .
(٤٠) الفهرست ص٤٧٢ـ٤٧٣ .
(٤١) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص٢٧ ، طبعة ليبزك سنة ١٩٢٥ .
(٤٢) المصدر السابق ، ص٢٧ .
(٤٣) البغدادي : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ص ١٦٢ .
(٤٤) الدينوري : الاخبار الطوال ص٤٩ .
(٤٥) المصدر السابق : ص٤٩ والآثار الباقية ص٢٠٧ـ٢٠٨ .

كذلك في الفترة الاسلامية واستطاعت استقطاب عدد كبير من الفرس وكان لها أثر بعيد في تنشيط الحركة العلمية ابان القرن السابع الميلادي (= القرن الاول الهجري) حيث دونت آداب المانوية باللغة الايرانية[٤٦] ، ولم يقتصر نشاط المانوية على جهة واحدة بل شمل جهات مختلفة من البلاد الايرانية حتى غدا له تأثير بعيد في أزدهار الحضارة الايرانية[٤٧] .

(٥) **المزدكية** : وضع اسسها مزدك الذي ظهر في أيام الملك قباذ[٤٨] بن فيروز وذلك في أواخر القرن الخامس الميلادي[٤٩] وهي من العقائد الثنوية « كقول كثير من المانوية في الكونين والاصلين »[٥٠] ، وتختلف المزدكية عن المانوية لانها اعتبرت « النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى »[٥١] وحرمت المزدكية كالمانوية أكل لحم الحيوان[٥٢] .

ولقد أحدثت المزدكية انقلابا عنيفا في النظام الاجتماعي الايراني وذلك لانها قالت « ان الله انما جعل الارزاق في الارض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي ... ودعت ... انه من كان عنده فضل من الاموال والنساء والامتعة فليس هو بأولى بها من غيره »[٥٣] ، وأضاف ابن النديم[٥٤] ان مزدك دعا الى « مشاركة في الحرم والاهل فلا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه » .

فقد أباح النساء لكل من شاء[٥٥] . والذي حدا بمزدك الى وضع هذه

---

(٤٦) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص٤٨ .
(٤٧) المصدر السابق : ص١٠٠ .
(٤٨) الطبري : ج٢ ص٨٨ « الطبعة الحسينية » ، والفهرست ص٤٩٣ .
(٤٩) كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص٣٢٠ .
(٥٠) Browne : Literary History of Persia, Vol. I, PP. 166-177
(٥١) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص٨٦ .
(٥٢) المصدر السابق : ج١ ص٨٦ .
(٥٣) الطبري : ج٢ ص٨٨ الطبعة الحسينية .
(٥٤) ابن النديم : الفهرست ص٤٩٣ .
(٥٥) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص٧٣ .

الآراء ما كان لاحظه من التباين بين الناس في الاموال والنساء والامتعة[٥٦] ، فدعا الى مساواة بدائية بأن « تكون النساء والاموال شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ . »[٥٧]

ولقد أخذ الملك قباذ بآراء مزدك وطبقها في السنوات العشر الاولى من ملكه[٥٨] ، ولاسيما ما يتعلق منها بالمشاركة في الاموال وكان يرمي من وراء ذلك الى تحطيم نفوذ رجال الدين والنبلاء[٥٩] ، ولم يعدل عن المزدكية الا بعد أن وقف على بطلان دعوة مزدك أثر مناقشة جرت بين مزدك والموبذ[٦٠] وفي ذلك يقول الفردوسي « فقال الموبذ لمزدك : أيها الرجل قد أتيت بدين جديد أبحت فيه النساء والأموال ويلزم في ذلك ألا يعرف الوالد ولده ولا الولد والده ... واذا استووا فمن يتعين للرياسة ويترشح للسياسة ؟ ! وأخذوا في المناظرة والمباحثة حتى انقطع مزدك فرجع قباذ عن دينه »[٦١] . وانتهت هذه المناظرة التي وقعت في سنة ٥٢٩ ميلادية بقتل عدد كبير من انصار المزدكية على يد الجند فتحولت المزدكية « الى جماعة سرية وعاشت على هذا النحو في أيام الدولة الساسانية ثم عادت الى الظهور من جديد في العصور الاسلامية »[٦٢] .

لقد وجدت الطبقة العامة في المزدكية متنفسا فانتشر اتباعها بين هذه الطبقة وبهذا الصدد يقول الطبري « فافترص السفلة ذلك واغتنموه وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم »[٦٣] وهذا يفسر الالتفاف الواسع للموالي حول

---

(٥٦) ايران في عهد الساسانيين ص٣٢٩ .
(٥٧) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص٨٦ .
(٥٨) الطبري : ج٢ ص٨٨ ، الطبعة الحسينية .
(٥٩) انظر ايران في عهد الساسانيين ص٣٣١ ، وبروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية (الترجمة العربية) ج١ ص١٠٩ .
(٦٠) الموبذ ــ وهو القاضي في الحضارة الساسانية .
(٦١) الفردوسي : الشاهنامه ، الترجمة العربية ج٢ ص١١٩ الطبعة الاولى مطبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة ١٣٥٠هـ ــ ١٩٣٢م .
(٦٢) ايران في عهد الساسانيين ص٣٤٥ــ٣٤٦ .
(٦٣) الطبري : ج٢ ص٨٨ الطبعة الحسينية .

الفرق الغالية التي قالت بالاباحية وفي هذا يقول فلهاوزن « ان شيوعية الزوجات التي كان قد دعا اليها مزدك أحيتها الخرمية والراوندية »[٦٤] .

ويتحدث الخوارزمي عن هذه الديانات الثنوية قائلا (ويدينون بدين زرادشت كدين للدولة وكان منهم من يظهر هذا الدين ويبطن المانوية أو المزدكية لان الزرادشتية دين الحاكم الذي بيده اضطهاد من ليس زرادشتيا سواء في نفسه أو في مصالحه)[٦٥] .

وكانت للديانة الزرادشتية طقوسها الخاصة بها وشعائرها التي ركزت العقيدة الثنوية وفي هذه الطقوس يقول كريستنسن (كانت لهم حكومة الارواح ، وكان التعليم الابتدائي والعالي بوجه عام في أيدي رجال الدين وهم يختصون وحدهم بجميع فروع علوم الزمان ، وقد كان هناك آداب دينية وفقهية ممتعة للغاية عدا الكتب المقدسة وشروحها)[٦٦] . ويضيف كريستنسن على هذه طقوسا أخرى فيقول :

(كان على الفرد أن يصلي للشمس أربع مرات أثناء النهار وعليه أن يصلي للقمر وللنار وللماء ، وعليه أن يرتل الادعية قبيل النوم وحين يصحو وأثناء الاستحمام والتمنطق بالحزم وأثناء الاكل وحين يذهب الى الضرورة، واذا عطس واذا حلق رأسه أو قلم أظافره وحين يضيء السراج وهكذا ونار البيت لا يجوز أن تخبو ولا يجوز أن تقع الشمس على النار)[٦٧] .

هذه الطقوس المتشددة وهذه التربية والاعداد المركز الدائم لابد انها قد أوجدت انسانا متمسكا بعقيدته بشكل عميق فأن مثل هذا التأكيد على شعائر خاصة وتعليمات محددة وتدريب يومي يولد عقيدة راسخة يمتد أثرها الى كل مكونات الانسان : عقله ، ووجدانه ، ونظرته ، وميوله ..

الى جانب هذا فان ظهور المانوية والتفاف مجموعة حولها ايمانا بها

---

(٦٤) فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ص٤٠٨ ، ترجمة يوسف العش . مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥٦م .
(٦٥) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص٢٠٦ .
(٦٦) كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص١٠٩-١١٠ .
(٦٧) المصدر السابق : ص١٠٨ .

بشكل معارض للزرادشتية ، مع مقاومة السلطة لها قد دفع اتباعها الى اتخاذ اساليب سرية في العمل والتنظيم ، وكذلك كان الامر بالنسبة للمزدكية • كل هذا مكن الانسان في هذه المنطقة من أن يكتسب تجارب عديدة في العمل السري المنظم وايجاد الوسائل المختلفة لمواجهة السلطة والتخلص من مراقبتها ومعاقبتها •

الى جانب الاثر الديني هذا فأن الحضارة الايرانية المتمثلة بسلطتها وآثارها المادية والمعنوية المختلفة خلقت شخصية ايرانية خاصة بها • كما وان انتصار العرب عليهم وانتصار الاسلام على دياناتهم ولد عندهم رد فعل عنيف كان وراء عملية المقاومة التي نبتت فيها حركة الغلو كأسلوب منظم وخطير في هذه المقاومة • وفي هذا الصدد يوضح ابن حزم رد الفعل وأسبابه لدى الفرس ، فيقول :

(والاصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام ان الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الاحرار والابناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الامم عند الفرس خطرا ، تعاظمهم الامر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى)[٦٨] •

ويوضح « فان فلوتن » ردود الفعل لدى هذا الانسان غير العربي وأثر العقائد القديمة في ذلك قائلا :

(وقد هيأ النفوس الى اعتناق الاسلام انتصار المسلمين بعد ان هزموا الكثير من العقائد القديمة ، على أنه سرعان ما ظهر أثر عكسي لهذا النجاح الذي احرزه المسلمون في نشر دينهم ، فقد عصفت في تلك الولايات التي فتحها العرب عاصفة من عواصف البغض للاسلام ولكل دين سماوي ••• ولما كان الاسلام يعاقب المرتدين عنه بالقتل لم يجرؤ أحد من هؤلاء على الارتداد عن هذا الدين جهارا ومن ثم ذهب هؤلاء يتلمسون سعادتهم الروحية بعيدا عن الاسلام وعقائده ، وقد وجدت العقائد البابلية القديمة والآرية

---

(٦٨) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٢ ص١١٥ •

وغيرها الطريق الى نفوس هؤلاء ، وهكذا نشأ من اختلاط هذه العقائد بالاسلام مذاهب جديدة طالما كانت تظهر فيها العقائد الاسلامية تغمرها الامواج المتلاطمة من الخرافات والبدع)[٦٩] .

والى جانب الفرس كان هناك الروم ـ بقايا الدولة البيزنطية ـ وكان رد الفعل عند هؤلاء وأولئك انما هو انعكاس للعقائد والديانات التي كانوا عليها قبل الاسلام ويعلق رونلدسن على جانب من هذا قائلا :

(وكان هذا النفوذ المتزايد للفرس والروم .. قد أدى الى اظهار تعاليم الزندقة من قبل اناس يخفون وراء ستار الاسلام أفكارهم الدينية ... وكانوا في بعض الاحيان لا يجدون داعيا للتخفي فينشرون آراءهم المانوية وغيرها مما هو ضد الفكرة الاسلامية)[٧٠] ومن صور التصادم والتفاعل الحاد بين العقائد القديمة والاسلام والذي كان الانسان ميدانا لتنازعها وتناقضها ما يذكره محمد جابر عبدالعال قائلا :

(اختلطت القبائل في الكوفة بالقرب من نهر الفرات وعلى حافة سهله الجنوبي العظيم ... والذي تعيش فيه جماعات تختلف في عقائدها وفي اصول اجناسها البشرية بعضها من أصول غير سامية توالت عليها حضارات وديانات ... فكان من ذلك مجتمع يموج بديانات وعقائد متباينة ويتميز بالتعصب العنصري وخاصة بين الساميين والاريين)[٧١] .

لقد كان رد الفعل هذا يتجلى في ذات الانسان ، فان هذا الانسان اندفع ليفتش عن أمثاله من المتذمرين الحانقين على الاسلام فوجد هناك اعدادا كبيرة منهم ، لذلك فان ردود الفعل الفردية التي ظهرت في بدء الدعوة الاسلامية وفي بدء انتصارات المسلمين تحولت الى ردود فعل جماعية منتظمة كان منها من اعلن تمرده ومحاربته للاسلام وسلطته ، وكان منها من انتظم في احزاب معارضة وفرق دينية متطرفة عمل فيها من أجل محاربة الاسلام فكريا ...

---

(٦٩) فان فلوتن ـ السيادة العربية والاسرائيليات ... الترجمة العربية ص٨٣ـ٨٦ .

(٧٠) رونلدسن ـ عقيدة الشيعة : ص١٦٣ الترجمة العربية .

(٧١) حركات الشيعة المتطرفين ص١٨ـ١٩ وانظر كذلك فتوح البلدان ، ص٢٨٩ .

ومن صور التمرد والمحاربة الجماعية ما يشير اليه ابن حزم في قوله :

(وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى وكان في قائمتهم ستفادة[٧٢] ، واستادسيس والمقنع وبابك وغيرهم ، وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب بخداش وأبو مسلم السراج رأوا أن كيده على الحيلة انجع فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله « ص » واستشناع ظلم علي « رضى » ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الاسلام)[٧٣] .

ويوضح الخوارزمي أثر التصادم بين العقائد الاولى والاسلام لدى هؤلاء وكيف كان تحركهم متظاهرين بالاسلام متسلحين بآراء نبعت من معتقداتهم القديمة وكانت تشكل في تحركها معارضة خطيرة للاسلام :

« ... وهكذا ظهرت فئات تقول مثلا بأن لابي مسلم الخراساني حظا في الامامة وادعوا حلول روح الله فيه ، وفئات أمها سنباذ واسحق واستادسيس والمقنع وبابك وكلها اتخذت من فكرة التشيع ستارا لبث آرائها ومعتقداتها القديمة التي كانت تبطنها أيام الدولة الساسانية وكلها اساءت الى التشيع بالمعنى الصحيح وحسبت عليه »[٧٤] .

ويضيف الشيخ محمد عبده الى رد الفعل الذي وقع للانسان الثنوى من الفرس خاصة وكذلك لدى الرومان قائلا :

(جاء الموالى من عجم الفرس والرومان ولبسوا الاسلام وحملوا اليه ما كان عندهم من شقاق ونفاق واحدثوا في الدين بدعة الجدل في العقائد وخالفوا الله ورسوله في النهى عن الخوض في القدر)[٧٥] .

لقد استمر النزاع بين الاسلام والعقائد السابقة مدة طويلة واتخذ النزاع اشكالا متعددة كان صراع الفكر امضاها سلاحا واكثرها خطرا

(٧٢) ستفادة : يبدو لنا انه سنباذ الذي خرج على الدولة العباسية متمردا .
(٧٣) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٢ : ص١١٥ .
(٧٤) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص٢٠٦ .
(٧٥) الاسلام : رسالة بقلم هانوتو ـ ورد الشيخ محمد عبده عليها ص٣٢ .

واشدها مواصلة على القتال ويشير الدكتور علي سامي النشار الى جانب من رد الفعل الفكري هذا قائلا :

(وقد قابل الاسلام الغنوص[٧٦] حين دخل البلاد التي فتحها الصحابة المؤمنون في بساطة وحماس غريبين فاغلق كثير من بيوتات النار ومعابد المانوية وغيرهما من مذاهب غنوصية تلك البيوتات التي كانت تنتشر في بلاد الاعاجم ••• ولكن الغنوص بقى كاملا بما له من طبيعة غامضة وقـوة على الشـخص فاذا ما هدأت الفتوح بعد قليل قام الغنوص بل قامت غنوصات متعـددة لتقويض عقائد الاسلام وكان أشدها مجاهدة ومعاناة للاسلام غنوص المذاهب الفارسية الثنوية وعلى الاخص المانوية ، وقد ظهرت هذه العقائـد في شكل طوائف دعيت أحيانا باسم الباطنية أو غلاة الشيعة أو القرامطة)[٧٧] •

هكذا كان تصادم الانسان مع الاسلام ، الانسان العربي والانسـان غير العربي كل حسب معتقدات معينة ، وكان تفكيره محددا بتلك المعتقدات ، كما كان للحضارة السابقة أثرها في هذا التكوين ، فحينما التقى الاسـلام بهذا الانسان ـ بكل مكوناته هذه ـ حصل التفاعل الذي كان من نتائجـه ظهور حالات متعددة كان منها حالة الرفض التي جرت معها صور المعارضة على شكل آراء غالية ومواقف متطرفة •

ثانيا ـ الاسـلام :

الاسلام دين الله الذي أوحى بتعاليمه في اصوله وشـرائعه الى النبي محمد « صلى الله عليه وسلم » وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم اليه[٧٨] •

وبمعنى آخر أنه النظرية الكاملة التي حددت علاقة الانسان بخالقـه

---

(٧٦) الغنوص : او الغنوصية : التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا ، واصبح يقصد بها المذاهب الشرقية كالزرادشتية والمانوية والمزدكيـة انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ـ للدكتور علي سامى النشـار ص ٤٤ـ٤٥ •

(٧٧) الدكتور علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص٤٤ـ٤٥ •

(٧٨) شلتوت ـ الاسلام عقيدة وشريعة ص٥ـ٦ •

وعلاقته مع نفسه ومع مجتمعه وأجابت الانسان عن السؤال الذي يطرحه وجوده في هذا الكون ، كما أجابت عن معالم الطريق ومسالكه في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة .

فالاسلام انما نزل من أجل الانسان : التقى به وتفاعل معه وكانت عملية التفاعل بين الانسان والاسلام بشكل مباشر وكانت نتيجة هذا التفاعل اما الموافقة واما الرفض ، ولسنا هنا في صدد البحث عن حالات الموافقة انما سيقتصر بحثنا على مواقف الرفض .

لقد كان الرفض نتيجة أسباب كثيرة كان لماضي الانسان الحضاري والديني والفكري الأثر المباشر فيها ، وبعبارة أوضح ان مكونات الانسان هذه كانت أقوى في عملية الصراع مع الاسلام ، وان الاسلام لم يستطع القضاء عليها ثم الحلول مكانها . ومن الملاحظ أن موقف المعارضة هذا قد ارتدى مظهرين : معارضة علنية صريحة قررت محاربة الاسلام علنا وبكل الوسائل ومعارضة خفية تظاهرت بالموافقة الشكلية على الاسلام وعملت ضمن دائرته فأفادت من كل ما جاءت به الديانة الجديدة من آراء ومجالات « كما سنجد ذلك في الفصل الثاني » ، ولما كان الاسلام قد تمثل بشكل رئيس في دستوره وهو القرآن الكريم وان هذا القرآن كان قانون السلطة التي قامت أثر ظهوره ، ولما كان الجانب الاقتصادي أبرز نواحي العلاقة بين الانسان وبين السلطة وقانونها فان هؤلاء المعارضين قد تحركوا من خلال القرآن وسلطته ومن خلال الاجراءات الاقتصادية ، معتمدين على نظرة الاسلام الى الانسان وقيمته فيه .

ولهذا فان تحرك هؤلاء وتفاعلهم مع الاسلام ومعارضتهم له سيتركز في المجالات الآتية :

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ السلطة .
٣ ـ الحالة الاقتصادية .
٤ ـ الانسان في الاسلام .

١ ـ القرآن الكريم :

القرآن كتاب الله ودستور الرسالة الاسلامية (أوحاه الى محمد الذي اصطفاه رسولا •• وكان القرآن بذلك عند من آمنوا به مصدرا لعقائد الدين ولأصول أحكامه وشرائعه)[٧٩] اذن القرآن هو المرجع الأول والرئيس الذي يحمل مبادىء الاسلام وأسس نظريته ومقوماتها و « ان الاسلام له شعبتان اساسيتان ••• هما العقيدة والشريعة »[٨٠] • وقد تذرع معظم معارضي الاسلام بآيات من القرآن لتبرير معارضتهم وفي اثبات محاولاتهم في الرفض ، وفي الدفاع عن مقولاتهم وآرائهم وقد أشار سبحانه وتعالى الى اعتماد هؤلاء على آيات من القرآن في قوله :

(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله)[٨١] •

فأهل الزيغ كان عملهم منذ البداية في نطاق الآيات تفسيرها وتأويلها بشكل يتناسب مع ميولهم وأغراضهم •

ولماكان القرآن (خاصاً وعاماً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً)[٨٢] فاننا وجدناه يخاصم (به المرجىء والقدري والزنديق)[٨٣] ويرى نللينو Nallino (ان المسائل الكلامية في القرنين الاول والثاني للهجرة نشأت كلها تقريبا عن اختلافات في تفسير عبارات وألفاظ وردت في القرآن)[٨٤] •

ومما لاشك فيه ان خير وسيلة للعمل في اطار الاسلام هي الاعتماد على

---

(٧٩) انظر : الاسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الشيخ شلتوت ص٢ •
(٨٠) المصدر السابق ص٤ •
(٨١) آية ٧ ـ سورة آل عمران •
(٨٢) الكليني : اصول الكافي ج٥ القسم الاول ص١٢١ تحقيق عبدالحسين المظفر النجف سنة ١٩٥٧ •
(٨٣) المصدر السابق ج٥ القسم الاول ص٩ـ١٠ •
(٨٤) عبدالرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص٢٠١ مطبعة الاعتماد القاهرة سنة ١٩٤٠ •

القرآن والبحث في آياته فأن أية حركة مضادة تريد أن تتحرك بشكل يضمن لها مواصلة المعاكسة عليها ان تعمل في هذا الاطار والا سقطت ولا تستطيع مواصلة تحركها المضاد هذا .

وقد أدرك ابن حزم هذه الحقيقة وأعلن قائلا (والله العظيم قسما برا ما أختلف اثنان قط فصاعدا في شيء من الدين الا في منصوص بين في القرآن والسنة فمن قائل ... هذا خصوص ومن قائل هذا منسوخ ومن قائل هذا تأويل)[٨٥] .

ومما يؤكد مجال الاختلاف على فهم القرآن المحاورة التي جرت بين عمر بن الخطاب « رضي » وابن عباس « رضي » والتي أكد فيها ابن عباس مجال الاختلاف في تفسير وفهم بعض آيات القرآن الكريم والتي تعطي جوابا لكيفية وقوع هذا الاختلاف وكيفية استغلاله من قبل الخصوم ... (خلا عمر « رضي » ذات يوم فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الامة ونبيها واحد فأرسل الى ابن عباس « رضي » فقال : كيف تختلف هذه الامة ونبيها واحد وقبلتها واحدة وكتابها واحد ... فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين انما أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما انزل وانه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيما نزل فيكون لهم رأي فاذا كان كذلك اختلفوا ... فيكون لكل قوم فيه رأي فاذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا)[٨٦] .

ولا شك في أن الاختلاف هو المجال الذي يتحرك فيه الخصوم ، واذا كان عمر بن الخطاب يشكو اختلاف المسلمين في أيامه ــ ولازالت السليقة العربية على سلامتها في فهم القرآن ولازال الايمان عميقا وصادقا ، ولازالت الحوادث قريبة ولازال شهودها أحياء ــ فكيف حال الفترات التالية التي ابتعدت فيها الحوادث زمانا ومكانا ، وأصاب السليقة العربية ما أصابها نتيجة الاختلاط مع أقوام كثيرة غير عربية ، وكيف سيكون فهم غير العرب لايات القرآن . لاشك في أن هذا كله كان مادة خصبة لتحرك الغلاة وكان ستارا وغطاء سار في ظله المغرضون لوضع آرائهم المتطرفة .

---

(٨٥) ابن حزم : الاحكام ج٧ ص١٢٧ـ١٢٨ .
(٨٦) الشاطبي : الاعتصام ج٣ ص٢٩ـ٣٠ .

ويوضح ابو سعيد نشوان مواقف هؤلاء العاملين باسم آيات القرآن باتجاه معاكس له قائلا : (وفي كل أهل مذهب ثقة يسندون اليه وعـالم يعتمدون عليه وكلهم يحتج بقول الله تعالى ويروى عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وقد كثر التدليس في الكتب والزيادة في الاخبار والتأويل لكتاب الله عز وجل على قدر الاهواء والمذاهب والآراء)[٨٧] ٠

لقد اجتهد المجتهدون في تفسير آيات القرآن وكان لاجتهاداتهم أهمية كبرى في توضيح وتبسيط أركان الشـريعة وفي تثبيت قواعـد العقيـدة والشرع الا أن الخصـوم ـ ومنهم الغلاة ـ لم يقفوا عند حدود التفسـير المنسجم مع النصوص والمؤيد لها ، انما ذهبوا الى استعمال التأويل واضفاء أحكام وآراء بعيدة كل البعد عن النص ومدلولاتـه ، فكان التـأويل[٨٨] الستار الكثيف الذي تحركوا في ركابه وكان ستارا مانعا لهم من الكشف فترة من الزمن ٠

ويعلق على ذلك عبد العال قائلا : (٠٠٠ أما المظهر الاخر فقد بدأ في تفسير آيات من القرآن الكريم تفسيرا يخرجها عن مدلولها اللغوي الى تأييد لعقيدة هي احياء لتعاليم اديان قديمة عاشت على أرض العراق وقد صاغوهـا صياغة خاصة فكانت من أخطر الحركات التي شاهدها القرن الثاني تحـارب الاسلام سافرة وتتحدى أسسه)[٨٩] ٠

٢ ـ السلطـة :

السلطة ضرورة لبقاء النظرية وديمومتها وفي هذا يقـول ابن تيميـة : (يجب ان يعرف ان ولاية الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين الا بها فان بني آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض ولابد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي « ص » اذا خرج ثلاثة في سـفر فليؤمروا عليهم أحدهم)[٩٠] ٠

---

(٨٧) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص٢٣٦ ٠
(٨٨) انظر : مبدأ التأويل في الفصل الثالث ٠
(٨٩) محمد جابر عبدالعال : حركات الشيعة المتطرفين ص٤٠ ٠
(٩٠) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص٧٧ ٠

والمقصود بالسلطة هنا القيادة المسؤولة عن تطبيق القانون والعمل به ، وقد أكد سبحانه على مسؤولية السلطة عن تطبيق القانون بقوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)[٩١] ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول في تحديد مهمات عماله (انما بعثت عمالي اليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ويقيموا بينكم دينكم)[٩٢] .

وبقدر ما تكون السلطة والنظرية متطابقتين يكون أثرهما ايجابيا في مصلحة الانسان وفي مصلحة السلطة والنظرية معا . وبقدر ما يكون التعارض بارزا بين السلطة والنظرية يجد الانسان المعارض مجالا لعمله ومعاداته . ان أية نظرية يراد لها ان تكون قانونا للناس لا بد لها من سلطة تتحمل مسؤولية نشرها وتطبيقها وحمايتها . أن دين الاسلام للناس كافة (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)[٩٣] (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)[٩٤] (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا)[٩٥] ويعلق ابن تيمية على ضرورة قيام السلطة بقوله :

(... واصلاح ما لا يقوم الدين الا به من أمر دنياهم وهو نوعان : قسم المال بين مستحقيه ، وعقوبات المعتدين فمن لم يعتد أصلح له دينه ودنياه)[٩٦] فعملية نشر هذه الرسالة للناس وتطبيق نصوصها يتطلب قيادة قادرة على تحمل اعباء هذه المهمة الكبيرة .

كان محمد «ص» نواة هذه القيادة والمسؤول الاول فيها ، وكان المسلمون القوى للمعاونة ، ولقد كانت قيادة محمد قيادة بارعة ، فعلى الرغم من أنه كان رسول الله وخاتم النبيين وكان الله في عونه ، الا أن رسالة يراد لها ان تصل الى كل مكان لهداية الناس كافة تحتاج الى قيادة تقوم على مبادىء وأسس تستطيع ان تواصل السير حتى بعد وفاته .

---

(٩١) آية ٢٥ سورة الحديد .
(٩٢) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص١١ .
(٩٣) آية ٢٨ سورة سبأ .
(٩٤) آية ١٠٧ سورة الانبياء .
(٩٥) آية ١٠٣ سورة الاعراف .
(٩٦) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص١١ .

فبعد ان اعلن محمد «ص» نبوته أعلن أنه بشر يتحمل مسؤولية كبيرة من الله سبحانه وتعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد)[97] وقال سبحانه وتعالى فيه (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى)[98] • تحمل محمد «ص» أعباء هذه الرسالة وهو مدرك كل أبعادها وان من واجبه ان ينشر هذه الدعوة وان عملية النشر تتطلب اقناع الناس بصحة الرسالة وبطلان ما هم عليه من معتقدات محرفة وخرافات باطلة وان عملية التغير هذه لا تتم الا عبر عملية متعددة الجوانب يقع خلالها اصطدام بين العقيدة الجديدة والعقائد القديمة المتأصلة في عقل ووجدان الانسان ، وان هذا التغير لا يتم الا بقناعة الفرد وارادته الذاتية يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[99] وان الله سبحانه أبلغ رسوله بأن عملية التغير لا تجيء بقرار ولا بأمر يصدر من السماء اذ أن تغييرا كهذا يلغى ارادة الانسان ووجوده وفي ذلك يقول سبحانه (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)[100] ويؤكد الشيخ محمود شتلوت ذلك قائلا (لا يحملهم عليها عن طريق الخوارق الحسية التي يدهش بها عقولهم ويلقي بهم في حظيرة الاعتقاد دون نظر وأختيار « ان نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » ••• والمعنى أنا لانشاء لأنا نريد منهم أيمانا عن تقبل واختيار)[101] •

وهكذا كانت دعوة محمد تعتمد على الاقناع والاختيار فكانت عناصر السلطة الجديدة على يقين بالنظرية ووعي بها لذلك كانت مواقف السلطة منسجمة مع النظرية انسجاما تاما ويعلق نيكلسون على هذه العلاقة قائلا (وبذلك أمست العلاقة بين السلطة والنظرية أو السياسة والدين لا يكاد ينفصل احدهما عن الآخر عند المسلمين)[102] •

---

(٩٧) آية ١١٠ سورة الكهف •

(٩٨) آية ١٠٩ سورة يوسف •

(٩٩) آية ١١ سورة الرعد •

(١٠٠) آية ١٠٠ سورة يونس •

(١٠١) الشيخ محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص١٤ •

(١٠٢) Nicholson, Literary History of the Arabs, p. 197

ويعلق جمال الدين الافغاني على التطابق بين المسلمين الدعاة وبين نظريتهم وأثر ذلك في تحركهم لنشر الرسالة قائلا : (الامة الاسلامية جاءتها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة ومكنت في نفوسهم تلك الصفات الفاضلة وشمل ذلك آحادهم فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على رؤوس الامم من جبال الالب الى جدار الصين في قرن واحد)(١٠٣) .

هذه النتائج كانت بسبب القيادة المتطابقة مواقفها مع النظرية والتي اعدها الرسول «ص» اعدادا خاصا فقد سلك الرسول في عملية الاعداد هذه السبل السليمة للوصول الى هذه النتائج .

أعتمد السرية في نشر الدعوة حقبة من الزمن فكان يتصل بشكل مباشر بالاشخاص الذين يرى فيهم القدرة والامكانية لتحمل أعباء هذه الرسالة .

وأكد على النوعية قبل الكمية وادرك ان المرحلة الاولى تتطلب نوعيات خاصة قادرة على المجابهة والتضحية بكل شيء ، لذلك لم يدخل في حظيرة الاسلام طوال وجوده في مكة مدة ثلاثة عشر عاما الا اعداد قليلة ضمانا للنوعية الممتازة ، وقد اخضع هذه النخبة الى تجارب عملية في الصمود والتضحية من أجل المبدأ ، فكانت الهجرة الى الحبشة مرتين على بعد المسافة ومشقة السفر ، والهجرة الى المدينة وترك الاهل والمال كانت تجارب عملية لاختيار عمق العقيدة وصدقها في ذواتهم .

وهكذا تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقامة السلطة في المدينة حيث كان المهاجرون والانصار من الايمان والوعي والقدرة على تحمل المسؤولية الجديدة بشكل جعل السلطة والنظرية متطابقتين فتمكنت هذه السلطة من حمل أعباء الرسالة كاملة لنشرها وتطبيقها وحمايتها فكانت هذه السلطة كما عبر عنها أبن خلدون:(مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها وكانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا والآخرة)(١٠٤) ويضيف أبن خلدون الى أهمية هذه السلطة وارتباطها بالنبوة ... (فما لم يكن الحاكم الوازع أفضى ذلك الى الهرج

---

(١٠٣) الافغاني : الرد على الدهريين : ص٧٦ (الترجمة العربية) .
(١٠٤) ابن خلدون : المقدمة ص١٩٠ .

المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى هو الذي لحظه الحكماء من وجوب النبوءات في البشر)[١٠٥] •

وهكذا كانت السلطة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم متطابقة فيها السياسة مع الدين تطابقا كليا وكانت حياة الرسول (ص) تطبيقا كاملا للنظرية الاسلامية فكان أثر هذا التطابق بين السلطة والنظرية ان أسقط من يد الخصوم أيجاد الثغرة التي ينفذون منها لزرع أقوالهم ومواقفهم المتطرفة •

وبعد وفاة الرسول محمد (ص) مباشرة وقع اختلاف بين المسلمين بشأن المسؤولية الجديدة وبهذا الشأن يقول الاشعري : (وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم (ص) اختلافهم في الامامة وذلك ان رسول الله (ص) لما قبضه الله عز وجل ونقله الى جنته ودار كرامته اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة الرسول (ص) وأرادوا عقد الامامة لسعد بن عبادة وبلغ ذلك أبا بكر وعمر « رضوان الله عليهما » فقصدا نحو مجتمع الانصار في رجال من المهاجرين فاعلمهم أبو بكر أن الامامة لا تكون الا في قريش واحتج عليهم بقول النبي « صلى الله عليه وسلم » : (الامامة في قريش) [١٠٦] •

كان هذا الاختلاف قد شمل المهاجرين والانصار وقد امتد هذا الاختلاف وانعكس أثره في المراحل التي تلت حتى أن معظم الفرق الغالية استغلت موضوع الامامة والاختلاف فيه وتحركت من خلاله وفي هذا يقول ابو سعيد نشوان : (واعلم أن أول اختلاف جرى بين الامة بعد نبيها «ص» أختلافهم في الامامة يوم سقيفة بنى ساعدة ••• فجرى هذا الاختلاف في الامامة بين الامة الى يومنا هذا فمن الناس من يقول الامامة في قريش خاصة ومنهم من يقول هي في جميع الناس)[١٠٧] •

وفي ظل هذا الاختلاف ترعرعت حركة الغلو فقد وجد الغلاة في قضية الامامة مادة خصبة للعمل بها وتحت اسمها حتى ان الغلو اعتبر لدى البعض متعلقا بموضوع الامامة ومرتبطا بها جراء اضفاء صفات مبالغ فيها على الائمة

---

(١٠٥) المصدر السابق : ص١٩٢ •
(١٠٦) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١ ص٣٩-٤١ •
(١٠٧) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص٢١٢ •

فقد اعتبر الشهرستاني أن الغلاة (هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى اخرجوهم عن حدود الخليقية وحكموا فيهم بأحكام الالهية)[١٠٨] . هذا الغلو الذي عبر عنه الشهرستاني لم يقع في مطلع حياة الراشدين وانما جاء بعد ذلك بزمن ، ولكن مما لا شك فيه أن الاختلاف على الامامة كان البذرة الاولى لكثير من الاختلافات التي وقعت ، كما كان الركيزة لكثير من الحركات الغالية ولا سيما في الفترة الاموية .

والسبب في عدم قيام الخصوم بشكل حاد وظاهر في أيام الراشدين وبخاصة أيام أبي بكر وعمر هو أن الاتساق بين السلطة والنظرية كان جيدا حيث كانت الخلافة آنذاك (نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به)[١٠٩] وحاول الراشدون أن يؤكدوا أن مهمة الخلافة (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية ... فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)[١١٠] .

لقد اصبحت الدولة موضوع بحثنا تعني الخلافة وتتركز هذه في شخص الخليفة أولا فعلى قدر تمسك الخليفة بالشرع « القانون » وسنة الرسول يكون منسجما مع النظرية ، وكلما ابتعد عن ذلك أو تناقض معها أحدث ثغرة استغلها المغرضون وتحركوا فيها لهدم السلطة وهدم النظرية .

السلطة ايام أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) :

كانت خلافة أبي بكر امتدادا منطقيا لسياسة الرسول «ص» وتطبيقا عمليا لها وبذلك يقول فيه ابن خلدون : (وارتضاه الناس للخلافة ... فقام بذلك أبو بكر ما شاء الله متبعا سنن صاحبه)[١١١] .

ويوضح ابن قيم الجوزية التطابق بين السلطة والقانون وعدم حدوث أي تصدع بينهما او تناقض أيام أبي بكر بقوله : (ولم يكن وقوع الاختلاف مطردا

---

(١٠٨) الشهرستاني : الملل والنحل ص٢٦٣ .
(١٠٩) ابن خلدون : المقدمة ص١٩١ .
(١١٠) المصدر السابق : ص١٩١ .
(١١١) ابن خلدون : المقدمة ص١٤٣ .

على سواء في عهود الخلفاء الراشدين ... وأما الصديق فصان الله خلافته عن الاختلاف المستقر في واحد من أحكام الدين)[112] .

السلطة أيام عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

وحينما تولى الأمر عمر بن الخطاب اتسعت الدولة وامتدت الى فارس ومصر وشملت أقواما شتى وديانات متعددة فاجتهد معتمدا القرآن الكريم والسنة ، وامتدت خلافته حقبة ليست بالقصيرة كان التطابق والانسجام فيها بين السلطة وقانونها يكاد يكون شاملا ، ويعلق على ذلك ابن قيم الجوزية قائلا : (واما خلافةعمر فتنازع الصحابة تنازعا يسيرا فيقليلمن المسائلجدا وأقر بعضهم بعضا على اجتهاده من غير ذم ولا طعن وترجع قلة الاختلاف في عهد عمر الى حزمه وحريته وحسن سياسته واعتماده الشورى)[113] .

السلطة ايام عثمان بن عفان (رضى الله عنه) :

في خلافة عثمان بن عفان لم ينقم الناس عليه الا (بعد ولايته بست سنين)[114] وكان في هذه المدة (أحب الى قريش منعمر لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم)[115] .

الا أن عثمان بعد السنوات الست الاولى من حكمه قد (توانى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته ، في الست الاواخر واعطاهم المال متأولا في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، وقال : (ان أبا بكر وعمر تركا في ذلك ما كان لهما وأني أخذته فقسمته في اقربائي فانكر عليه ذلك)[116] .

ويؤكد اليعقوبي في هذا المجال (وكان عثمان جوادا وصولا بالاموال وقدم أقاربه وذوي أرحامه)[117] .

---

(١١٢) ابن قيم الجوزية : اعلام الموقعين ج١ ص١٥ .
(١١٣) المصدر السابق : ج١ ص١٥ .
(١١٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٦٣ (طبعة النجف) .
(١١٥) الهيتمي : الصواعق المحرقة ص٦٩ .
(١١٦) الهيتمي : الصواعق المحرقة ص٦٩ .
(١١٧) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٦٢ .

ان تقريب عثمان لأقاربه ، وتوزيع المسؤوليات الهامة عليهم وتوزيع المال فيهم يعتبر خروجا على التطابق بين السلطة والقانون الذي أعطى للخصوم مادة للمعارضة واستغلال هذه الثغرة فنقم الناس على عثمان سواء أكانت هـذه النقمة عن حرص على الاسلام أم نقمة من أجل الهدم وكان الناقمون قـد استغلوا هذه السياسة فتداعوا من الاقاليم وزحفوا الى المدينة المنورة وحاصروا بيت الخليفة عثمان (أربعين يوما وقتل ... سنة خمس وثلاثين ... وكـان الذين تولوا قتله محمد بن أبي بكر ومحمد بن ابي حذيفة ... وعمرو بن الحمق وعبد الرحمن بن عديس البلوى وسودان بن مران)[١١٨] .

واصبح مقتل عثمان والاختلاف على سياسته مجالا واسعا لاختلافـات كبيرة عمل فيها وخلفها الغلاة ويشير الاشعري الى ذلك بقوله : (فصار مـا انكروه عليه أختلافا الى اليوم ثم قتل « رضوان الله عليه » وكانوا في قتلـه مختلفين ، فأما أهل السنة والاستقامة فانهم قالوا كان رضوان الله عليه مصيبا في أفعاله قتله قاتلوه ظلما وعدوانا ، وقال قائلون بخلاف ذلك وهذا اختلاف بين الناس الى اليوم)[١١٩] .

السلطة أيام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) :

لقد عمل الامام علي على التمسك بالنظرية تمسكا دقيقا واتباع سـنة الرسول اتباعا جيدا ، الا أن الفترة التي تولى فيها المسؤولية كانت تموج بكثير من الاختلافات والمنازعات الحادة وكان دم عثمان وقميصه ينتقل من مكان الى آخر يرفعه من يشاء لاغراض شتى . وكان للاختلافات الحادة التي أثارتهـا « الفتنة الكبرى » آثار بعيدة بين المسلمين ، فكانت وقعة الجمل وحرب صفين وخروج الخوارج من نتائج هذه الاختلافات التي استغلها الغلاة أوسع استغلال للعمل بها والتستر خلفها لوضع أقوالهم وآرائهم المتطرفة وفي هـذا يقول الاشعرى : (... ثم بويع علي بن أبي طالب « رضوان الله عليه » فاختلف

---

(١١٨) المصدر السابق : ج٢ ص١٦٥ .
(١١٩) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١ ص٤٧ـ٤٨ .

الناس في أمره فمن منكر لامامته ومن بين قاعد عنه ومن قائل بامامته معتقد لخلافته وهذا اختلاف بين الناس الى اليوم)[١٢٠] •

وهكذا تناثرت على ساحة السلطة أيام الراشدين صور متناثرة ومواقع مختلفة واختلافات شتى وتفاسير للموقف الواحد متضاربة ، هناك خليفة يقتل في بيته عن طريق نفير يشمل عدة أقاليم ويتقدم هؤلاء بزحفهم عبر مناطق عربية اسلامية فيصل الزحف الى المدينة ويحاصر بيت الخليفة اربعين يوما بدون مقاومة تذكر ، وهناك حروب بين المسلمين وهناك حكم بالكفر على هذا أو ذاك من الاطراف المتنازعة ، هذه كلها كانت المجال الخصيب الذي عمل فيه الغلاة ووضعوا بدايات غلوهم •

السلطة أيام الامويين والعباسيين :

أما عن السلطة أيام الامويين فقد قامت هذه السلطة وهي تحمل كل صور التناقض التي عمت الفترة الاخيرة من أيام الراشدين بما فيها مقتل الامام علي « رضى » وظهور الخوارج ظاهرة معارضة عنيفة تروم مقاتلة الخليفة واسقاط سلطته • واضاف الامويون الى ذلك أن جعلوا الخلافة وراثية فاهملوا مبدأ الشورى وبيعة المسلمين الخاصة والعامة على شكلها الذي كان أيام الراشدين كما أنهم في جملة سياستهم قد ابتعدوا عن النظرية الاسلامية ابتعادا يتباين في الدرجة بين خليفة وآخر وان محاولة عمر بن عبد العزيز لاعادة التطابق بين السلطة وقانونها كانت محاولة جيدة الا أنها جاءت متأخرة • هذا التباعد من جهة وتلك التناقضات التي وصلت الى الفترة الاموية من جهة أخرى كانت قد ولدت اختلافا وتنازعا بين المسلمين وجد فيه الغلاة ضالتهم فعملوا من خلال ذلك وعمقوا الاختلافات وزرعوا في كل جهة ما شاء لهم أن يزرعوا من بذور الغلو •

والأمر أيام العباسيين كان امتداداً لما كان أيام الامويين سوى أختلافات شكلية اقتضتها الظروف السياسية والتغييرات التي لازمت نشاط الدعوة العباسية وقيام دولتها ، وكان التباعد بين السلطة والنظرية يتراوح بين التناقض

---

(١٢٠) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١ ص٥٤ـ٥٥ •

والتقارب في كثير من المسائل وكان لهذه العلاقة غير المستقرة آثارها البعيدة في استمرار الاختلافات والتناقضات بين المسلمين التي وجد فيها الغلاة أرضا بذروا بذورهم الغالية فيها والتي عملوا على رعايتها حتى أزدهرت واينعت ثمارها الشهية بالنسبة لهم وثمارها المرة بالنسبة للدين الاسلامي وسلطته التي قامت عليه •

٣ ـ الحالة الاقتصادية وأثرها :

الحالة الاقتصادية مرتبطة ارتباطا مباشرا بالسلطة وقانونها ، فان من اولى مهمات القانون ان يضع المواد والاسس التي تعالج الوضع الاقتصادي ، والسلطة مسؤولة عن تطبيق تلك المواد وايجاد الوسائل الكفيلة بانجاحها ، وبقدر ما تستطيع القوانين وضع الحلول للحالة الاقتصادية بشكل يحقق حاجات الانسان ويكفل له المستوى اللائق بانسانيته ، وبقدر ما توفر السلطة الوسائل لتنفيذ ذلك ، تكون قد حققت المهمة الاساسية من واجباتها ، وبقدر ما تحقق الاجراءات الاقتصادية حاجات الفرد فأن علاقته بالسلطة تكون أيجابية والعكس صحيح حينما لا توفق السلطة الى تحقيق ذلك •

ويراد بالناحية الاقتصادية هنا مجموعة المواد التي عنيت موارد الدولة وطرق الحصول عليها ومجالات انفاقها وصولا الى اسعاد الفرد • وان العامل الاقتصادي في دفع الخصوم لإستغلال هذا العامل لتبرير تحركهم المضاد للسلطة وقانونها انما يقع عندما لا يكون القانون قادرا على رسم الطريق لمعالجة المشاكل الاقتصادية ، أو عندما لا تعمل السلطة على تطبيق المواد والوسائل المتعلقة بالجانب الاقتصادي بشكل يضمن النتائج الايجابية في تشريع تلك المواد •

ان الحالة الاقتصادية التي تدفع الانسان لان يتحرك بشكل معارض سواء كانت معارضة عدائية تهدف الى هدم السلطة ونظريتها او كانت معارضة من أجل الانصاف انما تقع في الحالات الاتية :ـ

١ ـ حينما تكون المواد القانونية المتعلقة بالناحية الاقتصادية موادا لا تحقق حلا لمشكلة الانسان الاقتصادية ، انما تسبب ظلما وتعسفا بالقياس الى

القوانين السابقة التي كانت مطبقة قبل القانون الجديد على نطاق المجموع في ضوء مقاييس علمية موضوعية تنسجم مع المرحلة موضوع البحث •

٢ ـ يقع رد الفعل حينما لا تطبق المواد القانونية المتعلقة بالنواحي الاقتصادية على الجميع ، سواء في فرض الضرائب على فريق واعفاء فريق آخر بدون تفسير أو تبرير قانوني • وفي حالة توجيه الانفاق والصرف على فريق واغراقه في البذخ وحرمان الآخرين •

٣ ـ ويقع رد الفعل على القانون ـ أو المواد المضافة اليه ـ حينما تكون هذه المواد أو المواد الاساسية تفرق بين مواطن وآخر بسبب العنصر والمذهب والمكانة الاجتماعية •

٤ ـ ويقع رد الفعل حينما تعمد السلطة الى اضافة مواد تبريرية او تفسيرية من أجل التجاوزات على القانون الاساسي في سبيل اضفاء صفة الشرعية على المغانم المكتسبة بدون مبرر قانوني •

وفي سبيل الوقوف على أثر العامل الاقتصادي في ظاهرة الغلو يجب وضع الامور على الوجه التالي :

يستوى في الاسلام بالنظر الى عقيدته وشريعته جميع بني الانسان وتطالب به جميع الاجناس والطوائف ، ودرجات القرب من الله تتبع درجات التقوى والاستقامة من الله سبحانه وتعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)[١٢١] فاذا كانت هذه نظرة الاسلام للانسان فنظرته الى الانسان المسلم انه متساو في الحقوق والواجبات بشكل دقيق وكامل •

ان الانسان غير المسلم في ظل الدولة الاسلامية له أن يناقش ويطالب بحقه باسم القانون الاسلامي ويطالب بانصافه في ضوء ما يقرره القانون له من حقوق •

ان المواد القانونية والتشريعات الاقتصادية التي وضعت في القانون العام الاسلامي لحل ومعالجة النواحي الاقتصادية يمكن حصرها في المجالات الاتية :

---

(١٢١) آية ١٣ سورة الحجرات •

١ ـ الزكاة	٢ ـ الغنائم	٣ ـ العشر
٤ ـ العطاء	٥ ـ الجزية	٦ ـ الخراج

والمجالات الاربعة الاول هي التي تتعلق بالمسلمين أما الخامسة والسادسة فتتعلقان بأهل الذمة في الدولة الاسلامية •

وفي ضوء المبادىء السابقة والمعايير التي ذكرناها سوف نتابع أثر كل من هذه المجالات في حل أو عدم حل مشكلة الانسان الاقتصادية وأثر ذلك في حركة الانسان الايجابية المتساوقة مع السلطة وقانونها أو حركته المعارضة ومدى مساهمة هذه المعارضة في ظهور حركة الغلو •

١ ـ الزكاة :

الزكاة (عبادة مالية ••• وهي واجبة على الغني فيما يفضل عن حاجته وحاجة من ينفق عليهم ••• بنسب معروفة عند المسلمين)[١٢٢] قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[١٢٣] ، وقال سبحانه (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)[١٢٤] •

لقد أكد الرسول (ص) ضرورة دفع الزكاة وجعل دفعها مقرونا بالقوة والسيف ، وفي هذا الصدد يقول أبو يوسف : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتابا في الصدقة فقرنه بسيفه أو قال بوصيته فلم يخرجه حتى قبض صلى الله عليه وسلم فعمل به أبو بكر حتى هلك ثم عمل به عمر قال فكان فيه ، في كل اربعين شاة الى مائة وعشرين فاذا زادت فشاتان الى مائتين فاذا زادت فثلاث شياه الى ثلاثمائة ••• الخ)[١٢٥] •

وقاتل أبو بكر الصديق (رضى) المرتدين الذين تمردوا واعلنوا رفضهم

---

(١٢٢) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص٨٤ •
(١٢٣) الآية ١٠٣ من سورة التوبة •
(١٢٤) الآيات ٢٤ و ٢٥ من سورة المعارج •
(١٢٥) أبو يوسف : الخراج ص٧٦ •

دفع الزكاة . ويبدو أن عمر بن الخطاب هو الآخر عمل بضوء ما عمله الرسول وأبو بكر .

ان سجلات الدولة الاسلامية والمعلومات المتوفرة بخصوص الزكاة ايام الراشدين والامويين والعباسيين لم تشر الى موارد الزكاة بشكل مفصل ولم نقف على مقادير هذه الضريبة السنوية ، كما لم نجد ادارة متخصصة لها ولا سجلات متعلقة بها كما لم نسمع شكوى من دافعيها ولا تذمر من جبايتها كما وان الابحاث والدراسات لم تبين أثر الزكاة في بناء اقتصاد الدولة بالرغم من تفاصيل الفقهاء في دراستها وتعيين مقاديرها والانواع التي تؤخذ منها والمجالات التي توزع فيها .

ويبدو أن الزكاة اعتبرت عبادة شخصية متعلق أمرها بين الانسان وخالقه ويظهر لنا أن السلطة ــ عدا سلطة الرسول الكريم (ص) وسلطة أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما ــ تتحمل مسؤولية أساسية في أهمال هذه الضريبة وعدم تهيئة الظروف والامكانات لتنفيذها ، وهذه المخالفة تعتبر من أبرز القواعد التي ابتعدت فيها السلطة في تطبيق مادة قانونية مهمة من القانون العام كان لها أبعد الاثر في الانسان المسلم وغير المسلم ، حيث أن عدم تنظيم ضريبة الزكاة وعدم توفر الظروف في جمعها تسبب في حرمان بيت المال من مصدر كبير من مصادر تكوينه ، مما دفع السلطة أن تؤكد على ضرائب أخرى كالجزية والخراج ، فكان أن قام رد فعل عنيف لدى هؤلاء الذين أدركوا انهم يتحملون القسط الاكبر من المسؤولية المالية مما دفعهم لاتخاذ مواقف معارضة والمشاركة في معظم الحركات التي ناوأت الاسلام ، كما دفعت فريقا آخر منهم الى الدخول في الاسلام تخلصا من دفع هذه الضرائب وكان منهم من عمل على استغلال هذا التظاهر بالاسلام لمقاومة الدين وسلطته وهؤلاء كانوا العوامل الاساسية المؤثرة في عملية المعارضة التي كان أبرز ظواهرها حركة الغلو .

٢ ـ الغنائم :

قسمت الغنائم على المقاتلين وفقا لقوله تعالى : (واعلموا أنَّمَا غنمتم من

شيء فأن لله خمسه وللرســــول ولذي القربى واليتامى والمســاكين وابـن السبيل)[١٢٦] .

وكانت الغنائم توزع بالشكل المقرر حسب هذه الآية فيأخذ الرســول خمس الغنائم لبيت المال من أجل نشر الدعوة وسد حاجات اليتامى والمساكين وابن السبيل ، وتوزع الاخماس الاربعة على المقاتلين .

وقد وقع أختلاف أساسي في موضوع الغنائم حيث أختلف على الارض هل تدخل ضمن الغنائم وتوزع على المجاهدين كما توزع بقية المواد أم أنها لا توزع ، فالرسول (ص) سبق أن (وقف بعض ما ظهر عليه من الارضين فلـم يقسمها ، وقد قسم بعض ما ظهر عليه)[١٢٧] .

ومن النقاش الذي جرى بين الخليفة عمر بن الخطاب (رضى) وبين عدد من الصحابة يبدو أن هذه المسألة كانت محل أختلاف واسع ، فقد طالبوه ان (أقسم الارضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر فأبىعمر ذلك عليهم)[١٢٨] وقد حاجج الصحابة عمر بن الخطاب من أجل أن يقسم أراضي الفتح على المقاتلين وألحوا في ذلك (فأكثروا على عمر « رضى الله تعالى عنه » وقالوا أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولابناء القوم ولابناء أبنائهم ولم يحضروا فكان عمر (رضى) لا يزيد على أن يقول هذا رأي ، قالوا فاستشر ... فاستشار المهاجرين الاولين فاختلفوا فقال عبد الرحمن بن عوف (رضى) فكان رأيه ان تقسم حقوقهم ، ورأى عثمان وعلي وطلحة وابن عمر « رضى الله عنهم » رأي عمر ، فأرسل الى عشرة من الانصار خمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم ... فقالوا جميعا الرأي رأيك فنعم ما قلت وما رأيت)[١٢٩] .

وعلى أثر ذلك قرر عمر أبقاء الارضين بيد أصحابها وكتب في ذلك الى ولاته وقادته (فاذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليه به الى العسكر

---

(١٢٦) آية ٤١ سورة الانفال .
(١٢٧) يحيى بن آدم : الخراج ص١٩ .
(١٢٨) أبو يوسف : الخراج ص٢٤ .
(١٢٩) المصدر السابق : ص٢٥ .

من كراع ومال فاقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الارضين والانهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء)[١٣٠] •

ولا شك في أن قرار عمر بن الخطاب هذا كان صائبا وان المرحلة التي أتخذ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم قراره في تقسيم بعض ما ظهر عليه يختلف عن الظروف التي استجدت أيام عمر كما أن مساحة الارض موضوعة بحثنا أوسع بكثير من تلك التي قسمها الرسول (ص) •

وكانت مسوغات عمر بن الخطاب ودوافعه التي أعتمد عليها لاتخاذ قراره هذا يمكن جمعها في النقاط الاتية :

١ ــ من أجل أن يجعل الارض ملكا للدولة وليس للاشخاص وهذا القرار يعتبر من أقدم القرارات « الاشتراكية » حيث أن الاشتراكية من أول أسسها ان تمتلك الدولة مصادر الانتاج •

٢ ــ ان توزيع الارضين على المقاتلين سوف يخلق « طبقة جديدة » أقطاعية مستغلة وطبقة أخرى فلاحية تعمل لمصلحة الطبقة الاولى وفي ذلك ظلم أجتماعي وتأكيد جديد على الاقطاعية •

٣ ــ ان هدف عمر أن يكون للمسلمين كل المسلمين حصة في أموال الدولة لا سيما وان عدد المسلمين في تزايد وكان عليه أن ينظر الى ما ستصير عليه الدولة في مستقبل أيامها لكي يكون للاجيال القادمة حصة ويكون في وسعهم العيش بأمان ، وقد استشهد عمر في هذا بقوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)[١٣١] •

٤ ــ ولم ينس عمر ان الرسول (ص) سبق له أن وقف بعض الارضين فلم يقسمها فاعتمد على سابقة اتخذها الرسول وهو المسؤول الاول عن الشريعة •

---

(١٣٠) المصدر السابق : ص٢٤ •
(١٣١) آية ١٠ سورة الحشر •

٥ ـ أراد عمر امداد بيت المال بموارد منظمة من أجل أمداد الجيوش وسد الثغور والابقاء على العطاء وقال معللا موقفه : (فاذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والارامل لهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق)[١٣٢] ، كما كان يهدف عمر من اجرائه هذا الى تحقيق التقارب بين المسلمين الفاتحين وأصحاب الاراضي فحينما أبقى أراضيهم بأيديهم أشعرهم بأنهم أصحابها من أجل عدم اثارة الحقد والكراهية في نفوسهم فالذي تسلب منه أملاكه لا بد أن تثير هذه العملية في نفسه الاحقاد والكراهية .

على الرغم من سلامة هذا الاجراء والحجج والمسوغات التي أشرنا اليها الا أن هذه القضية وما ترتب عليها وما اتصل بها من أمور ونتائج كانت «مادة» للاختلاف ومجالا للنقاش تحرك من خلالها الخصوم واستطاعوا ان يتخذوها عاملا آخر في عملهم المضاد المغالي .

٣ ـ العطاء :

يعتبر العطاء بمثابة المنح تدفع للمسلمين من بيت المال ، وقد وزع أبو بكر الصديق (رضى) العطاء بالسوية ، وفي هذا يقول أبو يوسف (قدم على أبي بكر « رضى الله تعالى عنه » مال فقال : (من كان اه عند النبي (ص) وعدة فليأت ... ثم أعطى كل أنسان كان رسول الله وعده شيئا وبقيت بقية من المال فقسمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير والحر والمملوك والذكر والانثى)[١٣٣] .

وحينما تولى عمر بن الخطاب (رضى) وجاءت الفتوح والاموال قال : (ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه رأى في هذا المال رأيا ولى فيه رأي آخر ، لا أجعل من قاتل رسول الله (ص) كمن قاتل معه ، ففرض للمهاجرين والانصار ممن شهد بدرا خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض لمن كان اسلامه كاسلام أهل بدر ولم يشهد بدرا أربعة آلاف أربعة آلاف ، وفرض لازواج

---

(١٣٢) أبو يوسف : الخراج ص٢٥ .
(١٣٣) أبو يوسف : الخراج ص٤٢ .

النبي (ص) اثنى عشر ألفا الا صفية وجويرية فانـه فرض لهما سـتة آلاف ستة آلاف فأبتا أن تقبلا ••• وفرض للعباس عم رسول الله اثنى عشر ألفـا وفرض لاسامة بن زيد أربعة آلاف وفرض لعبد الله بن عمر ـ ابنه ـ ثلاثة آلاف فقال : (يا أبت لم زدته علي ألفا ، ما كان لأبيه من الفضل ما لم يكـن لأبي ، وكان له ما لم يكن لي) فقال : (ان ابا اسامة كان أحب الى رسـول الله (ص) من أبيك وكان اسامة أحب الى رسول الله منك ، وفرض للحسن والحسين خمسة آلاف ألحقهما بأبيهما لمكانتهما من رسول الله (ص) وفرض لأبناء المهاجرين والانصار ألفين ألفين ••• الخ)(١٣٤) •

لست أدري كيف أتخذ عمر هذا الاجراء ؟ ولماذا اتخذه ؟ انه اجـراء أوجد تفاوتا اجتماعيا واقتصاديا ، اجراء بذر بذور التنافس والتفاضل بـين المسلمين بشكل لا أدرى كيف غاب عن عمر ـ وهو الالمعي الاداري الحازم ـ الذي لا يتخذ قرارا الا بعد دراسته ومناقشته ومشاورة أهل الرأي والشورى فيـه •

نعم هناك فروق بين المسلمين في التضحية والجهاد وهناك من ضحى بكل شيء في سبيل اعلاء كلمة الاسلام وهناك من كان يحارب المسلمين ويقاتـل الرسول ولكن« الاسلام يجب ما قبله » والمسلمون سواسية، ان محبة الرسول التي اعتمدها عمر وحدة قياسية للتفاضل بين أهل العطاء يصعب الاعتمـاد عليها بدقة ، والسبق في الاسلام والتضحية في سبيله انما ثوابهما عند الله ، أما معاش الناس في الدنيا فان الاسوة فيه خير كما ذهب أبو بكر في رده على القائلين بالسبق حيث أجابهم : (فجاء الناس من المسلمين فقالوا يا خليفـة رسول الله انك قسمت هذا المال فسويت بين الناس ومن الناس أناس لهـم فضل وسوابق وقدم ، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم ـ قال ••• اما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك ، وانما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه وهذا معاش فالاسـوة فيه خير مـن الاثـرة)(١٣٥) •

لقد نظم عمر بن الخطاب (رضى) العطاء وأوجد « الديوان » ليحفظ

---

(١٣٤) ، (١٣٥) أبو يوسف : الخراج ص٤٢ـ٤٤ •

اعطيات المسلمين وبهذا الصدد يقول أبو يوسف : (... لما فتح الله عليه (أي على عمر) وفتح فارس والروم وجمع أناسا من أصحاب رسول الله (ص) فقال : أما ترون فاني أرى أن اجعل عطاء الناس في كل سنة وأجمع المـال فانه أعظم للبركة . قالوا : اصنع ما رأيت فانك ان شـاء الله موفق . قال : ففرض الاعطيات فدعا بلوح فقال : بمن أبدأ ؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك. فقال لا والله ولكن ابدأ ببني هاشم رهط النبي صلى الله عليه وسلم ، فكتب من شهد بدرا من بني هاشم من مولى أو عربي لكل رجل منهم خمسة آلاف ... الخ)[١٣٦] .

وحينما تولى الخلافة عثمان بن عفان (رضى) (اتبع في خلافته رأي عمر[١٣٧] ، أي جعل العطاء متفاوتا بالرغم من أن عمر (رضي) قرر في أواخر أيامه الرجوع عن رأيه في العطاء كما ذكر ذلك أبو يوسف في قوله : (ولما رأى المال قد كثر قال لئن عشت الى هذه الليلة من قابل لألحقن أخرى الناس بأولاهم حتى يكونوا في العطاء سواء فتوفي رحمه الله قبل ذلك)[١٣٨] فـاذا كان عمر وهو في سعة المال قد قرر التراجع عن قراره بخصوص التفاوت في العطاء فكيف حال عثمان وقد توقفت الفتوحات في السـنوات الاخـيرة من خلافته وتناقصت واردات بيت المال وانشغلت الاقاليم بالفتنة الى جانب جملة الظروف التي أحاطت بعثمان والتباين بين شخصية كل منهما ، ان هذا جعـل مسألة العطاء والتباين في نسبها مادة أساسية للاختلاف واتخذها الخصوم مادة عملوا من خلالها بشكل جعل هذه المسألة تسهم الى جانب مسائل أخرى في الفتنة السوداء التي ذهب ضحيتها عثمان نفسه وكانت فتنة امدت بدمهـا فتنا أخر قادمة ، وجد فيها الغلاة مجالهم في العمل لتحقيق أغراضهم الخاصة .

وحينما تولى الامام علي (رضي) أمر الخلافة فانه (أعطى الناس بالسوية لم يفضل أحدا على أحد وأعطى المولى كما أعطى الصليبة)[١٣٩] .

---

(١٣٦) ابو يوسف : الخراج ص ٤٢ـ٤٤ .
(١٣٧) ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ص١٤٣ـ١٤٤ .
(١٣٨) ابو يوسف : الخراج ص٦٧ .
(١٣٩) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج٢ : ص١٧٣ طبعة النجف .

الا أن الآثار التي تركتها الفتنة انعكست بشكل وبآخر على خلافة الامام علي وكان قميص عثمان ملطخا بدمه حينا وبغيره أحيانا يفتح نوافذ اخرى للفتنة فكانت عملية المساواة في العطاء بين المسلمين قد انمحى أثرها من فوق رمال البصرة كما ضاعت وسط جلبة صفين وتحت رماح مصاحفها .

وهكذا كانت لمسألة العطاء آثارها البعيدة في الخلاف بين المسلمين الذي استغل استغلالا واسعا من قبل الغلاة .

٤ ـ العشر :

هي الضريبة التي تؤخذ من الارض التي (هي من أرض العرب ... فهي لهم وهي أرض عشر بمنزلة المدينة وبمنزلة اليمن وكذلك من لا تقبل منه الجزية ولا يقبل منه الا الاسلام أو القتل من عبدة الأوثان من العرب فأرضهم أرض عشر وان ظهر عليها الامام)[١٤٠] .

وتضاف الى هذا النوع من الأراضي (أيما دار من دور الاعاجم ظهر عليها الامام ... وقسمها بين قسومها فهي أرض عشر)[١٤١] .

وبعبارة أوضح تؤخذ ضريبة العشر من الأراضي التي كانت بيد العرب من عبدة الاوثان ، وكذلك من الاراضي التي كانت بيد الأعاجم وسبق للامام ان قسمها على اعتبارها غنيمة .

ويؤيد يحيى بن آدم ما ذهب اليه أبو يوسف في تعيين الارض العشرية فيقول :

(وكل أرض كانت للعرب الذين لا تقبل منهم الجزية ولا يقبل منهم الا الاسلام أو القتل فان أرضهم أرض عشر وكذلك صنع رسول الله (ص) بكل أرض ظهر عليها من أرض العرب فانه لم يضع عليها الخراج ولكنها صارت أرض عشر)[١٤٢] .

---

(١٤٠) أبو يوسف : الخراج : ص٣٩ .
(١٤١) المصدر السابق : ص٣٩ .
(١٤٢) يحيى بن آدم : الخراج ص١٢ .

من هذا يتبين لنا أن العشر انما يؤخذ من الأرض العربية أو من الارض غير العربية التي غنمت وقسمها الامام للفاتحين ، ان هذا الاختلاف الواضح في المعاملة بين الارض العربية التي فرض عليها العشر والارض غير العربية التي فرض عليها الخراج انما يقع عبء ذلك على الانسان الذي يمتلك هذه الارض أو تلك وفي هذا تمايز في المعاملة بين الانسان العربي وغيره لأن مقدار ما يجبى من الخراج أكثر مما يجبى من ضريبة العشر ، كما أن أرض العشر تعتبر ملكا لصاحبها في حين أن أرض الخراج تعتبر ملكا للدولة وان بقيت بيد أصحابها السابقين فهم بمثابة عمال فيها والفرق كبير بين من يشعر بأنه يعمل في أرضه وبين من يشعر بأن أرضه قد أخذت منه وانما هو يعمل فيها ليدفع ضريبة للسلطة التي سبق ان انتصرت عليه . لاشك في أن هذه المسألة كانت قد أثارت مشاكل ونقاشا وأثارت حقدا وتفاسير وآراء متناقضة ، فقد أعلن الخوارج عن ضرورة مساواة الارض العربية بالارض غير العربية وقد رد عليهم أبو يوسف قائلا : (وأما الخوارج فانهم اخطأوا المحجة وجعلوا قرى عربية بمنزلة قرى عجمية ولم يأخذوا بما اجتمع عليه أصحاب رسول الله (ص) وقول عمر ومن اجتمع من أصحاب رسول الله (ص) هم أحسن تأويلا وتوفيقا من الخوارج)(١٤٣) .

فالخوارج اعلنوا مساواة القرى العربية بالقرى العجمية ، اي بمساواة الضريبة على الانسان الذي يملك هذه الارض أو تلك ، أي بمساواة الضريبة على الانسان العربي والانسان غير العربي اعتقادا منهم بأن القانون الاسلامي يذهب الى ذلك ولاشك في ان اعتقادهم هذا كان يمثل موقفا معينا مناقضا لموقف السلطة في أيام الرسول والخلفاء الراشدين ، مما يؤكد ان هذه القضية كانت مثار نقاش وخلاف ، مما أمد الغلاة بمادة أخرى استغلت في مجال نشاطهم المغالي .

٥ ـ الخراج :

الخراج والفيء أمر واحد برأي أبي يوسف (فأما الفيء ... فهو

---

(١٤٣) أبو يوسف : الخراج ص٥٩ .

الخراج عندنا خراج الارض لأن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى، والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)[١٤٤] .

ويعتبر عمر بن الخطاب (رضي) هو الذي نظم هذه الضريبة اعتمادا على القانون العام وعلى اجراءات الرسول ، وملاحظات أبي بكر . واجراءات عمر بهذا الخصوص تعتبر الوحدة القياسية التي نحكم بها على هذه الضريبة وصحة تطبيقها والصور المناقضة لها وأثر ذلك في استغلال الخصوم .

لقد كانت ضريبة الخراج التي فرضها عمر تختلف بين منطقة وأخرى في ضوء النسب التي كانت متبعة سابقا وفي ضوء اختلاف المناطق بعضها عن البعض بسبب طبيعة الارض وطبيعة المياه وكيفية استعمالها ، فهي في السواد مثلا (على جريب[١٤٥] العنب عشرة دراهم وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم وعلى جريب الحنطة أربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين)[١٤٦] .

ويعطي يحيى بن آدم نسبا أخرى تختلف قليلا عما ذكره أبو يوسف الا أنهما يتفقان بأن تنظيمات عمر كانت الاساس في وضع ضريبة الخراج والتعويل عليها في بحث هذه المسألة ، فيقول ابن آدم (... وأما أرضهم فعليها الخراج الذي وضعه عمر ابن الخطاب ، على الجريب قفيز ودرهم وعلى النخل والرطاب والكرم والشجر ما وضعه عليهم عمر)[١٤٧] .

واعتبرت الاراضي الخراجية هي تلك التي كانت بيد غير العرب والتي أخذت عنوة وتركت بيد أصحابها (ذمة يؤدون الخراج للمسلمين عنها)[١٤٨].

كما اعتبرت هذه الأراضي ملكا للدولة وبقيت ضريبة الخراج تدفع عنها حتى اذا صادف وانتقلت ملكيتها الى أحد المسلمين فيذكر يحيى بن آدم في

---

(١٤٤) المصدر السابق : ص٢٣ .
(١٤٥) الجريب : وحدة قياسية للارض تبلغ مساحته ٣٦٠٠ ذراع .
(١٤٦) أبو يوسف : الخراج ص٣٦ .
(١٤٧) يحيى بن آدم : الخراج ص٢٣
(١٤٨) أبو يوسف : الخراج ص١٥ .

هذا الصدد (في المسلم يشتري أرض الخراج كرهه وقال ان فعل فعليه ان يؤدي عن الارض ما كان يؤدي غنها وعليه العشر أو نصف العشر في ثمرته وحرثه ، وكان يقول : الخراج على الارض والعشر أو نصف العشر زكاة مفروضة على المسلمين)[149] .

٦ - الجزية :

ضريبة فرضت على أهل الذمة بموجب قوله تعالى : (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[150] . ويوضح أبو يوسف مقدار هذه الضريبة ومجال فرضها قائلا : (والجزية واجبة على جميع أهل الذمة ممن في السواد وغيرهم من أهل الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة ما خلا نصارى تغلب وأهل نجران خاصة)[151] .

(وانما تجب الجزية على الرجال منهم دون النساء والصبيان على الموسر ثمانية وأربعون درهما وعلى الوسط أربعة وعشرون وعلى المحتاج الحراث العامل بيده اثنا عشر درهما يؤخذ منهم كل سنة وان جاؤا بعرض قبل منهم مثل الدواب والمتاع وغير ذلك)[152] .

هذه ضريبة الجزية وتلك ضريبة الخراج وكانت كل من هاتين الضريبتين تؤخذان من الذمي تلك على رأسه وهذه على أرضه وعلى الرغم من أن مجموع ما يستوفى من هاتين الضريبتين كان أقل بكثير مما كان يستوفى أيام الدولة الساسانية أو الدولة البيزنطية كما يقول فيليب حتي (أن الجزية التي فرضها الفاتحون العرب على أبناء البلدان المنسلخة عن فارس وبيزنطة كانت

---

(١٤٩) يحيى بن آدم : الخراج ص٢٤ .
(١٥٠) آية ٢٩ سورة التوبة .
(١٥١) أبو يوسف : الخراج ص١٢٢ .
(١٥٢) المصدر السابق : ص١٢٢ .

أقل مما كان يفرض عليهم في ظل الحكومات السابقة)[١٥٣] ويؤيد ذلك (بتلر) قائلا (وان وطأة الضرائب خفت بعد فتح العرب)[١٥٤] ، الا أن دافعي هذه الضرائب في ظل الدولة الاسلامية كانوا متذمرين على الرغم من أن هاتين الضريبتين كانتا أخف من الضرائب الساسانية والبيزنطية في هذا الخصوص مع العلم أنه لا يجوز المقارنة بين نظام كالاسلام أكد على أهمية الانسان ومساواته في القيمة الانسانية وبين أنظمة جائرة تعسفية كالتي كانت أيام الساسانيين والبيزنطيين • كما أن الاسلام نفسه قد أكد على العدالة والمساواة بين الناس مما دفعهم في المطالبة والمناداة باسمه من أجل تحقيق ذلك ، فكانت نقمة الناقمين من جراء عدم تطبيق المساواة دافعا لهم للتفتيش عن مخرج لهم يخلصهم من هذه الضرائب فكان الدخول في الاسلام ايمانا وقناعة مخرجا لهم وكان الدخول في الاسلام طمعا في الخلاص من هذه الضرائب مدخلا آخر وكان الدخول في الاسلام حقدا عليه ورغبة في محاربته من الداخل بعد سقوط هاتين الضريبتين بطبيعة الحال يمثل أخطر هذه الاتجاهات وقد أشار (فان فلوتن) الى هؤلاء بقوله .

(وكان السواد الأعظم من الأهلين لايزال على الكفر ومن ثم كانوا يدفعون جزية الرؤوس •• وان فريقا منهم كان يبطن الكفر رغم اظهاره الاسلام وانما اتخذوا هذا ذريعة لاثارة الفتن واقلاق بال الحكومة وانضاب بيت المال)[١٥٥] •

كان هذا أثر الجزية والخراج في الحالة الاعتيادية ـ أي حينما تؤخذ كما قررت أيام عمر ووفقا للشروط التي وضعها ـ فكيف والحالة اذا زيد مقدار هذه الضرائب واذا استعملت أساليب العنف والشدة في جبايتها واذا كان العاملون قد أساءوا السيرة وظلموا الناس ؟ فلا شك في أن رد الفعل سيكون أشد وتكون هذه الضرائب والمخالفات التي تقع بسببها أعظم في الاثارة والتحدي لدى الخصوم •

---

(١٥٣) فيليب حتي : تاريخ العرب ج١ ص١٩٤ •
(١٥٤) بتلر : فتح العرب لمصر ص٣٩٣ـ٣٩٤ •
(١٥٥) فان فلوتن : السيادة العربية ص٥٤ (الترجمة العربية) •

فعلى الرغم من أن الحلول الاقتصادية متطورة الا أن ارتباط ضريبة الجزية والخراج وفق اجراء ديني جعل الزيادة فيهما مدعاة للنقمة ولذلك ذهب يحيى بن آدم إلى عدم جواز الزيادة فيهما حيث قال : (الذين وضع عليهم الجزية على رؤوسهم ثمانية وأربعين وأربعة وعشرين واثنى عشر ... لا يوضع عليهم أكثر من ذلك ومن عجز منهم خفف عنه .. وأما أرضهم فعليها الخراج الذي وضعه عمر بن الخطاب ... فان احتملوا أكثر من ذلك فلا يزاد عليهم وان عجزوا في ذلك خفف عنهم ولا يكلفون فوق طاقتهم)[١٥٦] .

ومن خلال مناقشة عمر مع من كلفهم بتنظيم الخراج ومسح أرضه يتضح اصراره على أن هذه الضرائب يجب ألا تزيد عن القدر المحدد وأن تستوفى بشكل انساني يتفق وما جاء به الاسلام ، فقد ذكر أبو يوسف : (بعث عمر بن الخطاب « رضي » حذيفة ابن اليمان على ما وراء دجلة وبعث عثمان بن حنيف على ما دونه فأتياه فسألهما كيف وضعتما على الارض لعلكما كلفتما عمالكما ما لا يطيقون ؟ فقال حذيفة لقد تركت فضلا ، وقال عثمان لقد تركت الضعف ولو شئت لأخذته فقال عمر عند ذلك أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعنهم لا يفتقرون الى أمير بعدي)[١٥٧] .

وكان في شروط جمع الجزية والخراج (أن لا يضرب أحد من أهل الذمة في استيدائهم الجزية ولا يقاموا في الشمس ولا غيرها ولا يجعل في أبدانهم شيء من المكاره ولكن يرفق بهم)[١٥٨] .

هذه صورة عن الحدود التي يجب أن تسير فيها الضرائب ، فهل كانت هذه الشروط مطبقة ؟ وهل وقعت مخالفات ضدها ؟ ان كتب التاريخ تشير الى مخالفات كثيرة والى حالات لم تطبق فيها الحدود هذه بشكل دقيق ، يذكر أبو يوسف (ان عمر بن الخطاب مر بطريق الشام وهو راجع في مسيره من الشام على قوم قد اقيموا في الشمس يصب على رؤوسهم الزيت فقال مابال هؤلاء فقالوا عليهم الجزية لم يؤدوها فهم يعذبون حتى يؤدوها فقال

(١٥٦) يحيى بن آدم : الخراج ص٢٣ .
(١٥٧) أبو يوسف : الخراج ص٣٧ .
(١٥٨) المصدر السابق : ص٧١-٧٢ .

عمر فما يقولون وما يعتذرون به في الجزية قالوا يقولون لا نجد قال فدعوهم لا تكلفوهم ما لا يطيقون فاني سمعت رسول الله (ص) يقول لا تعذبوا الناس فأن الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة وأمر بهم فخلى سبيلهم)(١٥٩) .

ترى لو لم يمر بهؤلاء عمر بن الخطاب مصادفة ، وكانوا فعلا لا يملكون ما عليهم من الجزية فماذا سيكون مصيرهم وهم في الشمس يصب على رؤوسهم الزيت ؟ !

اذا كان هذا يقع في خلافة عمر بن الخطاب الساهر على حقوق الرعية والذي كان يختار عماله من العناصر الكفوءة الأمينة على مسؤوليتها ، فكيف حال الناس بعد عمر وحالهم على طول الارض الاسلامية وعرضها ؟ !

يبدو أن هذه التجاوزات قد اتسعت وتعددت صورها في الفترة الأموية والعباسية ، فقد فرضت الجزية أيام الامويين في منطقة الجزيرة على الشكل الآتي المغاير لما كان عليه أيام عمر بن الخطاب (... على كل فرد دينارا ومدين قمح وقسطين زيتا وقسطين خلا ... فلما ولي عبد الملك بن مروان عمل احصاء جديدا فبعث الضحاك بن عبد الرحمن الاشعري ، فاستقل ما يؤخذ منهم فأحصى الجماجم أي الافراد وجعل الناس كلهم عمالا بأيديهم وحسب ما يكسب العامل سنته كلها ثم طرح من ذلك نفقته في طعامه وأدمه وكسوته وحذائه وطرح أيام الاعياد في السنة كلها فوجد الذي يفضل من ذلك في السنة لكل واحد أربعة دنانير فألزمهم ذلك جميعا وجعلهم طبقة واحدة وحملت الشام على مثل ذلك وحملت الموصل على مثل ذلك)(١٦٠) .

هذا الاجراء الذي اتخذه عبد الملك بن مروان يعتبر مخالفا لما اتفق عليه مع أهالي تلك المناطق فهو يقع في دائرة الظواهر التي ناقضت فيها السلطة الاتفاقيات الاولى ويدخل ضمن العوامل التي دفعت للنقمة وشكلت مادة استغلها الغلاة للعمل خلفها . وحينما تولى محمد بن يوسف الثقفي ولاية بلاد اليمن أيام الامويين أيضا (ضرب خراجا جعله وظيفة عليهم فبقيت حتى جاء

---

(١٥٩) المصدر السابق : ص٧١-٧٢ .
(١٦٠) أبو يوسف : الخراج ص٤١ .

عمر بن عبد العزيز فكتب الى عامله يأمره بالغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر ، ولكنها أعيدت في عهد يزيد بن عبد الملك ، وقيل أن محمدا هـــذا أساه السيرة وظلم الرعية وأخذ أراضي الناس بغير حق)[١٦١] ، لقد كانـت بلاد اليمن أرضا عشرية كان ذلك منذ أيام الرسول (ص) واســتمرت فترة الراشدين وزمنا من أيام الامويين فحينما يأتي وال ويحول الأرض من أرض عشرية الى أرض خراجية فلاشك أنه يولد ر فعل شديد ويكون مصـــدرا للمعارضة والتحرك ضد السلطة وقانونها .

ويروي الطبري أن هشاما بن عبد الملك أمر عامله على خراسان أن يرفـع الجزية عمن أسلم فيضعها على غير المسلمين حيث جاءت الاخبار بخلاف ذلك (وأمر عامله أن يسير بالعدل في أمر الخراج فنتيجة ذلك رفعت الجزية عن ثلاثين ألف مسلم ووضعت على ثمانين ألف رجل من المشركين لم تكن تؤ خـــذ منهم)[١٦٢] .

لا شك في أن هؤلاء الذين كانوا يدفعون الجزية رغم اسلامهم كانــوا ينقمون من دفعها . ويبدو أن ظاهرة أخذ الجزية ممن يسلمون كانت مألوفة فقد كتب أحد الولاة يسأل عمر بن عبد العزيز في قضية كهذه فاجابــه عمر بن عبد العزيز قائلا (كتبت تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة وتستأذنني في أخذ الجزية منهـم ، ان الله بعث محمدا (ص) داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا فمن أسلم من أهل الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه)[١٦٣] .

وقد كان الأمر في بلاد فارس أكثر سوء حيث أوكلت السلطة أمر جباية الضرائب الى الدهاقين وعمد هؤلاء للاساءة والظلم بدوافع عدة منها الرغبة في الحصول على مبالغ كبيرة لأنفسهم ، ومنها العمل على اثارة النقمة في صفوف الشعب الايراني من أجل دفعه للتحرك المضاد ضد السلطة العربية الاسلامية ، فكانوا يرفضون قبول من يعلن اسلامه من أجل أبقاء الضرائب عليه ومن أجل

---

(١٦١) المصدر السابق : ص١٣١ .
(١٦٢) الطبري : ج٨ ص٢٦٨ ، و ابن الاثير ج٥ ص٨٣ .
(١٦٣) ابو يوسف : الخراج ج١ ص١٣١ .

زيادة نقمته وفي هؤلاء يقول الطبري (معظم الدهاقين وهم ملاك الاراضي من الفرس وقد أكسبهم ما كان لهم من السيادة أيام حكومتهم الاولى نفوذا كبيرا على الرعايا من صغار الزراع ... اذ اسندت اليهم المناصب الادارية الهامة وجباية الاموال وكذلك اصبح هؤلاء الدهاقين الجواسيس والمفوضين السياسيين وهكذا احتفظت طائفة النبلاء الاقطاعيين من أهل فارس بما بقي لهم من سلطان باعتناقهم الاسلام كما جمعوا الثروات الضخمة وتمتعوا بنفوذ كبير وذلك باستئثارهم بجباية الخراج)[١٦٤] .

وقد أتخذ عمر بن عبدالعزيز جملة قرارات تدل على أن من سبقه كان قد تصرف بشكل يتناقض مع القانون الاسلامي ومع الشروط التي سبق أن حددت كيفية استيفاء الضرائب فقد قرر (رد القطائع التي ورثها عن آبائه قائلا ... ان أهلي أقطعوني ما لم يكن لي أن آخذه ولا لهم ان يعطوه[١٦٥] ... وكان مما رده فدك ... الى ما كانت عليه فصارت في الاموال العامة[١٦٦] ... كما الغى زيادات كانت تؤخذ قبل عهده من أهل الخراج كما الغى هدايا النيروز والمهرجان[١٦٧] ... كما قرر اسقاط الكسور عنهم[١٦٨]) ولم يلبث من تولى الأمر بعد عمر بن عبدالعزيز أن أعادوا ما كان قد ألغاه عمر ، فقد (عمد يزيد بن عبدالملك الى كل ما صنعه عمر بن عبدالعزيز ما لم يوافق هواه فرده)[١٦٩] .

ويذكر الطبري الظاهرة الاخرى من هذه المخالفات التي جاءت على شكل شكوى الى عمر بن عبدالعزيز (ياأمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وشكا أيضا من الوالي لعصبيته وجنونه فقال عمر : أنظر من صلى قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية فكان من نتيجة ذلك أن سارع الناس الى الاسلام)[١٧٠] .

---

(١٦٤) انظر الطبري ج٢ ص٤٩٢ ، وفان فلوتن : السيادة العربية ص٣٦ . وكريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص١٠٠ .

(١٦٥) ابن الاثير : التاريخ ج٥ ص٤٤ .

(١٦٦) البلاذري : فتوح البلدان ص٣٩ .

(١٦٧) الطبري : ج٨ ص١٣٩ ، و ابن الاثير ج٥ ص٢٣ .

(١٦٨) الماوردي : الاحكام السلطانية ص٢٧ .

(١٦٩) ابن الاثير : ج٥ ص٢٥ .

(١٧٠) الطبري : ج٨ ص١٣٤ .

ومما لا شك فيه أن هذه المخالفات للنصوص وهذه التجاوزات على المواد القانونية المقررة والحدود التي وضعت للعلاقة بين السلطة وقانونها من جهة وبين المواطنين من جهة أخرى وراء عمليات المعارضة والمقاومة التي عملت فيها حركة الغلو .

لما كانت الناحية المالية من أهم القضايا التي تهم الانسان وتدخل في حياته الخاصة واليومية ، فقد لعبت هذه الناحية دورا بارزا في اثارة المعارضة وتحركها على طريق التحدي والتناقض .

ولما كان مال الدولة ملكا للجميع فيجب أن يوضع لمصلحة الجميع وان يعمل الحاكم على تطبيق المواد القانونية في سبيل ذلك وأن يتحمل المسؤولية بأمانة وحرص من أجل تحقيق ذلك .

الا أن السلطة لم تكن كلها عند مسؤولياتها مما أدى الى أن يكون هذا المال سائرا في متاهات لم تعد على الانسان بالخير الذي كان من المؤمل ان يكون له وقد عبر عن ضياع مال الدولة بددا عمر بن عبدالعزيز خير تعبير حيث قال : (ان الله تعالى بعث محمدا رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم أختار له ما عنده ... فترك لهم نهرا شربهم فيه سواء ثم ولى ابو بكر فترك على حاله ثم ولى عمر فعمل عمل صاحبه ، فلما ولى عثمان اشتق من ذلك النهر نهرا ثم ولى معاوية فشق منه الانهار ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك وسليمان حتى أفضى الامر الي وقد يبس النهر الاعظم ولن يروى أصحاب النهر حتى يعود اليهم النهر الاعظم الى ما كان عليه)[١٧١] .

ويعبر عن هذه الصورة المسعودي وابن خلدون بشكل أكثر واقعية ويبينان صورا من الرفاه الذي استغل من ذلك النهر الذي كان المفروض ان يكون شرب الناس فيه سواء ، فيقول ابن خلدون : (حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد (ص) زحفوا الى أمم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله في الارض بوعد مصدق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فرفرفت بحار الرفه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض

---

(١٧١) ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ج٩ ص٢٥٥-٢٥٦ (طبعة دار الكتب المصرية) .

الغزوات ثلاثين ألفا من الذهب أو نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا يأخذه الحصر ••• واقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له « لعثمان بن عفان » يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار والف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة • وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الف فرس وألف أمة •

وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك • وكان مربط عبدالرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة الاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألف •

وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع مائة ألف دينار ••• وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقار وغير ذلك ما قيمته ثلثمائة ألف درهم)[١٧٢] •

هذه صورة بعض الصحابة وكانت صور الحاكمين أيام الامويين وايام العباسيين كهذه وأكثر منها ، وعلى الرغم من أن قسما من الصحابة أمثال عثمان بن عفان (رضي) وعبد الرحمن بن عوف (رضى) كانوا أغنياء قبل البعثة المحمدية وكانوا تجارا أيام الرسالة ، الا أن هذا لا يبرر لهم ذلك الثراء فأنه بالشكل الذي ذكر يعتبر أمرا مذموما حتى ولو انساق لهم بطريق شرعي)[١٧٣] •

ان محمدا (ص) هو الآخر كان يعمل في التجارة ، وكانت له حصة من الغنائم الا أنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير)[١٧٤] •

وقد أوصى محمد (ص) أن يكون ما كان تحت يده من أرض أو نحو ذلك صدقة فآل كل ما يملك الى بيت المال حتى أن فاطمة بنت الرسول حينما ذهبت الى أبي بكر تسأله أن يورثها « فدك » أكد لها قول الرسول « نحن الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة »[١٧٥] •

---

(١٧٢) ابن خلدون : المقدمة ص١٤٣ •

(١٧٣) انظر المصدر السابق ص١٤٤ •

(١٧٤) الماوردي : الاحكام السلطانية ص١٦٣ •

(١٧٥) البلاذري : فتوح البلدان ص٣٧ •

وأبو بكر على سعة ثرائه : (أنفق ثروته الكبيرة في سبيل الله لم يترك دينارا واحدا ولا درهما ولم يجدوا عنده في بيت مال الدولة حين توفى الا دينارا واحدا)[176] .

واذا قيل أن الفتوحات لم تكن على سعتها في أيام أبي بكر ولم تصل بعد غنائمها ، فأن أيام عمر بن الخطاب كانت حافلة بالفتوحات والثراء الا أنه مات (وهو نفسه مدين وكان أوصى ابنه أن يؤدي عنه الدين)[177] .

وكان متواضعا خشن الملبس شديدا في ذات الله ، مع « ما فتح الله » عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال[178] .

والامام علي (كان له ارتفاع « أي ايراد » طائل يخرجه جميعه على الفقراء والضعفاء[179] ، ومات ولم يترك أكثر من ثلثمائة درهم)[180] .

هذه صورة محمد (ص) وصور أبي بكر وعمر وعلي رضوان الله تعالى عنهم وتلك صور الثراء التي كان القانون الاسلامي يحذر منها ، وعلى الرغم من أن قسما من هؤلاء الصحابة الاغنياء كانوا يحصلون على أموالهم عن طريق سليم (اذ هي أموال حلال لانها غنائم وفيوء ... وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما)[181] .

الا أن دفاع ابن خلدون هذا عنهم شيء وأثر هذا الثراء في اثارة المشاكل ودفع الخصوم لاستغلاله شيء آخر .

ان السلطة التي كانت مسؤولة عن تطبيق القانون والتي لم تطبقه تطبيقا كاملا ولم تتحمل مسؤوليتها بأمانة ودقة وعمدت الى تجاوزات على القانـون دفعت الامور الى كثير من الخلاف والتنازع كان مادة تحرك فيها وخلفها الغلاة .

هذه صورة السلطة بشكل مختصر أيام الرسول والراشدين والامويين

---

(١٧٦) النووى : تهذيب الاسماء واللغات ج٢ ص١٩٨ .
(١٧٧) انظر اليعقوبي ج٢ ص١٨٣ ، والمسعودي : مروج الذهب ج١ ص٢٨٩ .
(١٧٨) اليعقوبي : ج٢ ص١٨٣ .
(١٧٩) ابن طباطبا : الفخرى ص٧٦ .
(١٨٠) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص١٢٤ .
(١٨١) ابن خلدون : المقدمة ص١٤٤ .

ولا سيما صورتها من الناحية المالية ، أردت أن أركز في ذلك على أيام الرسول والراشدين والامويين على اعتبار أن حركة الغلو بدأت في هذه الفترة ووضعت أولى بذورها في تلك الايام ، وحاولت أن أؤكد أن الغلاة لا يمكن أن يعملوا بقوة الا حينما يجدون ثغرة تقع بين السلطة وقانونها ويستغلون هذه الثغرة ويعملون بها • قد تكون بعض هذه الثغرات عابرة بسيطة وقد وقعت نتيجة أجتهاد أو ظروف استثنائية الا أن الغلاة كانوا يستغلون كل شيء فأن وجدوا شيئا صغيرا وسعوه وكبروه من أجل قضيتهم وان لم يجدوا عملوا بكل الوسائل لاختلاق ثغرة أو قضية ينشطون من خلفها فكان على الخلفاء وهم المسؤولون عن تطبيق القانون ان يعملوا بدقة وبحذر ويطابقوا بين سلوكهم الخاص وبين نصوص الشريعة من أجل تجريدِ الخصوم من أي سلاح قد يرفع بوجه الدين وسلطتهم ونحن حينما نبين جانبا من هذه المخالفات والتناقضات بين السلطة والنظرية انما لكي نوضح كيف كان لهذه أثر في تحرك الغلاة وفي مسيرتهم الغالية •

٤ ـ الانسان في الاسلام :

الانسان أثمن مخلوقات الله في الارض « خصه بعقل به كلفه وبه أرسل اليه الرسل »[١٨٢] وجعل سبحانه ما في الارض في سبيل الانسان (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا)[١٨٣] « ألم تر ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »[١٨٤] وأكد سبحانه وتعالى أن الارض وبحارها والسماوات مسخرات للانسان « الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[١٨٥] •

---

(١٨٢) شلتوت : الاسلام ص٤٣ •
(١٨٣) آية ٢٩ سورة البقرة •
(١٨٤) آية ٢٠ سورة لقمان •
(١٨٥) الآيتان ١١ ، ١٢ سورة الجاثية •

الى جانب هذا فأن الهدف من قيام الديانات وارسال الرسل انما هو الانسان ليكون قادرا على حياة متقدمة وليكون الدين دليلا يسترشد به في حياته على الارض ويسترشد به لحياته في الاخرة « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا »[186] « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »[187] .

ويعتبر الاسلام خاتمة الرسالات وان محمدا خاتم الانبياء وان الدين الاسلامي نعمة للناس « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا »[188] « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[189] هذا هو الانسان عند الله ، وتلك مهمة الديانات ، فهو الغاية من قيام القوانين لتكون عونا له في دفع الحياة في سلم التقدم والازدهار .

والانسان بقدر ما هو غاية في عملية الحياة على الارض يعتبر ايضا من أهم الوسائل لتحقيق هذه الغاية — لذلك فهو الغاية والوسيلة ومن تفاعل الانسان في ذاته باعتباره كذلك ومن تفاعله مع مؤثرات الحياة الاخرى تكون عمليات قيام الحضارة .

فالدين أي دين من السماء انما هو مجموعة قوانين لتنظيم علاقة الانسان في ذاته ومع خالقه ومع غيره ، ولتنظيم علاقته بهذا الوجود . وهذه القوانين بجميع موادها ونصوصها تظل حروفا جامدة ، وأحكاما معلقة وكلمات لا أثر ولا حياة فيها الا عند مرورها في الانسان وتفاعلها معه ، عند ذاك تكتسب موادها قوة الحركة والحياة وتتحول في ذاته الى قوة فاعلة مؤثرة تؤثر في الانسان وتتأثر به ومن تفاعل الانسان مع هذه المواد تكتسب خاصية الحياة ، وتبقى حياتها مشدودة الى الانسان تلازمه وتسير معه ، وتعيش معه في الدنيا .

ولذا فأن الانسان هو المسؤول عن تطبيق القانون وتنفيذه وحمايته ، وان ذلك يقع في ذاته ويمتد خارج هذه الذات بأرادته وهذا يتباين بين انسان

---

(١٨٦) الآية ٢٨ سورة سبأ .
(١٨٧) الآية ٢٠٧ سورة الانبياء .
(١٨٨) آية ٣ سورة المائدة .
(١٨٩) آية ٤٠ سورة الاحزاب .

آخر بقدر استعداده وبحسب تكوينه وان مسؤوليته في تحمل اعباء ذلك يناسب ومستواه الذهني « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » والرسول هنا العقل برأي المعتزلة .

والانبياء بشر على استعداد ذهني ووجداني وارادة بحيث تكون الرسالة في ذاتهم هي ذاتها قبل نزولها عليهم وعند تفاعلها معهم والتعبير عنها خارج ذاتهم ومن هنا كانت مسؤولية النبي هي المسؤولية الاولى الا أن هذه المسؤولية وهذه القدرة تبقيان النبي في حدوده التي هو عليها ، فهو انسان مرسل « قل أنما أنا بشر مثلكم يوحى الي »(١٩٠) . فهو واحد من البشر متميز عنهم بأن الله سبحانه وتعالى خصه بالرسالة . وان هذه الرسالة لا تسقط انسانيته ولا تصعد بها الى مرتبة الالوهية . أذن فبشرية الرسل كانت متساوقة مع مهام الرسالة ، وان عملية اختيارهم هي نتيجة تطابق بين شخصياتهم وبين متطلبات الرسالة .

والانسان المسلم عليه أن يكون على وعي وثقة واستيعاب لحدود الرسالة بشكل يجعله في تفاعل ايجابي بينه وبينها يبقى على مقوماته الخاصة وانسجامه مع مدلولات الرسالة .

وهذا الانسان له حقوق وعليه واجبات وهي التي حددتها الرسالة وان التفاوت فيها بين أنسان وآخر أنما يقع بسبب التباين بينهما في التقوى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

أصبح لدينا في الدائرة الاسلامية : انسان نبي ، وانسان امام ، وانسان مسلم لكل منهم مكانته التي يقف عندها وأن أية محاولة لوضع هؤلاء في غير مكانتهم اسقاط لهم ، والرسالة هي الاخرى لها حدودها ومبادئها وموادها التي تبين معالمها وابعادها وأن أية محاولة لوضع هذه الرسالة أو طرف منها في غير مكانه اسقاط لها أو لهذا الطرف منها .

ولذلك نجد الخصوم ومنهم الغلاة عملوا بكل الوسائل لوضع انسان الرسالة في غير مكانه ، ووضع الرسالة في غير حدودها ، وبقدر ما استطاع

---

(١٩٠) آية ١١٠ سورة الكهف .

هؤلاء تحقيق خطوة او خطوات في محاولاتهم هذه ، كان لهم المجال لتوجيه ضربات هدامة لمكونات الرسالة بطرفيها الاساسيين الانسان والنظرية .

لقد توافق المسلمون على شروط الخليفة ليكون قادرا على اداء مهمته بشكل سليم وليكون فعلا « خليفة رسول الله » وهذه الشروط : (أربعة : العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل ، واختلف في شرط خاص وهو النسب القريشي)[١٩١] . وكان الخليفة يمثل السلطة أيام الراشدين وكذا أيام الامويين والعباسيين الى جانب بعض المؤسسات وكان هو الأهم والأول في هذه السلطة .

ولكي تكون السلطة عند المسؤوليات الكبرى عليها أن تؤدي واجباتها بشكل كامل ودقيق في ضوء ما تحدده وتعينه الشريعة ، وأن أي وضع للسلطة في غير حدودها أو وضع أجزاء منها خلافاً لما يقرره القانون وضع لها في غير أماكنها وكان هذا يتسبب في كثير من ردود الفعل لدى المعارضين والخصوم .

لذلك عمل فريق من هؤلاء الخصوم على دفع الخليفة عن مكانه ليكون في ذلك سلاح لهدم السلطة والتحرك من خلال هذا السقوط في وضع الآراء الغالية ، كما عمل قسم من هؤلاء الخلفاء على وضع أنفسهم في غير مكانها وكان في ذلك فرصة للخصوم لأن يقولوا فيهم أقوالهم الغالية .

لقد توجهت جهود الغلاة الى هذه الناحية وعملوا فيها بدقة وتخطيط محكم فبدأوا بتحريك الخليفة عن مكانه تحريكا تدريجيا وكان بدء عملهم صعودا بهم الى فوق مراتبهم واستمرت عملية التصعيد هذه حتى وصلوا بهم الى درجة الالوهية ، وبهذا يقول فيهم الشهرستاني : (هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله)[١٩٢] .

ان دفع الامام عن حدود البشرية الى مرتبة الالوهية اسقاط له والغاء لامامته واسلاميته .

---

(١٩١) ابن خلدون : المقدمة ص١٩٣ .
(١٩٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص٣٦٣ .

ولقد أدرك الامام علي (رضى) خطة هؤلاء وكيف أنهم يعملون للوصول الى غاياتهم عن طريق العمل في الاشخاص والغلو فيهم فقال : (ان أول وقوع الفتن هوى يتبع وأحكام تبتدع يعظم فيها رجال رجالا يخالف فيها حكم الله، ولو أن الحق أخلص فعمل به لم يخف على ذي حجى ولكن يؤخذ ضغث من ذا وضغث من ذا فيخلط به فعند ذلك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى)[١٩٣] ٠

ويؤكد ابن الجوزي أن أسقاط الانسان المسلم عن مكانته يكون في وضعه في غير مكانه فيقول : (وكما لبس ابليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا علي بن أبي طالب حمل آخرون على الغلو في حبه وزادوه على الحد فمنهم من كان يقول : هو الاله ومنهم من يقول هو خير من الانبياء)[١٩٤] ٠

ان وضع الامام علي (رضى) في درجة الالوهية أو في درجة أعلى من الانبياء أو وضعه في مكان يجوز قتله فيه ، كل هذه الدرجات الصاعدة والهابطة أبعاد للامام عن مكانه الصحيح من أجل الاساءة اليه ٠

ومن عمليات دفع الامام علي (ع) المقصودة للاساءة اليه والى الشريعة التي يتولى مسؤوليتها ما يذكره ابن الجوزي في جانب من محاولات هؤلاء الغلاة فيقول : (وغلو الرافضة في حب علي (رضى) حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه ٠٠٠ منها أن الشمس غابت ففات عليا صلاة العصر فردت له الشمس وهذا من حيث التقليد محال لم يروه ثقة من حيث المعنى وان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت)[١٩٥] ٠

لم تقف عمليات الدفع هذه عند الائمة انما توجهت الى الانسان المسلم فعملت به دفعا وتشويها من أجل اسقاطه ، فكانت عمليات الدفع تأتي في طرق عدة كان أخطرها طريق التفريق بين المسلم العربي والمسلم غير العربي ، فمن الناحية القانونية أن الاسلام قد ساوى بين المسلمين كافة في الحقوق والواجبات

---

(١٩٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٨٠ (طبعة النجف) ٠
(١٩٤) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص١٠٢-١٠٣ ٠
(١٩٥) المصدر السابق : ص١٠٢-١٠٣ ٠

وقال رسول الله (ص) (مولى القوم منهم)[١٩٦] . وساوى الخلفاء الراشدون الاربعة المسلمين « الموالي منهم وغيرهم »[١٩٧] في العطاء الى جانب مساواتهم في المجالات الحياتية الاخرى .

الا أن هذه المساواة قد اختلفت بعد عصر الراشدين ، ومن الصور البارزة على ذلك احتجاج جند المختار بن أبي عبيد الثقفي عليه بقولهم : (عمدت الى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا ، وهذه البلاد جميعا فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاء في فيئنا)[١٩٨] .

ان اعتبار الموالي فيئاً مناقضة صريحة للموقف الاسلامي منهم ولاشك أن هذه النظرة الخاطئة حينما تطبق عمليا تحدث ثغرة واسعة يستطيع المغرضون أن ينفذوا منها لزرع كثير من بذورهم الغالية .

ويبدو أن هناك أمثلة أخرى وقعت في الفترة الاموية والعباسية كان فيها التباين واقعا بين المسلمين العرب وبين المسلمين من غير العرب مما تسببت في ردود فعل استغلها الغلاة[١٩٩] .

ولم ينس هؤلاء الغلاة جانبا آخر في عمليات الدفع والتغيير وهو وضع القانون أو قسما من مواده في غير مواقعها ، ولما كان القانون مرتبطا بالانسان فان عمليات دفع القانون عن حدوده اسقاط له وللانسان في وقت واحد ، وبذلك يحققون في عمليتهم هذه هدفين أساسيين من أهدافهم المعادية .

فلقد وجد هؤلاء في مسألة « الخير والشر » وارادة الانسان في الاختيار ضالتهم فتحركوا في هذا الاتجاه وفسروا الخير والشر بشكل يتناقض مع مدلوله الاسلامي ، وفي محاولتهم هذه يقول الشيخ شلتوت ردا عليهم : (وقديما اعتذر المشركون في شركهم بأنهم مجبورون بمشيئة الله لشركهم فأنكر الله عليهم وأعلمهم أن حجته عليهم قائمة بما منحهم من عقل وأرسل

---

(١٩٦) ابن خلدون : المقدمة ص١٣٥ .
(١٩٧) ابو يوسف : الخراج ص٢٥ .
(١٩٨) الطبري : التاريخ ج٢ ص٦٥٠ .
(١٩٩) انظر الصفحات المتعلقة بالحالة الاقتصادية التى مرت سابقا .

اليهم من رسل[٢٠٠] « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين »[٢٠١] .

ان مسألة القضاء والقدر أعطت المغرضين مادة خصبة في دفع الشريعة عن مجالها ومستقرها ، وذلك عن طريق تجميد ارادة الانسان والغاء دوره في ممارسة أي عمل ، ومما يؤكد ذلك ما ذهبت اليه الفرق الجبرية ، حيث قالت فرقة الجهمية منها : (ان لا اختيار لشيء من الحيوانات في شيء مما يجرى عليهم فانهم كلهم مضطرون لا استطاعة لهم بحال وان كل ما نسب فعلا الى أحد غير الله فسبيله سبيل المجاز وهو بمنزلة قول القائل سقط الجدار ودارت الرحى وجرى الماء وانخسفت الشمس)[٢٠٢] . ولم تقف الجهمية عند هذا الحد بل ذهبت في تجميد ارادة الانسان فقالت : (... انه لا فعل لأحد على الحقيقة الا الله تعالى وان الخلق فيما ينسب اليهم من الافعال كالشجرة تحركها الريح الا أن الله خلق في الانسان قوة بها كان الفعل وخلق فيه ارادة الفعل واختياره كما خلق فيه سرورا بذلك وشهوة)[٢٠٣] . وذهبت فرقة الصباحية[٢٠٤] التي تفرعت عن الجهمية الى الغاء ارادة الانسان عن طريق جديد فقالت : (ان الخلق والأمر من الله لم يزالا كما لم يزل الخالق ومثل ذلك بالنائم ... يرى انه بالشام أو بمكة أو يأكل أو يشرب من غير أن يكون شيء من ذلك قال وكل هؤلاء مجمعون ان الكفر والمعاصي بقضاء الله وقدره ومشيئته وعلمه وقدرته)[٢٠٥] .

هذا التجميد لارادة الانسان الغاء لوجوده لأن الغاء حرية الانسان

---

(٢٠٠) الآيتان ١٤٨ و ١٤٩ من سورة الانعام .
(٢٠١) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص٤٦-٤٧ .
(٢٠٢) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ٦٣ .
(٢٠٣) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص ٢٥٦ .
(٢٠٤) الصباحية : فرقة من الجبرية تفرعت عن الجهمية مؤسسها الصباح بن السمرقندي (أنظر المقدسي : البدء والتاريخ ج٥ ص١٤٧) .
(٢٠٥) المقدسي : البدء والتاريخ ج٥ ص ١٤٩ .

وارادتـه لا يبقي له شـيئا ، وعند ذاك لا تبقى ضرورة للشـريعة ولا مبـرر لوجودها لأن الشريعة انما تقوم لتكون دليلا يسترشد بها الانسان في حياتـه الدنيا ، والى آخرته ، يعمل بها ويحاسب على مخالفتها ويثاب عند التمسـك بها • قال تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(٢٠٦) •

ويعلق الشيخ شلتوت على معاني هذه الآية الكريمة ويرد على أولئـك المغرقين في جبريتهم فيقول : (هذا هو وضع الانسان في نظر الاسلام وهـو موضع يدل دلالة واضحة على أن الاسلام يرى أن الانسان ذو حرية واختيار في حياته فهو يفعل الخير مختارا فيثاب ويفعل الشر مختارا فيعاقب وبتلك الحرية وهذا الاختيار كلفه الله وأرسل الرسل لتهديه وترشده(٢٠٧) ••• وهل يجزون الا بما كانوا يعملون)(٢٠٨) •

أما أن يكون الانسان كالشجرة يتحرك بدون ارادة ، وأن تكون حياة الانسان كالنائم يرى انه بالشام او بمكة ــ كما يرى في منامه ــ وأن أفعالـه منسوبة اليه على المجاز ، فكيف تجوز محاسبته ، ولماذا جاءت الشريعة وأكدت أركانا عملية وأخرى اعتقادية على الانسان أن يؤمن بها ويطبقها ، لماذا التكاليف والمحرمات والفرائض ؟ ولماذا المعاد والحساب والجنة والنار ؟ ان هذا التجميد للانسان يجر خلفه تجميدا للرسالة ، وهكذا أراد الغلاة وضع الانسـان في غير مكانه • وتجميده على هذه الصورة خلافا لطبيعته وحقيقته هدم للشريعة وهذا هو هدفهم الاول في حركة غلوهم هذه •

---

(٢٠٦) آية ٩٧ سورة النمل •
(٢٠٧) آية ١٤٧ سورة الاعراف •
(٢٠٨) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٥ ــ ٤٦ •

الفصل الثاني

الفرق الغالية

معنى الغلو :

الغلو لغة (الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء ... وغلا في الدين والامر يغلو جاوز حده وفي التنزيل ... لا تغلوا في دينكم ... وقال بعضهم غلوت في الامر غلوا وغلانية وغلانيا اذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه)[1] .

فالغلو موقف مبالغ فيه في قضية مبدئية أو في شخص يرتبط بهذه القضية .

ويكون الغلو مع الشيء المبالغ فيه أو ضده ، تعبيرا عن الموافقة أو الرفض فقد يغالي الانسان بحبه واعجابه كما قد يغالي بكراهيته وعزوفه .

والغلو اصطلاحا ، أسلوب من أساليب مقاومة الدين الاسلامي ، وفي الحديث (اياكم والغلو في الدين أي التشدد فيه ومجاوزة الحد)[2] .

والغلاة (من المتظاهرين بالاسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والائمة من ذريته « عليهم السلام » الى الالوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا الى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد وهم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين «ع» بالقتل والتحريق بالنار وقضت الائمة عليهم بالاكفار والخروج عن الاسلام)[3] .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج ١٥/ص ١٣١ - ١٣٢ .
(٢) المصدر السابق : ج١٥/ص١٣١ - ١٣٢ .
(٣) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ٦٣ .

وكما يكون الغلو في الاشخاص يكون في المبادىء وبهذا الصدد يقول ابن تيمية (ومثل الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الاله ومثل تجويز الخروج عن شريعة النبي « صلى الله عليه وسلم »)[٤] .

والتداخل بين غلو الاشخاص والمبادىء واقع ، حيث ان الغلو في الشخص يكون عن طريق الغلو في المبدأ ، والغلو في المبدأ يحصل عن طريق الغلو في الاشخاص وهكذا يكون التداخل بينهما . فهما وجهان في عملية متفاعلة واحدة .

بداية الغلو :

الغلو تعبير عن موقف معارض للاسلام وكانت بداياته الاولى ملازمة لنزول القرآن وقد اشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله : (هو الذي انزل اليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله ...) .

اما الغلو كموقف معارض للسلطة فقد حدث بشكل بارز في خلافة عثمان وكان مقتله أعلى مراحل الغلو آنذاك .

وقد تأثرت حركة الغلو بجميع الظروف التي مرت على الدولة الجديدة وقانونها « الاسلام » ومن ثم توسعت هذه الحركة وتعقدت وانتظمت قواها في فرق متعددة ووضعت كل فرقة أسلوبا خاصا للعمل وتنظيمات دقيقة من أجل مواصلة الصراع وراحت تحقق أغراضها في معزل عن مراقبة السلطة ومحاسبتها ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

وقد وجد الغلاة ان عملهم من خلال قضية الامامة ومن خلال تأويل بعض آيات القرآن من انجع الوسائل لضمان استمرار نشاطهم وتحقيق اهدافهم فعن طريق التأويل[٥] استطاعوا وضع كثير من آرائهم المتطرفة وقد حجبوا تلك

---

(٤) ابن تيمية : الحسبة في الاسلام ص٣٧ .

(٥) أنظر الصفحات المتعلقة بمبدأ التأويل في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الآراء بستار كثيف مكنهم من مواصلة السير مع المحافظة على الهوية الاسلامية لحركتهم ، ويعلق ابو سعيد نشوان على تأويلهم هذا بقوله (وكلهم يحتج بقول الله تعالى ... وقد كثر التدليس في الكتب ... والتأويل لكتاب الله عز وجل على قدر الاهواء والمذاهب والآراء)[٦] .

والحركة الاخرى لهؤلاء الغلاة كانت من خلال مسألة الامامة حيث وقع أختلاف بين المسلمين بشأنها (وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم « صلى الله عليه وسلم » اختلافهم في الامامة)[٧] .

ويشير الشهرستاني الى تلك المنازعات الشديدة والاختلافات العميقة التي وقعت بسبب الامامة فيقول (وأعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة في كل زمان)[٨] .

لقد وجد الغلاة في مسألة الامامة والاختلاف عليها مادة استغلوها اعظم استغلال في حركتهم وكانت معظم الفرق الغالية قد عملت من وراء واحد من الائمة ، ولقد توزع الغلاة على جميع الفرق وعملوا بها وهدفوا الى تفتيت المسلمين وطحنهم في عجلة الانقسامات وفي هذا الصدد يقول ابو سعيد نشوان (واما فرق هذه الملة فللتقاطع مستحلة يكفر بعضها ويرى عداوته عليه فرضا وقد أمسكت كل طائفة برئيس وعدت حسنا منه كل بئيس ولكل محاسن ومساو وقول ليس بمتساو)[٩] .

والى جانب العمل من خلال الآيات والامامة فأن الغلاة وجدوا في قضية الالوهية والنبوة مجالا واسعا لعملهم .

ويبدو ان التوجه الى العمل من خلال مبدأ الالوهية قد تأخر بعض الوقت ويشير الشاطبي الى ذلك قائلا : (ولقد فصل بعض المتأخرين في التكفير تفصيلا في هذه الفرق فقال ما كان من البدع راجعا الى اعتقاد وجود اله مع الله كقول

---

(٦) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ٢٣٦ .
(٧) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١/ص٤٩ ــ ٥٠ .
(٨) الشهرستاني : الملل والنحل ١/ص ٢١ ــ ٢٢ .
(٩) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ٢٤٨ .

السبأية في علي « رضى الله عنه » انه اله أو خلق الاله في بعض الاشخاص كقول الجناحية ان الله تعالى روح يحل في بعض بني آدم ويتوارث)[10] .

والغلو الذي يمتد الى مبدأ الالوهية ويجعل مع الله الهة أخرى يعتبر أخطر وأعلى مراحل الغلو ، وقد وصل الغلاة الى مبدأ الالوهية هذا عن طريق الحلول والتناسخ وفي هذا يقول الشهرستاني : (وأنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية)[11] .

وقد حدد الغلاة في البداية نقل الالوهية الى الائمة وبعدها انتقلوا بها الى غيرهم وفي هؤلاء يقول ابن خلدون (ومنهم تجاوزوا حد العقل والايمان في القول بالوهية الائمة)[12] .

ان عملية نقل الالوهية الى الائمة بهذه الصورة انما هي خطة مرسومة لهدم مبدأ التوحيد الركن الاول والرئيس في العقيدة الاسلامية وان هدمه يجر معه هدم بقية المبادىء الاخرى ، وفي هذا يقول النوبختي : (اتفقوا على نفي الربوبية عن الجليل الخالق تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وأثباتها في بدن مخلوق ويذهبون الى أن البدن مسكن لله وان الله نور وروح ينتقل في هذه الابدان)[13] .

ولم يقف الغلاة عند هذا الحد ولم يكتفوا بهدم مبدأ الالوهية الذي يجر معه المبادىء الاسلامية الاخرى وانما توجهوا الى سائر المبادىء وعملوا على هدمها بشكل مباشر . ففي مبدأ النبوة ذهبوا الى (انكار رسالة محمد «ص» كقول الغرابية ان جبريل غلط في الرسالة فأداها الى محمد «ص» وعلي كان صاحبها)[14] .

وتوجهت فرقة المنصورية الى هدم مبدأ النبوة على شكل آخر فأدعت (ان الرسل لا تنقطع ابدا والرسالة لا تنقطع)[15] .

---

(١٠) الشاطبي : الاعتصام ج ٣/ص ٤٨ ــ ٤٩ .
(١١) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٦٣ .
(١٢) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٨ .
(١٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ٢٨ .
(١٤) الشاطبي : الاعتصام ج ٣/ ص ٤٨ ــ ٤٩ .
(١٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٧٨ ــ ٣٧٩ .

وزعم ابو الخطاب (أن الائمة انبياء ثم الهة)[١٦] وهو هنا عمد بعملية واحدة الى هدم ثلاثة مبادىء من الشريعة الاسلامية هي الالوهية والنبوة والامامة .

الحكم على الغلو والغلاة :

نقل الشهرستاني محاورة بين الرسول الكريم محمد « ص » وبين جبريل « عليه السلام » تناولت معاني الاسلام والايمان جاء فيها (... وقال جبريل يا رسول الله ما الاسلام فقال : ان تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ... ثم قال : ما الايمان قال عليه السلام : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره)[١٧] ويذهب الغزالي في تعريف الكفر (هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما جاء فيه ، والايمان تصديقه في جميع ما جاء به ... فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب فهو كافر)[١٨] .

واذا أردنا ان نطبق مقياس الغزالي هذا فان الحكم بالكفر سيمتد الى جماعات غفيرة ، ويبدو ان المقياس الذي وضعه الرسول والذي حفظه لنا الشهرستاني يعتبر مقياسا جامعا لانه يتطابق مع معاني الاسلام والايمان التي نزل فيها القرآن الكريم ، كما ان عددا من علماء المسلمين أكدوا هذا المقياس ذاته واخذوا به ، فالغزالي نفسه يعود في مكان آخر من كتابه فيصل التفرقة فيضع للحكم في الايمان والاسلام والكفر ذات المقاييس التي وضعها الرسول فيقول (وأصول الايمان ثلاثة ، الايمان بالله ورسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع واعلم انه لا تكفير في الفروع أصلا الا في مسألة وهي ان ينكر أصلا دينيا علم من الرسول « ص » بالتواتر)[١٩] .

---

(١٦) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٧٥ .
(١٧) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٥٣ .
(١٨) الغزالي : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ص١٥ – ١٦ .
(١٩) المصدر السابق : ص ١٥ .

ويؤكد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء نفس المقاييس تقريبا فيقول : (الاسلام والايمان مترادفان ويطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاثة أركان التوحيد والنبوة والمعاد فلو انكر الرجل واحدا منها فليس بمسلم ولا بمؤمن واذا دان بتوحيد الله ونبوة سيد الانبياء محمد « ص » واعتقد بيوم الجزاء ، من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر فهو المسلم حقا ... وركن رابع هو العمل بالدعائم التي بني عليها الاسلام وهي خمس الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد ... **ولكن الشيعة الامامية** زادوا ركنا وهو الاعتقاد بالامامة)[20] .

وان هذه المقاييس تعد واحدة ، وسوف نعتمدها اساسا للحكم على الاشخاص والآراء ، ولذلك فان الحكم سيكون ممكنا حيث ان موازين القرار ومواده محدودة كما مر بنا .

ولا جرم ان يجابهنا في هذا الموضوع كثير من الآراء والمواقف والاشخاص التي أدخلها الباحثون في حظيرة الكفر والالحاد دون ان يعرضوا أقوالهم وآراءهم المنسوبة اليهم بشكل مباشر من مصادرهم الاصلية ذلك ان معظم الاحكام التي صدرت فيهم كانت في ضوء معلومات نقلت عنهم من كتب غيرهم مما يشير الى احتمال وقوع تحريفات في تلك الآراء . ولا نريد ان نشكك في معظم الآراء والمعلومات المنسوبة لهؤلاء الغلاة لاننا على بينة ان تلك الآراء والمواقف المتطرفة كانت موجودة ولابد لها من أشخاص تسببوا في وجودها الا أن تحديد هؤلاء الاشخاص وتعيينهم بالاسماء بشكل دقيق مسألة هامة بالرغم من انها معقدة .

ومما يؤيد وجود تلك الآراء رد الفعل الكبير الذي وقع لها مما يدل على خطورتها وسعتها وعمقها ووجود عناصر كثيرة خلفها .

ولما كان الحكم في ضوء هذه المقاييس التي أشرنا اليها يقع على الرأي والموقف وان هذه من نتاج الانسان اذ لا رأي ولا موقف الا وله من رآه ومن وقفه فان الحكم على الرأي والموقف يمتد الى صاحبه .

---

(٢٠) آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص. ٧١ ـ ٧٢ .

ولذلك فان من الضروري البحث عن هؤلاء الاشخاص وربط اقوالهم الغالية بهم من أجل ان يتحملوا مسؤولية غلوها ، وان لم يصل البحث الى نتائج دقيقة وقطعية في معرفة هؤلاء الاشخاص فان الحكم عليهم يبقى معلقا الى حين معرفتهم بشكل محدد •

الغلو والزندقة :

أشرنا من قبل الى مقاييس الايمان والاسلام والكفر ، ووضحنا معنى الغلو ودرجاته وسوف نحكم على الآراء والمواقف الغالية وأشخاصها في ضوء تلك المقاييس ، وواضح ان جملة الآراء والمواقف المتطرفة التي تهدف الى مقاومة الاسلام وهدمه تدخل في دائرة الكفر والالحاد كما يدخلها القائلون بها والعاملون في نطاقها •

والزندقة ظاهرة قديمة تجدد ظهورها بشكل معين في الفترة الاسلامية وسوف نحكم عليها في ضوء تلك المقاييس التي أعتمدناها ، ولما كانت الزندقة ليست موضوع بحثنا انما اردت الاشارة اليها هنا لتوضيح الفرق بينها وبين الغلو بعد ان وقع الخلط بينهما كثيرا ومن أجل توضيح الفرق بين هاتين الظاهرتين • نرى ان الزندقة انما هي ظاهرة أو حركة اعلنت معارضتها للاسلام وهدفت الى هدمه واعتمدت اسسا فكرية مناقضة له • اما الغلو فهو ظاهرة عملت في نطاق الاسلام واستندت اليه بالرغم من اعتمادها على مبادىء أخرى مناقضة له ، وهدفت الى مقاومة الاسلام وهدمه من الداخل تحت شعار التظاهر باسمه ، ومن هنا يتبين الفرق بين الظاهرتين •

ولقد وقع الباحثون في الخلط بينهما نتيجة أسباب عدة منها ، ان اهداف الغلو والزندقة الحقيقية واحدة وهي هدم الدين الاسلامي •

ان الزنادقة يستندون في هذه المقاومة الى أسس دينية وفكرية مناقضة للاسلام ، والغلاة يعتمدون الاسس ذاتها اضافة الى أسس اسلامية •

ان كلا من الحركتين كانتا تخفيان كثيرا من نشاطهما واهدافهما بحيث لم تكن هناك فواصل واضحة ومحددة تفصل بين الحركتين في اهدافهما •

وقد زاد الامر صعوبة وتعقيدا بالنسبة للباحثين المحدثين للتفريق بينهما ان القدامى قد اصدروا أحكامهم على أصحاب الحركتين بالزندقة دون التمييز بينهما ، كما ان الحكم بالزندقة كان تهمة يمكن الصاقها من قبل الاطراف والمذاهب المتنازعة ، كما كانت السلطة كثيرا ما تتهم من تريد التخلص منه بتهمة الزندقة ، هذا الى جانب فقدان معظم مؤلفات هاتين الحركتين في حومة الصراع والمنازعات المذهبية والسياسية الحادة التي وقعت بين المذاهب والفرق ومما يشير الى هذا الخلط بين الغلو والزندقة ما ذكره فلهاوزن وهو يتحدث عن الدولة العباسية (ويستطيع الانسان ان يصف خلافتهم بأنها سيادة الدولة على الدين وقد استعملوا من يطارد الزنادقة وانشأوا نظاما في امتحان عقائد الناس وذلك بقصد تعقب الزنادقة في أول الامر ويظهر أن هؤلاء كانوا من نابغة الشيعة الغلاة في فارس)[٢١] .

ان اشارة « فلهاوزن » بأن الزنادقة الذين عاقبتهم السلطة العباسية كانوا من نابغة الشيعة الغلاة يدل على ان الامر بين الغلو والزندقة قد تداخل بشكل يصعب وضع فواصل بينهما .

وتسهيلا للتفريق بين الغلو والزندقة يمكن ان نقول ان كل رأي أو موقف يعارض الاسلام دون الاستناد اليه والتظاهر باسمه يخرج عن مجال الغلو ويدخل ضمن دوائر أخرى قد تكون الزندقة واحدة منها .

الغلو والفرق الاسلامية :

الغلو ، صفة لرأي أو موقف يقع من شخص أو من مجموعة اشخاص من خلال فرقة أو حزب ، وان ذلكم الرأي أو الموقف يؤول الى محاربة الاسلام .

والحكم على هذه الآراء الغالية واشخاصها يتم في ضوء مقاييس تستند الى الاسلام ومبادئه .

والفرق الاسلامية التي ظهرت في الفترة موضوعة بحثنا ، هي فرق اعتمدت الاسلام نظرية ومنهجا فهي جميعها فرق اسلامية ، الا أن الغلاة

---

(٢١) فلهاوزن : الدولة العربية ص ٥٣٣ (الترجمة العربية) .

توزعوا على هذه الفرق لاسباب مختلفة وبشكل منظم فعملوا على وضع آرائهم ومواقفهم من خلف تلك الفرق الاسلامية .

هذا بالرغم من ان تفاوتا في عدد الفرق الغالية قد حصل بين فرقة اسلامية واخرى حيث ان الغلاة انفسهم قد وجدوا في هذا التوزيع اسلوبا عمليا لتحقيق اهدافهم وامعانهم في التستر .

ان عملية ظهور الفرق الغالية في داخل الفرق الاسلامية تقع حين يأتي واحد أو أكثر من رجال الغلو برأى أو يفسر ظاهرة أو نصا بشكل يختلف عن تفسير ورأى الفرقة الاصلية فيلتف حوله آخرون فيكون هذا الرأي والملتفون حوله فرقة جديدة تعمل في مسار معين يرتبط بالفرقة الاصلية بشكل من أشكال الارتباط ويعمل بعيدا عن هذه الفرقة ثم يعود اليها من أجل ضمان التستر والمحافظة على حركته من المحاسبة والمعاقبة .

ان عمل الفرق الغالية في مجال الفرق الاسلامية كان عملا منظما ومرتبا بشكل دقيق وقد وجد الغلاة في عملية الانتشار على كل الفرق الاسلامية اسلوبا يحقق أهدافهم ويوضح ابن حزم انتشار هؤلاء الغلاة على كل الفرق الاسلامية وعملهم وراء كل واحدة منها فيقول : (وقد تسمى باسم الاسلام من أجمع جميع فرق الاسلام على انه ليس مسلما مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا ان الصلاة ركعة واحدة بالغداة وركعة بالعشي فقط ، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الاخوة وبنات بني الاخوات وقالوا ان سورة يوسف ليست من القرآن وآخرون منهم قالوا بحد الزاني والسارق ثم يستتابون من الكفر فان تابوا فبها والا قتلوا . وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا بتناسخ الارواح وآخرون قالوا ان شحم الخنزير ودماغه حلال .

وطوائف من المرجئة قالوا ان ابليس لم يسأل قط النظرة ولا أقر بأن خلقه من نار وخلق آدم من تراب وآخرون قالوا ان النبوه تكتسب بالعمل الصالح .

وآخرون كانوا من اهل السنة ... فقالوا قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الانبياء ومن الملائكة « عليهم السلام » وان من عرف الله حق

معرفته فقد سقطت عنه الاعمال والشرائع وقال بعضهم بحلول الباري في أجسام كالحـــلاج .

وطوائف كانوا من الشيعة ثم غلوا فقال بعضهم بألوهية علي بن أبي طالب « ع » والأئمة من بعده ومنهم من قال بنبوته وبتناسخ الارواح كالسيد الحميري الشاعر وغيره ، وقالت طائفة منهم بالوهية أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بنى أسد ، وقالت طائفة بنبوة المغيرة بن أبي سعيد مولى بنـــى بجيلة وبنبوة ابي منصور العجلي وبزيغ الحائك وبيان بن سـمعان التميمي وغيرهم)[٢٢] .

في قول ابن حزم ، هذا أدلة على ان الغلو عمل في اطار الفرق الاسلامية الاصيلة كلها وسوف نحاول ان نوضح نشاط هذه الحركة في كل فرقـــة اسلامية ونبين الآراء والمبادىء التي وضعتها كل فرقة غالية وأساليب عملهــا وأهدافها وجانبا من تنظيماتها .

أولا ــ الفرق الغالية في نطاق الشيعة :

الشيعة واحدة من أكبر الفرق الاسلامية وأقدمها . والفرقة التي تعبر عن الشيعة تعبيرا رسميا ودقيقا هـــي فرقة الامامية الاثنى عشرية ، أما بقية الفرق فقد تفرعت عن الشيعة فاشتط بعضها وابتعد كثيرا عن حدود هذه الفرقة ومبادئها فاستحق بمواقفه وآرائه المناقضة لمبادىء الامامية الحكم بالخروج عن حظيرتها على الرغم من أن تلك الفرق كانت تسمى بالفرق الغالية الشيعية .

والشيعة : هم الذين شايعوا الامام علي عليه الســلام على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصاية أما جليا وأما خفيا ، واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنـــده ، قالوا وليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة بل هي قضية اصولية وهي ركن من أركان الدين . ويرى كتاب الشيعة ، ان أول من وضع بـــذرة

---

(٢٢) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ٢ ص ١١٤ .

التشيع من حول الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية[٢٣] ويؤكدون على حديث غدير خم ويربطونه بنداء كان قد وجهه الله سبحانه وتعالى للنبي لتعيين الامام علي وتسميته اماما من بعده ، وان الله سبحانه أوحى الى النبي محمد (ص) « يا أيها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » فلم يجد بدا من الامتثال بعد هذا الانذار الشديد فخطب عند منصرفه من حجة الوداع في غدير خم فنادى وجلهم يسمعون : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقالوا اللهم نعم فقال : (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)[٢٤] وحول هذا الحديث والآيات التي نزلت فيه اجتهادات وتفاسير ليست واحدة ، مما دفع البعض ان يرجع الى تحديد بداية التشيع الى ما بعد وفاة الرسول « ص » وأختلاف المسلمين على من يلي مسؤولية المسلمين حيث ان الامام علي « عليه السلام » أعلن احقيته في الخلافة وتأخر في مبايعة أبي بكر فترة وكان معه في موقفه هذا كل من (سلمان المحمدي « أو الفارسي» وابي ذر والمقداد وعمار وخزيمة ذي الشهادتين وابي النبهان وحذيفة بن اليمان والزبير والفضل بن العباس واخيه الحبر عبدالله وهاشم بن عتبة المرقال وابي ايوب الانصاري وأبان واخيه خالد ابني سعيد بن العاص الامويين وابي بن كعب وانس بن الحرث ابن نبيه)[٢٥] .

وقد بايع الامام علي « عليه السلام » أبا بكر بعد ستة اشهر من الامتناع، كما بايع عمر وعثمان ويعلل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء موقفه هذا بقوله : (رأى « أي الامام علي » ان الرجل الذي تخلف على المسلمين قد نصح للاسلام وصار يبذل جهده في قوته واعزازه ... فمن ذلك كله تابع وبايع حيث رأى بذلك مصلحة الاسلام وهو على منصبه الالهي من الامامة وان سلم لغيره التصرف والرئاسة العامة)[٢٦] .

وبعد مقتل الخليفة عثمان ، وتسلم الامام علي «ع» مسؤولية الخلافة

---

(٢٣) انظر أصل الشيعة وأصولها ص ٨١ ـ ٨٣ والشيعة بين المعتزلة والاشاعرة ص ٤٠ ـ ٥٠ .
(٢٤) آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ٨١ .
(٢٥) آل كاشف الغطاء أصل الشيعة وأصولها ص ٣٠ ـ ٣١ .
(٢٦) المصدر السابق : ص ٧٤ .

ومبايعة المسلمين له وامتناع جماعات عن ذلك ، ووقوع حرب الجمل وصفين كان قد جعل للشيعة وضعا آخر ، أثر في عدد الملتفين حول هذه الفرقة وحدد مبادئها وأسسها التي هي أسس ومبادىء الاسلام وفي ذلك يقول الشيخ آل كاشف الغطاء (والاسلام والايمان مترادفان ويطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاثة أركان : التوحيد والنبوة والمعاد ... وركن رابع هو العمل بالدعائم التي بنى عليها الاسلام وهي خمس : الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد ... فهذه الاركان الاربعة هي أصول الاسلام والايمان بالمعنى الاخص عند جمهور المسلمين ... ولكن الشيعة الامامية زادوا ركنا خامسا وهو الاعتقاد بالامامة ، يعني ان يعتقد ان الامامة منصب الهي كالنبوة فكما ان الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة »)(٢٧) .

هذه مبادىء الشيعة الامامية ، انما هي مبادىء الاسلام وقد اعتبر الامام آل كاشف الغطاء ان عدم الاخذ بالمبدأ الخامس « الامامة » مع الايمان والعمل بالاركان الاربعة لا يخرج المسلم عن دائرة الايمان والاسلام وفي هذا الصدد يقول (أنه بعدم الاعتقاد بالامامة يخرج عن كونه مسلما « معاذ الله » نعم يظهر أثر التدين بالامامة في منازل القرب والكرامة يوم القيامة أما في الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء وبعضهم لبعض أكفاء)(٢٨) .

وبالرغم من هذا فقد تفرعت عن هذه الفرقة فرق كثيرة خرجت معظمها عن دائرة الاسلام وعن دائرة الشيعة ذاتها ، فغلت غلوا أدخلها في دائرة الكفر والالحاد مما دفع الائمة الى البراءة من اشخاصها وآرائهم الغالية . كما سنرى ذلك في الفرق التي عملت في نطاق الشيعة في الصفحات القادمة .

لقد عمل الغلاة الذين ظهورا في نطاق الشيعة من وراء واحد من الائمة وأتخذوا منه ستارا لحركتهم فكان عملهم هذا سببا في أدخالهم في أطار فرقة الشيعة على الرغم من ان هذه الفرق الغالية قد جاءت بآراء وأتخذت مواقف مناقضة لمبادىء فرقة الشيعة الاصلية مما دفع أئمة الشيعة ورجالاتها الى البراءة

---

(٢٧) المصدر السابق : ص ٧٢ ـ ٧٣ .
(٢٨) آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ٨١ .

منهم ومحاربتهم فقد أبعد الامام علي « عليه السلام » واستنكر فريقا من هؤلاء الذين غلوا فيه غلوا كافرا ، وفي هذا الصدد يوضح الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء أن كثيرا من الفرق التي سميت بالشيعة ليست منها فيقول (اذ ليس كل الشيعة تقول بذلك كيف واسم الشيعة يجرى على الزيدية والاسماعيلية والواقفية والفطحية وغيرهم هذا اذا أختصرنا على الداخلين في حظيرة الاسلام منهم اما لو توسعنا في الاطلاق والتسمية حتى للملاحدة الخارجين عن حدوده كالخطابية واضرابهم فقد تتجاوز طوائف الشيعة المائة أو أكثر ببعض الاعتبارات والفوارق ، ولكن يخص اسم الشيعة اليوم على أطلاقه بالامامية التي تمثل أكبر طائفة من المسلمين بعد طائفة السنة)[٢٩] لقد تفرعت فرق غالية كثيرة عن الشيعة ، وقد انسحب الحكم على هذه الفرق بأنها غالية لانها (غلت في حق الائمة حتى اخرجتها عن حدود الخليقة)[٣٠] .

واشهر هذه الفرق الغالية التي عملت في نطاق الشيعة هي :

١ ـ السبأية :

(اتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي « رضى الله عنه » وزعم انه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه اله)[٣١] ، ويذهب البغدادي الى أن ظهور السبأية كان في أيام علي (فأن السبأية أظهروا بدعتهم في زمان علي « رضى الله عنه »)[٣٢] ، فلما علم الامام علي (ع) بمقالاتهم هذه (أمر بحفر حفرتين وكان يحرقهم فيها ... ونفى عبدالله بن سبأ الى ساباط المداين)[٣٣] ، ومن أقوال ابن سبأ هذا الغالية أنه حينما (قتل علي قال عبدالله بن سبأ ان عليا حي لم يقتل ولم يمت وأنما الذي قتل شيطان تصور بصورته وتوهمت الناس انه قتل كما توهم اليهود والنصارى ان المسيح قتل)[٣٤] .

---

(٢٩) المصدر السابق : ص ٧٤ ـ ٧٥ .
(٣٠) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٦٣ .
(٣١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .
(٣٢) المصدر السابق : ص ١٥ ـ ١٦ .
(٣٣) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٧١ ـ ٧٢ .
(٣٤) المصدر السابق : ص ٧٢ .

ويذهب ابن حزم الى ان ظهور السبأية كان في أيام على « رضى » فيقول (الذين يقولون بالهية لغير الله عزوجل فأولهم قوم من أصحاب عبدالله بن سبأ ... أتوا الى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة أنت هو فقال لهم ومن هو قالوا أنت الله)[٣٥] .

وعلى الرغم من أن عددا من المؤرخين ومن كتاب الفرق أكدوا ظهور عبد الله بن سبأ ، بواقعه وبآرائه الغالية في أيام الامام علي « عليه السلام » فأن هناك من المؤرخين والكتاب من يذهب الى اعتبار ان شخصية عبدالله بن سبأ شخصية وهمية لا وجود لها وان ما جاء عنها في رواية سيف بن عمر التي أعتمد عليها الطبري واخذها عنه الآخرون أنما هي رواية متهافتة لا دليل على وجودها ولا صحة لوجود صاحبها ابن سبأ[٣٦] .

وسواء صح وجود ابن سبأ بشخصه في أيام علي « رضي » أو في أيام عثمان « رضي » أو لم يصح فهذه مسألة بالرغم من أهميتها الا أن الأهم منها صحة وجود الآراء الغالية أو عدم وجود هذه الآراء وتعين فترة ظهورها ، فاذا صح وجود مثل تلك الآراء المنسوبة الى ابن سبأ واذا تأكد لدينا وجودها في فترة معينة فلابد ان يكون وراءها شخص وعند ذاك ليس مهما تحديد اسم هذا الشخص وهويته . ان البحث الدقيق يؤكد ظهور مثل هذه الآراء في فترة الراشدين حيث ان خصوم الاسلام كانوا قد تحركوا بشكل مضاد منذ أيام الرسول (ص) وقد أشار القرآن الكريم اليهم « والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه » فأهل الزيغ عملوا لوضع أقوالهم المتطرفة في حياة الرسول فكيف وقد اختلف المسلمون وتنازعوا في مسائل عدة أبرزها مسألة الامامة التي جرت وراءها حروبا طاحنة بين المسلمين فان مثل هذه الخلافات قد أمدت الخصوم بنشاط واسع لوضع آراءهم الغالية التي أشرنا اليها ، هذا كله يساعد على التسليم بظهور مثل تلك الآراء المنسوبة لابن سبأ وبقي هناك أمر آخر هل هناك أدلة قاطعة تؤكد هذه النسبة ، اننا لا نرى أهمية لربط هذه الآراء بشخص معين فان تحديد

---

(٣٥) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٤ ص ١٤٦ .
(٣٦) أنظر مرتضى العسكري : كتاب عبدالله بن سبأ ص ٥٠ ـ ٨٠ .

الشخص باسمه وتكوينه لا يشكل أهمية ترقى الى أهمية وجود الـرأي اد لابد لكل رأي من شخص سبق له أن قال به ، وقد يكون هذا الشخص عبد الله بن سبأ وقد يكون غيره •

ويبدو أن فكرة الغلو المنسوبة للسبأية كانت امتدادا لعقائد يهوديـــة محرفة وهذا أمر منطقي لأن الرأي انما هو تعبير عن عقائد قديمة وجديدة يؤمن بها انسان ما ، وفي هذا يقول الشهرستاني (عبد الله بن سبأ ••• كان يهوديا فأسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى « عليهما السلام » مثل ما قال في علي رضي الله عنه)[٣٧] •

ولقد نقلت السبأية الالوهية الى بعض الانبياء والى الائمة عن طريـــق القول بالتناسخ وفي هذا الصدد يقول المقدسي (يزعمون ان روح القـــدس كانت في النبي كما كانت في عيسى ثم انتقلت الى علي ثم الى الحسن ثم الى الحسين ثم كذلك في الائمة وعامة هؤلاء يقولون بالتناسخ والرجعة)[٣٨] •

من جملة الآراء التي وضعتها السبأية ورسخ الحكم عليها بالغلو أنهـــا زعمت ان الامام علي « ع » نبي ، ثم ذهبت وقالت انه والائمة من بعــــده آلهة عن طريق التناسخ ــ وفي هذا غلو كافر ــ حيث اسقطوا مبدأي الايمان والاسلام الرئيسيين وهما مبدأ الالوهية ومبدأ النبوة ، وفي ذلك قمة التجاوز على المبادىء الاسلامية لان الايمان بالله وبرســـوله يعتبر حجر الزاويـــة في العقيدة الاسلامية « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمـــن يشاء » فالسبأية عن طريق توزيع الالوهية الى الانبياء والائمة قد اشركت مع الله الهة اخرى فدخلت باشراكها هذا دائرة الالحاد •

٢ ـ فرقة الكيسانية :

(اصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي « عليه السلام »)[٣٩] ويرى الاسفراييني ان (الكيسانية اتباع المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي كان قام

---

(٣٧) الشهرستانى : الملل والنحل ص ٣٦٥ •
(٣٨) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥ /ص ١٢٩ •
(٣٩) الشهرستاني : الملل والنحل ج١/ص١٩٦ •

يطلب ثأر الحسين بن علي بن أبي طالب)[٤٠] ويعتبر المقدسي (ان المختار ... كان يلقب بكيسان)[٤١] .

وأشهر آراء الكيسانية الغالية (القول بنوعين من البدعة أحدهما تجويز البداء[٤٢] على الله تعالى ... والثاني قولهم بامامة محمد بن الحنفية[٤٣] ويضيف الشهرستاني ان الكيسانية قد اضافت الى محمد بن الحنفية صفات اخرى وكانوا (يعتقدون فيه اعتقادا بالغا من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه ... الاسرار بجملتها من علم التأويل والباطن ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الاركان الشرعية ... وعلى القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت)[٤٤] .

وعن طريق الحلول والتناسخ جرت الكيسانية صفات الخلود وعدم الموت الى محمد بن الحنفية فقد : (كان السيد الحميري ... يعتقد أنه لم يمت وانه في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلا)[٤٥] .

واضافت الكيسانية الى غلوها هذا انها قالت (بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية)[٤٦] .

يتبين من النصوص أعلاه أن الكيسانية دخلت دائرة الغلو الكافر لانها اضافت صفة الخلود وعدم الموت الى بعض الائمة كما وانها سحبت الالوهية الى عدد من الائمة عن طريق الحلول والتناسخ ، وذهبت الى الحكم على الله سبحانه وتعالى بالبداء وهي حالة لا يجوز ان يوصف بها عزوجل ، كما اضافت النبوة الى عدد من الأئمة ولم يقف الأمر عند هذا فذهبت مستعملة التأويل

---

(٤٠) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ١٨ .
(٤١) المقدسى : البدء والتاريخ ج ٥/ص ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٤٢) البداء : مبدأ من مبادىء الغلو يجيز على الله تغيير قراره أو رأيه . أنظر : الفصل الثالث من هذا الكتاب .
(٤٣) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ١٨ .
(٤٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١/ص ١٩٦ .
(٤٥) المصدر السابق : ج ١ /ص ٢٠٠ .
(٤٦) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٤/ص ١٨٤ .

لهدم أركان الشريعة الأخرى سيما الأركان العملية في الاسلام وبذلك فقد جمعت كل الشروط التي تدخلها في حظيرة الكفر وتخرجها عن دائرة الاسلام .

٣ ـ المغيرية :

المغيرية من الفرق الغالية التي ظهرت في نطاق فرقة الشيعة ، قالت (بنبوة المغيرة بن سعيد ... وكان يقول ان معبوده صورة رجل على رأسه تاج وان أعضاءه على عدد حروف الهجاء)[٤٧] وادعى المغيرة (انه نبي وانه يعلم اسم الله الأكبر ... وزعم انه يحيي الموتى بالاسم الاعظم)[٤٨] .

ولقد التفت هذه الفرقة حول (محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب)[٤٩] . وادعت (ان الامام بعد أبي جعفر محمد بن علي الباقر المغيرة بن سعيد ... وان أبا جعفر أوصى الى المغيرة فهم يأتمون به الى أن يظهر المهدي والمهدي عندهم محمد بن عبد الله النفس الزكية)[٥٠] . وبعد أن أدعى المغيرة الامامة (ادعى النبوة لنفسه واستحل المحارم وغلا في حق علي (رض) غلوا لا يعتقده عاقل)[٥١] .

وقالت المغيرية بالتأويل وعملت به لوضع الأئمة في غير أماكنهم ودفع المبادىء عن مواقعها فقالت في تأويل قوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أنه كان ظلوما جهولا)[٥٢] ... ان الظلوم والجهول ابو بكر وقالت في تأويل قول الله تعالى « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك »[٥٣] ان الشيطان عمر[٥٤] .

---

(٤٧) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ٤/ص ١٨٤ .
(٤٨) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٦٨ .
(٤٩) المصدر السابق : ص ٦٨ .
(٥٠) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٦٨ .
(٥١) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٧٣ .
(٥٢) آية ٧٢ سورة الاحزاب .
(٥٣) آية ١٦ سورة الحشر .
(٥٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣١ .

وحينما انتشرت آراء هذه الفرقة (وسمع خالد بن عبد الله القسري بخبره وضلالاته قتل المغيرة وبقي اتباعه على انتظار محمد بن عبدالله)[٥٥] .

ان العمل بالتأويل وادعاء الامامة والنبوة والعمل باسم اللهالاعظم واحياء الموتى والتشبيه المشين الله سبحانه كل هذه ادخلت هذه الفرقة في دائرة الغلو الكافر .

٤ ـ البيانيـــة :

فرقة غالية مؤسسها عند ابن حزم (بيان بن سمعان التميمي)[٥٦] وعلى ذلك أيضاً البغدادي في كتابه الفرق[٥٧] والاشـــعري في مقـــالاته[٥٨] ، امـــا الشهرستاني فيسمى مؤسس هذه الفرقة (بنان بن ســـمعان النهدي)[٥٩] ، والمعلومات التي يضعها الشهرستاني بخصوص هذه الفرقة ومؤسسها وآرائها هي ذاتها التي جاءت في كتب البغدادي وابن حزم والاشعري مما يؤكد أن الفرقة واحدة وان الاختلاف في الاسم وقع بسبب التحريف فيه ، وهذا لا يغير من وضع هذه الفرقة شيئا .

وقالت هذه الفرقة بالحلول (وروح الله حلت في علي ثم في ابنـــه محمد بن الحنفية ثم في ابنه ابى هاشم ثم في بيان)[٦٠] .

وقبل أن يعلن بيان ألوهيته بواسطة الحلـــول ، ادعى الامامة وبعـــدها ادعى النبوة وبذلك يقول البغدادي (البيانية ... زعموا ان الامامة صارت من محمد بن الحنفية الى ابنه ابى هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبي هاشم الى بيان بن سمعان بوصيته اليه ... ومنهم من زعم انه كان نبيا وانـــه نسخ شريعة محمد «ص» ومنهم من زعم انه كان الهاً وذكر هؤلاء ان بيانا

---

(٥٥) المصدر السابق : ص ٢٣١ .
(٥٦) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٤/ص ١٨٥ .
(٥٧) أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ .
(٥٨) أنظر مقالات الاسلاميين ص٦٦ ـ ٦٧ .
(٥٩) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١/ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
(٦٠) الشاطبي : الاعتصام ج ٣ /ص ٦٧ .

قال لهم ان روح الاله تناسخت في الانبياء والائمة ... ثم انتقلت اليه ... فأدعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية)[٦١] .

وعمد بيان الى تأويل الآيات القرآنية تأويلا يفضي اليه صفات ومزايا كما يشاء وعمد عن طريق التأويل الى الاساءة الى الأئمة والانبياء فقال في تأويل قوله تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام « أراد بها عليا فهو الذي يأتي في ظلل والرعد صوته والبرق تبسمه »)[٦٢] وزعم بيان (ان معبوده على صورة انسان عضوا عضوا ... وقال يهلك كله الا وجهه لقوله تعالى « كل شيء هالك الا وجهه »[٦٣])[٦٤] وزعم أيضا انه هو المذكور في القرآن في قوله تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين[٦٥])[٦٦] .

ومن أجل ان يستعمل بيان مبدأ الحلول بشكل ينقل به الربوبية الى من يشاء (زعم ان الاله الازلي رجل من نور وانه يفنى كله غير وجهه وتأويل قوله « كل شيء هالك الا وجهه » وقوله « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك »[٦٧])[٦٨] .

وقد ظهرت هذه الفرقة في أيام الأمويين وتولى خالد بن عبد الله القسري محاربتها فحينما (رفع خبر بيان هذا الى خالد في زمان ولايته في العراق فاحتال على بيان حتى ظفر به وصلبه وقال له ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به اعواني عنك)[٦٩] .

ودخلت فرقة البيانية دائرة الغلو الكافر من أكثر من باب ، من باب دعوتها امامة بيان ، وهذا غلو في حق الامامة لانها معروفة لمن يستحقها وهناك شروط خاصة لها ، ودخلت الغلو الكافر من باب ادعاء النبوة ومن باب الشرك

---

(٦١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ .
(٦٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١/ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
(٦٣) آية ٨٩ سورة القصص .
(٦٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١/ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
(٦٥) آية ١٣٩ سورة آل عمران .
(٦٦) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ .
(٦٧) آية ٢٦ و٢٧ سورة الرحمن .
(٦٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
(٦٩) المصدر السابق : ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

حينما ادعى بيان الالوهية ولم يقف الأمر عند هذا الحد انما ذهبت الى ذات الله فشبهتها بصفات كما تشاء وفيهم يقول البغدادي (وهذه الفرقة خارجة عن جميع فرق الاسلام لدعواها الالهية)[٧٠] .

٥ ـ الكربية :

فرقة الكربية من الفرق الغالية التي تفرعت عن الكيسانية ذلك لان مؤسسها (أبا كرب الضرير زعم أن محمد بن الحنفية حي لم يمت وانه في جبل رضوى)[٧١] . وغلت هذه الفرقة بحق محمد بن الحنفية غلوا تجاوز المعقول والدين فقال ابو كرب فيه (انه حي لم يمت ... وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من اعدائه ... وهو المهدي المنتظر)[٧٢] . ويسمى المقدسي هذه الفرقة « الكرنبية » ويقول فيها انها تمثل (أصحاب ابن كرنب الضرير الذي زعم ان الامام بعد علي الحسن ثم محمد بن الحنفية وان محمدا لم يمت ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا)[٧٣] .

واضح ان المعلومات التي يرويها المقدسي عن هذه الفرقة والآراء الغالية التي ينسبها اليها هي ذاتها التي جاء بها البغدادي والفرق في التسمية قد جاء عن تحريف في الاسم والمشهور ان هذه الفرقة تسمى الكربية وان مؤسسها أبو كرب ولم تشر كتب الفرق الاخرى اليها بشيء نظرا لقلة أهميتها وضيق نشاطها واندماج هذه الفرقة مع فرق أخرى أوسع منها وبخاصة فرقة الكيسانية .

ودخلت الكربية دائرة الغلو الكافر في قولها ان محمد بن الحنفية حي لم يمت وان الله سبحانه وتعالى يؤكد في محكم كتابه انك ميت وانهم ميتون فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والرسل من قبله ميتون فكيف يجوز اعتبار أي إنسان آخر حي خلافا لنص الآية الكريمة .

---

(٧٠) المصدر السابق : ص ٢٢٨ .
(٧١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧ ـ ٢٨ .
(٧٢) المصدر السابق : ص ٢٨ .
(٧٣) البدء والتاريخ : ج ٥ / ص ١٢٨ .

٦ ـ الهاشمية :

الهاشمية (اتباع ابي هاشم بن محمد بن الحنفية ، قالوا بانتقال محمد بن الحنفية الى رحمة الله ورضوانه وانتقال الامامة منه الى ابنه ابي هاشم)[٧٤] • والهاشمية امتداد للكيسانية فالذين ألتفوا حولها هم الذين قالوا بامامة ابي هاشم وفي هذا يقول ابن خلدون (واما الكيسانية فساقوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه أبي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية)[٧٥]• وقد عملت هذه الفرقة من خلال الامام علي وابنه محمد بن الحنفية وبعدهما من خلال ابي هاشم وان روح الله حلت فيهم[٧٦] ومن آراء هذه الفرقة (قالوا أن لكل ظاهر باطنا ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويل ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم والمنتشر في الافاق من الحكم والاسرار مجتمع في الشخص الانساني وهو العلم الذي استأثر علي عليه السلام به ابنه محمد بن الحنفية وهو أفضى ذلك السر الى ابنه ابى هاشم وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقا)[٧٧] •

وبعد وفاة أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية (ولا عقب له افترق أصحاب ابي هاشم من بعده خمس فرق)[٧٨] وكل من هذه الفرق المتفرعة عن الهاشمية عمل من خلال ابن الحنفية وابنه أبي هاشم والامام الذي تناسل منهم وهذه الفرق هي :

أ ـ الراوندية :

فرقة غالية تفرعت عن الهاشمية ادعت ان الامامة بعد وفاة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية قد انتقلت (الى ابي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بوصية ابي هاشم اليه وهذا قول الراوندية)[٧٩]

---

(٧٤) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ •
(٧٥) ابن خلدون : المقدمة ص ١٤٠ •
(٧٦) أنظر الشاطبي : الاعتصام ج ٣/ص ٦٧ ـ ٦٨ •
(٧٧) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١/ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ •
(٧٨) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٥٩ •
(٧٩) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧ •

ويؤيد الشهرستاني ذلك فيقول (ان أبا هاشم مات منصرفا من الشام بأرض الشراة وأوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وانجرت في أولاده الوصية حتى صارت الخلافة الى أبي العباس ، قالوا أولهم في الخلافة حق لاتصال النسب وقد توفى رسول الله (ص) وعمه العباس أولى بالميراث)[٨٠] .

وقد انتشرت الراوندية في الحجاز والشام وخراسان وقد نشطت في هذه المناطق ويذكر الطبري جانبا من غلوهم قائلا : (ان رجلا من الراوندية كان يقال له الابلق وكان أبرص فتكلم بالغلو ودعا بالراوندية فزعم ان الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في الائمة في واحد بعد واحد الى ابراهيم بن محمد سبط العباس عم النبي ، وانهم آلهة واستحلوا الحرمات)[٨١] .

ان هذه الآراء عملت في نطاق الدعوة العباسية من خلال الدعوة لآل البيت ومن خلال الوصية التي نقلت الامامة من أبي هاشم الى محمد بن علي بن عبد الله ، الا أن هذه الآراء المناقضة للاسلام قد امتدت اليها وهي على اتصال بالآراء الخرمية التي كانت في المنطقة الايرانية وبهذا الصدد يقول الطبري (وقد اتبع بعض النقباء خداشا حين جهر بالدعوة الى مذهب الخرمية في الوقت الذي ثار فيه السواد الاعظم منهم على هذا المذهب)[٨٢] مما دفع صاحب الدعوة محمد بن علي ان يتصل ويحتج على آراء خداش وينكر عليه وعليهم تلك الآراء فبعث اليهم (بعصي مضببة بعضها بالحديد وبعضها بالشبه فقدم بها بكير وجمع النقباء والشيعة ودفع الى كل رجل منهم عصاه فعلموا انهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا)[٨٣] .

ب ـ الحربية :

وهي الأخرى متفرعة من الهاشمية وهم (اتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وكان على دين البيانية في دعواها ان روح الاله تناسخت في

---

(٨٠) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص٢٠١-٢٠٢ .
(٨١) الطبري : التاريخ ج٣ ص ٤١٨ .
(٨٢) الطبري : ج٢ ص١٩٤ .
(٨٣) المصدر السابق ج٢ ص١٩٤ .

الانبياء والائمة ... ثم زعمت الحربية ان تلك الروح انتقلت من عبد الله بن محمد بن الحنفية الى عبد الله بن عمرو بن حرب)[٨٤] .

وقد نقلت هذه الفرقة الامامة من أبي هاشم الىٰ عبدالله بن عمرو بن حرب عن طريق الوصية وبهذا الصدد يقول الشهرستاني (ان أبا هاشم أوصى الى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وان الامامة خرجت من أبي هاشم الى عبدالله وتحولت روح أبي هاشم اليه)[٨٥] كما نقلت الالوهية عن طريق التناسخ ، وكأن أمر الامامة لا بد من تحقيقه عن طريق الوصية ليتسنى نقل الالوهية بعد اقرار الامامة .ودخلت هذه الفرقة الغلو الملحد بقولها في الحلول والتناسخ واشراكها مع الله سبحانه وتعالى آلهة أخرى .

ج ـ الجناحيـة :

قالت هذه الفرقة بانتقال الامامة من أبي هاشم (الى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب)[٨٦] . وقال عبد الله هذا (ان الارواح تتناسخ من شخص الى شخص وان الثواب والعقاب في هذه الاشخاص أما اشخاص بني آدم وأما أشخاص الحيوانات وقال وروح الله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه وادعى الالهية والنبوة معا وانه يعلم الغيب)[٨٧] .

وعن طريق القول بالتناسخ (كفروا بالقيامة لاعتقادهم ان التناسخ في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص)[٨٨] .

واستعملت هذه الفرقة التأويل من أجل هدم الدعائم العملية للاسلام فقالت في تأويل قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا ... الآية ، على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج من جميع ما يطعم ووصل الى الكمال والبلاغ)[٨٩] وقال الاشعري

---

(٨٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص٢٣٣ـ٢٣٤ .
(٨٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص٢٩٠ـ٢٩١ .
(٨٦) المصدر السابق : ص٢٩٢ـ٢٩٣ .
(٨٧) المصدر السابق : ص٢٩٢ـ٢٩٣ .
(٨٨) الشهرستاني : الملل والنحل ص٢٩٣ .
(٨٩) المصدر السابق : ص٢٩٣ .

في جانب من جوانب غلوهم (يزعمون ان عبد الله بن معاويــة كان يدعي ان العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة والعشب ، وان الأرواح تتناسخ وان روح الله جلّ اسمه كانت في آدم ثم تناسخت حتى صارت فيه ... وزعم انه رب وانه نبي فعبده شيعته ، وهم يكفرون بالقيامة ويدعون ان الدنيـــا لا تفنى ويستحلون الميتة والخمر وغيرهما من المحارم)[٩٠] .

وقال البغدادي في غلو هذه الفرقة ومناطق نشاطها وعلاقتها بفرقة المغيرية (وكان سبب اتباعهم له « أي عبدالله بن معاوية » ان المغيرية الذين تبرؤا من المغيرة بن سعيد بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي خرجوا مـــن الكوفة الى المدينة يطلبون اماما فلقيهم عبد الله بن معاوية بن عبد الله فبايعوه على امامتــه ورجعوا الى الكوفــة وحكوا لاتباعهم ان عبد الله بن معاوية زعم انه رب وان روح الاله كانت في آدم ثم في شيت ثم دارت للناس بتــلك الصورة ، وزعموا ان كل مؤمن يوحى اليه وتأولوا على ذلك قول الله تعــالى « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله »[٩١] أي بوحي منه اليه واســتدلوا أيضا بقوله تعالى « واذ أوحيت الى الحواريين »[٩٢] ، وادعوا في أنفسهم انهم هم الحواريون وذكروا قول الله تعالى « وأوحى ربك الى النحل »[٩٣] وقالوا اذا جاز الوحي الى النحل فالوحي الينا أولى بالجواز)[٩٤] .

ويقول الشاطبي في غلو هذه الفرقة أيضا (قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ، الارواح تتناسخ وكان روح الله في آدم ثم في شيث ثم في الانبياء ... والائمة حتى انتهت الى علي وأولاده الثلاثة ثم الـــى عبد الله هذا وهو حي بجبل باصفهان وانكر القيامة واستحل المحرمات)[٩٥] .

وبعد موت عبد الله بن معاوية هذا انقسمت فرقة الجناحية الى فريقــين (فمنهم من قال انه بعد حي لم يمت ويرجع ومنهم من قال بل مات وتحولــت

(٩٠) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٦٧ .
(٩١) آية ١٤٦ سورة آل عمران .
(٩٢) آية ١١٤ سورة المائدة .
(٩٣) آية ٦٨ سورة النحل .
(٩٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص٢٣٥-٢٣٦ .
(٩٥) الشاطبي : الاعتصام ج٣ ص٦٨ .

روحه الى « اسحاق بن زيد بن الحارث الانصاري وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه)[٩٦] •

د ـ الرزامية :

(اتباع رزام بن رزم ، ساقوا الامامة من علي الى ابنه محمد ثم الى ابي هاشم ثم منه الى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم ساقوها الى محمد بن علي وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم الامام وهو صاحب ابي مسلم)[٩٧] •

وقالت هذه الفرقة بالحلول (وادعوا حلول روح الاله فيه « في أبي مسلم » ••• وقالوا بتناسخ الارواح ، والمقنع الذي ادعى الالهية لنفسه على مخاريق اخرجها كان في الاول على هذا المذهب)[٩٨] •

ولهذا سميت هذه الفرقة لدى البعض بفرقة « ابى مسلمية » كما سميت لدى فريق آخر بفرقة « المقنعية » نسبة الى المقنع الذي أعلن تمرده على الدولة العباسية في عصرها الأول ، وأشار الشاطبي الى غلو هذه الفرقة بقوله (وقالوا الامامة لمحمد بن الحنفية ثم ابنه عبد الله ثم علي بن عبد الله بن العباس ثم أولاده الى المنصور ثم حل الاله في أبي مسلم وانه لم يقتل واستحلوا المحارم)[٩٩] •

هـ ـ البيانية :

هذه الفرقة هي الاخرى تعتبر من الفرق التي تفرعت عن فرقة الهاشمية وقد مر ذكرها في موضوع الفرق الغالية من هذا الفصل •

٧ ـ المنصورية :

المنصورية (اتباع ابي منصور العجلي)[١٠٠] قالت في البداية (ان الامام

---

(٩٦) الشهرستاني : الملل والنحل ص٢٩٣ •
(٩٧) المصدر السابق : ص٢٩٨ـ٢٩٩ •
(٩٨) المصدر السابق : ص٢٩٨ـ٢٩٩ •
(٩٩) الشاطبي : الاعتصام ج٣ ص٦٨ •
(١٠٠) البغدادي : الفرق بين الفرق ص٢٣٤ والاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٤ •

بعد محمد بن علي الباقر أبو منصور العجلي وان محمد بن علي انما أوصى الى أبي منصور دون بني هاشم)[١٠١] وحينما علم الباقر بدعوة أبي منصور هذا (تبرأ منه وطرده)[١٠٢] وحينما توفى الباقر قال أبو منصور (انتقلت الامامة الي وتظاهر بذلك)[١٠٣] . ولم يقف أبو منصور عند حدود الامامة انما صعد وادعى النبوة (وقالت فرقة منهم بنبوة ابي منصور العجلي)[١٠٤] واستعمل التأويل وسيلة لتفسير نبوته هذه فقال انه المراد بقوله تعالى (« وان يروا كسفا من السماء ساقطا » ... وانه عرج الى السماء وان الله تعالى مسح رأسه بيده وقال له ابني اذهب فبلغ عني)[١٠٥] . ثم (أهبطه الى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء)[١٠٦] بتفسير وتأويل أبي منصور .

ولم يقف ابو منصور عند ادعاء النبوة لنفسه انما جعلها مستمرة فأدعى (ان الرسل لا تنقطع أبدا والرسالة لا تنقطع)[١٠٧] وبذلك ناقض كون رسالة محمد خاتمة الرسائل . واستعمل التأويل لضرب وهدم بقية أركان الاسلام فأنكر المعاد حيث كفر (بالجنة والنار وزعم ان الجنة رجل والنار رجل واستحل الزنا وأحل ذلك لاصحابه ، وزعم ان الميتة والدم والخمر والميسر وغير ذلك من المحارم حلال وقال ان ذلك اسماء رجال حرم الله ولايتهم ، واسقط جميع الفرائض مثل الصلاة والزكاة والحج والصيام وقال ، هي أسماء رجال أوجب الله ولايتهم)[١٠٨] . وقد اولت هذه الفرقة آية قرآنية في تبرير القول في في تفسير غلوهم وتناقضهم العجيب كما في تأويل قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا)[١٠٩] ولم يقف غلوهم عند هذا الحد انما توجهوا الى المجتمع وعملوا فيه هدما وتخريبا فقد كانوا (يقتلون

---

(١٠١) أبو سعيد نشوان : الحور العين ، ص ١٦٨ .
(١٠٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٧٧ .
(١٠٣) المصدر السابق : ص٣٧٧ .
(١٠٤) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٤ ص١٨٤ .
(١٠٥) المصدر السابق : ج٤ ص ١٨٤ .
(١٠٦) الشهرستاني : الملل والنحل ص٣٧٨ .
(١٠٧) المصدر السابق : ص٣٧٨ .
(١٠٨) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص١٦٩ .
(١٠٩) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٤ .

من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعجل المؤمن الى الجنة والكافر الى النار)[١١٠] . ويقول فيهم الاشعري (واستحل خنق المنافقين وأخذ أموالهم)[١١١] . ويؤكد ذلك البغدادي بقوله (واستعملوا مع هذه الضلالة خنق مخالفيهم)[١١٢] وكان نشاط هذه الفرقة في الفترة الاموية (واستمرت فتنتهم على عادتهم الى أن وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في زمانه على عورات المنصورية فأخذ أبا منصور العجلي وصلبه)[١١٣] .

ويؤكد ذلك الاشعري (فأخذه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام بني أمية فقتله)[١١٤] .

وبعد مقتل أبي منصور (أفترقت المنصورية ... فرقتين حسينية ومحمدية فقالت الحسينية ان الامام بعد أبي منصور ولده الحسين بن أبي منصور وجعلوا له الخمس مما وقع في أيديهم من الخنق) .

وقالت المحمدية ان الامام بعد أبي منصور محمد بن عبدالله النفس الزكية لان أبا منصور قال أنا أنا مستودع وليس لي أن أضعها في غيري)[١١٥] .

أن نظرة الى أقوال وآراء هذه الفرقة كافية لادخالها في دائرة الغلو الملحد من أكثر من باب ، فهي لم تترك مبدأ من مبادىء الاسلام الا وعملت فيه تخريبا وهدما فاستحقت بذلك الدخول في حظيرة الكفر والالحاد .

٨ ـ الخطابية :

الخطابية (اصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الاسدي الاجدع مولى بني أسد)[١١٦] ، وقد اعتمد هذا في تحركه على شخصية الامام الصادق فقد (عزا نفسه الى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق ، رضى الله عنه فلما

---

(١١٠) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٤ ص١٨٥ـ١٨٦ .
(١١١) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٧٤ ـ ٧٥ .
(١١٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص٢٣٤ـ٢٣٥ .
(١١٣) المصدر السابق : ص٢٣٥ .
(١١٤) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٥ .
(١١٥) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص١٦٩ .
(١١٦) الشهرستاني : الملل والنحل ص٣٨٠ .

وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأمر اصحابه **بالبراءة منه**)[117] .

وأعلنت الخطابية (ان الامام بعد جعفر « الصادق » ابو الخطاب)[118]، وبعد هذا تجاوز الامر فصعد أبو الخطاب الى النبوة وادعاها (كلهم يزعمون ان الائمة أنبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان واحد ناطق والاخر صامت)[119] .

وأنتقل أبو الخطاب بعد ذلك الى المرتبة الاخيرة في درجات الغلو فادعى الوهية الائمة (وعبدوا أبا الخطاب وقالوا انه الههم وان جعفر بن محمد الههم أيضا الا أن أبا الخطاب أعظم من جعفر ومن علي)[120] .

وقد نقلوا الالوهية من الله سبحانه وتعالى الى الائمة وابنائهم عن طريق تأويل الآية القرآنية من قوله تعالى وفقا لهواهم فقالوا (ان عبادة الائمة واجبة وتأولوا في ذلك قول الله تعالى « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين »)[121] ويوضح الشهرستاني كيفية ذهابه الى أدعاء الوهية الائمة بقوله (والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ولا يخلو العالم من هذه الاثار والانوار)[122] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ذهبوا الى المجتمع فعملوا به هدما وتخريبا فجوزوا الكذب على مخالفيهم (فهم يرون الشهادة بالزور على من خالفهم)[123] ، وتجاوزوا ذلك أن أحلوا (دماء مخالفيهم وأموالهم ونساءهم)[124] .

لقد كان نشاط هذه الفرقة في مطلع العصر العباسي الاول في منطقة

---

(١١٧) المصدر السابق : ص٣٨٠ .
(١١٨) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص١٦٦ .
(١١٩) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٥ .
(١٢٠) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص١٦٦ .
(١٢١) المصدر السابق : ص١٦٧ .
(١٢٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص٣٨٢ .
(١٢٣) المقدسي : البدء والتاريخ ج٥ ص١٣١ .
(١٢٤) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص١٦٧ .

الكوفة وبهذا الصدد يقول الاشعري (وخرج ابو الخطاب على ابي جعفر فقتله عيسى بن موسى في سبخة الكوفة)[125] ، ويبدو ان هذه الفرقة كانت قوية واعدادها كبيرة وذلك واضح في أشارة ابن حزم اليهم (وكثر عددهم حتى تجاوزوا الالوف)[126] ومما يشير الى قوتهم انه بالرغم من مقتل قائدهم ، وملاحقة السلطة لهم ، فقد استمروا باسماء جديدة الى فترات متأخرة ومن أشهر هذه الفرق التي تفرعت عن الخطابية الفرق الاتية :—

أ ـ المعمرية :

نسبة الى (رجل يقال له معمر)[127] كان (بائع حنطة بالكوفة)[128] وزعموا (ان الدنيا لا تفنى وإن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية وان النار هي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية)[129] ، وقالوا (بالتناسخ وانهم لا يموتون ... واستحلوا الخمر واستحلوا سائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة)[130] .

ب ـ البزيغية :

(أصحاب بزيغ بن موسى)[131] وزعم هذا (ان جعفرا هو الاله أي ظهر الاله بصورته للخلف ، وزعم ان كل مؤمن يوحى اليه من الله)[132] ، واستعمل التأويل من أجل أن يهدم مبدأ النبوة ، فقال في قوله تعالى (وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله) أي يوحى اليه من الله وكذلك قوله تعالى « وأوحى ربك الى النحل »[133] ، وتوجهوا الى الملائكة والرسول محمد وادعوا (ان منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد ، وزعموا انه لا يموت منهم

---

(١٢٥) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٧ .
(١٢٦) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٤ ص١٨٧ .
(١٢٧) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص٣٨٢ .
(١٢٨) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٤ ص١٨٦ .
(١٢٩) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص٣٨٢ .
(١٣٠) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٧ .
(١٣١) المصدر السابق ص٧٧ .
(١٣٢) الشهرستاني : ص٣٨٣ .
(١٣٣) المصدر السابق : ٣٨٣ .

أحد ، وان أحدهم اذا بلغت عبادته رفع الى الملكوت وادعوا معاينة أمواتهم وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشية)(١٣٤) .

ج ـ العميريـــة :

نسبة الى (عمير بن بيان العجلي)(١٣٥) وقد التفوا حول جعفر الصادق (ع) (وضربوا لهم خيمة في كناسة الكوفة(١٣٦) ثم اجتمعوا يلبـون لجعفـر ويدعون الى عبادته)(١٣٧) وقد اعترفوا بأنهم يموتون ولايزال منهم خلق في الارض أئمة وانبياء) (١٣٨) وبذلك فهم اختلفوا عن الفرقـة الســابقة وهي (تكذب من قال منهم أنهم لايموتون)(١٣٩) .

وكان نشاط هذه الفرقة في أيام الامويين وقد طاردهم والي العــراق أبن هبيرة وفي ذلك يقول الشهرستاني (وحينما رفع خبرهم الى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ عميرا فصلبه في كناسة(١٤٠) الكوفة)(١٤١) .

د ـ المفضليـــة :

نسبة الى (مفضل الصيرفي)(١٤٢) كانوا (يقولون بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته)(١٤٣) وادعى المفضل النبوة له ولجماعته (وانتحلوا النبــوة والرسالة)(١٤٤) وقد امتد نشاط هذه الفرقة حتى وصل الى القرن الرابـع الهجري حيث أشار الاشعري الى نشاطهم في حياته فقال (وقد قال في عصرنا هذا قائلون بالاهية سلمان الفارسي ومن النساك من الصوفية من يقول بالحلول

---

(١٣٤) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٨ .
(١٣٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص٣٨٤ .
(١٣٦) محلة من محلات الكوفة كانت تنافس المربد في نشاطه الفكري .
(١٣٧) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص١٦٧ .
(١٣٨) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص١٦٧ .
(١٣٩) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٨ .
(١٤٠) وفي هذه المحلة ايضا قتل زيد بن علي على يد يوسف بن عمر الثقفي .
(١٤١) الشهرستاني : الملل والنحل ص٣٨٤ .
(١٤٢) المصدر السابق : ص٣٨٤ .
(١٤٣) المصدر السابق ص٣٨٤ .
(١٤٤) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص٧٩ .

وان الباري يحل في الاشخاص وانه جائز ان يحل في أنسان وسبع وغير ذلك من الاشخاص)(١٤٥) •

٩ ـ الكامليـــة :

الكاملية (اتباع أبي كامل)(١٤٦) ولم يذكر كتاب الفرق بقية اسمه(١٤٧) ومن أقوال هذه الفرقة الغالية (ان الصحابة كلهم كفروا بتركهم بيعة علي وكفر علي ايضا بتركه قتالهم)(١٤٨) •

ومن أقوال أبي كامل ان (الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك النور في شخص يكون «نبوة» وفي شخص يكون امامة ••• وقـال بتناسخ الارواح وقت الموت)(١٤٩) •

ومن المحسوبين على هذه الفرقة (بشار بن برد الشاعر ••• ولما سئل عن الصحابة فقال كفروا فقيل ما تقول في علي فانشد قول الشاعر :

وما شـر الثلاثـة أم عمـــرو بصاحبك الذي لاتصبحينا)(١٥٠)

وان نشاط هذه الفرقة كان في العصر العباسي الاول حيث ان بشار قتل في أيام (المهدي بن أبي جعفر المنصـور الخليفـة حتى غرقـه واتبـاعه في دجلة)(١٥١) •

١٠ ـ الغرابيـــة :

(قوم زعموا أن الله عز وجل أرسل جبريل عليه السلام الى علي فغلط

---

(١٤٥) المصدر السابق : ص٨٠ •
(١٤٦) الاسفراييني : التبصير في الدين ص٢٠ •
(١٤٧) انظر : التبصير في الدين ص٢٠ ، والحور العين : ص١٥٥ ، والاعتصام ج٣ ص٦٧ •
(١٤٨) الاسفراييني : التبصير في الدين ص٢٠ •
(١٤٩) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٦٨ •
(١٥٠) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٢١ •
(١٥١) المصدر السابق : ص ٢١ •

في طريقه فذهب الى محمد لانه كان يشبهه وقالوا كان أشبه به من الغراب بالغراب والذباب بالذباب)[152] .

ومن غلوهم أنهم (يلعنون جبريل ومحمد عليهما السلام)[153] ، ولم تشر المصادر الاخرى الى ما ذهب اليه البغدادي أعلاه فالشاطبي يكتفي بالقول أنهم (قالوا محمد بعلي أشبه من الغراب بالغراب فغلط جبريل من علي الى محمد)[154] . فكأن الشاطبي وكذلك أبو سعيد نشوان وقفا عند عرض رأي الغرابية بخطأ جبريل بالشبه القائم بين محمد (ص) وعلي (رض) في حين أن الخطأ من الملائكة المبعوثين من الله سبحانه وتعالى لا يجوز وقوعه وان القول بخطأ جبريل بسبب التشابه قول يدخل قائله دائرة الكفر لانه لا يجوز على الله الخطأ وفي ذلك أنتقاص من قدرة الله عز وجل .

لم تشر المصادر الى نشاط هؤلاء والى ساحة عملهم ولا الى قوتهم كما أن محصلة أفكارهم وأقوالهم محدودة لا تعدو القول بالتشابه بين محمد (ص) وعلي (رض) وان جبريل قد اخطأ في نقل الرسالة ولا شك ان قولهم هذا يخرجهم عن دائرة الاسلام الى دائرة الكفر وبهذا الصدد يقول البغدادي (من هذا تحقيق أسم الكافر لمبغض بعض الملائكة ولا يجوز ادخال من سماهم الله كافرين في جملة فرق المسلمين)[155] .

١١ ـ اللمية :

واحدة من الفرق الغالية تشبه فرقةالغرابية فهم (يذمون جبريل ويقولون كان مأمورا بالنزول الى علي فنزل الى محمد)[156] .

ويذهب البغدادي[157] والشاطبي[158] الى أبعد مما ذهب اليه ابن

---

(١٥٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٧ .
(١٥٣) المصدر السابق : ص ٢٣٨ .
(١٥٤) أنظر الحور العين : ص ١٥٥ والاعتصام ج٣/ ص ٦٨ .
(١٥٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٨ .
(١٥٦) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٠٤ .
(١٥٧) أنظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٩ .
(١٥٨) أنظر الاعتصام ج ٣/ص ٦٨ .

ابن الجوزي (وأما الذمية منهم فقوم زعموا ان عليا هو الله وشتموا محمدا وزعموا أن عليا بعثه ليثني عنه فأدعى الأمر لنفسه)[١٥٩] •

ويسمى الشهرستاني هذه الفرقة « العلبائية » نسبة الى (العلباء بن ذراع الدوسي وكان يفضل عليا على النبي (ص) وزعم انه الذي بعث محمدا يعني « عليا » وسماه الها)[١٦٠] •

وقد تخبطت هذه الفرقة في أقوال متناقضة ، فهي مرة تذم محمدا (ص) ومرة أخرى تقول بالهية محمد وعلي ومرة أخرى يقدمون عليا في أحكام الالهية ويسمونهم العينية ومنهم من قال بالالهية لجملة اشخاص هم أصحاب الكساء (محمد وعلي ، وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر)[١٦١] •

ويسمي الاشعري هذه الفرقة « الشريعية » ويقول فيها ما يقوله الشهرستاني في العلبائية مما يشير الى أن الفرقتين فرقة واحدة، يقول الاشعري (اصحاب الشريعي يزعمون ان الله حل في خمسة أشخاص ، في النبي ، وفي علي ، وفي الحسن ، وفي الحسين ، وفي فاطمة فهؤلاء آلهة عندهم ، وليس يطعن أصحاب الشريعي على النبي (ص) ولا يقولون عنه الذي ذكرناه قبلهم « أي في شتم محمد »[١٦٢] • وواضح أن ما ذكره الاشعري عن الشريعية هو ما قالت به فرقة العلبائية •

١٢ ـ الاسماعيلية :

فرقة من أبرز وأكبر الفرق الغالية التي عملت في دائرة الشيعة وبداية عملها كان دعواها (ان جعفرا نص على ولده اسماعيل انه الامام بعده وجعل الوصية اليه لانه كان أسن ولده وآثرهم عنده فمات اسماعيل في حياة أبيه)[١٦٣]

وقد أختلفت الاسماعيلية ، عن الامامية ، والموسوية بنقلها الامامة الى

(١٥٩) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٩ •
(١٦٠) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٧٠ •
(١٦١) المصدر السابق : ص ٣٧٠ ـ ٣٧٢ •
(١٦٢) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٨٤ •
(١٦٣) نشوان الحميري : الحور العين ص ١٦٢ •

اسماعيل الذي توفى في حياة أبيه وبهذا خرجت عن فرقة الشيعة الامامية وعملت بخط آخر يتعارض والامامية ، وبهذا الصدد يقول الشهرستاني (ان الاسماعيلية أمتازت عن الموسوية وعن الاثني عشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر)[١٦٤] ولما كان اسماعيل قد مات في حياة أبيه فأن هذا دفع هذه الفرقة الى وضع آراء متعددة من أجل مواصلة العمل من خلال هذه الشخصية فقال فريق منهم (انه لم يمت ولكنه أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل)[١٦٥] ، وقد نسبوا الى الامام جعفر الصادق قوله في ابنه اسماعيل (وانه حي لم يمت حتى يملك الارض ويكون اماما بعد أبيه واحتجوا بأن جعفرا قال : ما كان الله ليبدو له عليّ في امامة اسماعيل)[١٦٦] ويبدو أنهذا القول المنسوب الىالامام جعفر الصادق محرف ، اذ لا يمكن للامام أن يقول مثل هذا القول وهو على مكانته من الدين والعلم .

وحينما ادركت هذه الفرقة ان موت اسماعيل كان أمرا واقعا وان فرض عدم موته تقية لا يجدي ادّعت امامة ابنه محمد وبهذا الصدد يقول الاسفراييني (وهم يزعمون ان الامامة صارت من جعفر الى أبنه اسماعيل وكذبهم في هذه المقالة جميع أهل التواريخ لما صح عندهم من موت اسماعيل قبل ابيه جعفر ، وقوم من هذه الطائفة يقولون بامامةمحمد بن اسماعيل وهذا مذهب الاسماعيلية من الباطنية)[١٦٧] ، وبحكم هذا التخبط في مصير اسماعيل والقول في موته حينا وعدم موته حينا آخر والعمل من خلال ابنه محمد حينا ثالثا مع انتقال الامامة من جعفر الصادق الى أبنه موسى الكاظم ، فأن هذه الفرقة عملت من خلال عدة أشخاص ورفعت اسماء كثيرة عملت بها واشهر هذه التسميات التي اطلقت على هذه الفرقة هي :

الباطنية ـ سموا بذلك لانهم يدعون (بأن لكل ظاهرة باطنا ولكل تنزيل تأويلا)[١٦٨] ..

---

(١٦٤) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٢١ .
(١٦٥) المصدر السابق : ص ٤٢٢ .
(١٦٦) أبو سعيد نشوان الحميري : الحور العين ص ١٦٢ .
(١٦٧) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٢٣ .
(١٦٨) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٢٦ .

الاسماعيلية ـ « نسبوا الى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل بن جعفر ويزعمون ان دور الامامة انتهى اليه »)[١٦٩] ..

السبعية ـ « لقبوا بذلك لامرين احدهما اعتقادهم أن دور الامامة سبعة سبعة ... والثاني لقولهم ان تدبير العالم السفلي منوط بالكواكب السبعة ، زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد ثم القمر »[١٧٠]

البابكية ـ اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمي وكان من الباطنية ... وسموا بالمحمرة لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ولبسوها ...

القرامطة ـ نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط ...

التعليمية ـ ولقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم ابطال الرأي وافساد تصرف العقول ودعاء الخلق الى التعليم من الامام المعصوم وانه لا يدرك العلوم الا بالتعليم)[١٧١] .

وقد غلت الاسماعيلية غلواً اخرجها من دائرة الاسلام على الرغم من حرصها على العمل في اطاره والتستر على غلوها بستار كثيف من التأويل على أوسع نطاق لهدم اركان الاسلام كلها وبهذا الصدد يقول فيهم محمد بن مالك اليماني (ويلبسون على كل جاهل بكلمة حق يراد بها باطل يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه فيقيم أكثر من سنة يمنعون وينظرون صبره كشف عن السرائر ولاترضى لنفسك ولا تقنع بما يقنع العوام من الظواهر وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله واعرف معاني الصلاة والطهارة)[١٧٢] .

وقد واصلوا استعمال التأويل فقالوا في تأويل الزكاة والصلاة (قال الله تعالى « اقيموا الصلاة واتوا الزكاة » فالزكاة مفروضة في كل عام مرة وكذلك

---

(١٦٩) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٠٨ .
(١٧٠) المصدر السابق : ص ١٠٨ ـ ١١٠ .
(١٧١) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٠٨ ـ ١١٢ .
(١٧٢) محمد بن مالك اليماني : كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة ص ١٩٤

الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار وايضا فالصلاة والزكاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجان وما خلق الله من ظاهر الا وله باطن يدل على ذلك « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » و « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن »)(١٧٣) .

ويؤكد أبو المعالي محمد الحسيني العلوي ان القرامطة الذين هم امتداد للاسماعيلية ينكرون الخالق (والقرامطة والزنادقة والاباحية مجمعون على نفي الصانع)(١٧٤) .

ومن تأويلات هذه الفرقة التي هدفت هدم الرسالة قولهم (ان النبي عليه السلام أب المؤمنين وأن عليا أمهم وأن النبي حلّ في علي بالعلم والمعرفة فتولد منهما سويا العلم الباطن)(١٧٥) .

وتوجهوا الى النبوة واستعملوا التأويل في هدم هذا المبدأ وانكاره وسحبه الى عدد آخر من غير الرسول الكريم فقالوا (ان النطقاء بالشرائع أي الرسل سبعة : آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومحمد المهدي سابع النطقاء وبين كل اثنين سبعة أئمة)(١٧٦) .

وقد توجهوا الى مبدأ الامامة وعملوا به تخريبا وبهذا الصدد يقول فيهم الدكتور حسن ابراهيم حسن (وقد ابتدع الاسماعيلية نظريات كثيرة للامامة ترمي في مجموعها الى تقديس شخص الامام الاسماعيلي مستورا كان أم ظاهرا ... ونادوا بعصمة الائمة واستتارهم وظهورهم كما بحثوا الاستقرار والاستيداع الاماميين وفرقوا بين الامام المستقر والامام المستودع ... ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان الغرض الاساسي من نظرية الاستيداع الامامي ومقارعة الاثني عشرية وابطال ادعائهم ان موسى الكاظم نال الامامة بعد جعفر الصادق فأن المعتدلين من الاسماعيلية يقرون بأن موسى الكاظم كان مع محمد بن اسماعيل كالحسن بن علي مع أخيه الحسين

---

(١٧٣) المصدر السابق : ص ١٩٣ .
(١٧٤) أبو المعالي محمد الحسيني العلوي: بيان الاديان ص ٣٠ (الترجمة العربية) .
(١٧٥) المصدر السابق : ص ٤٢ .
(١٧٦) الشاطبي : الاعتصام ج ٣ / ص ٦٨ .

وأبنائه فكما أن الحسن كان أماما مستودعا للحسين وابنائه كذلك كان موسى الكاظم لامامة محمد بن اسماعيل وابنائه ، والواقع ان الاسماعيلية استخدموا نظرية الاستيداع الامامي لمقاومة الاثني عشرية وابطال حقهم في الامامة من جهة وجذبهم الى المذهب الاسماعيلي من جهة أخرى لانهم أقروا للاثني عشرية بامامة موسى الكاظم ولكنهم في الوقت نفسه نفوها عن أبنائه)[177] ٠

وعن طريق التأويل والاستفادة من الفلسفة وبخاصة « نظرية الفيض الافلاطونية » قالوا بنظرية العقل الكلي وما يتفرع عنها من أفكار تؤدي الى ما يؤدي اليه القول بالحلول من انتقال الالوهية الى أكثر من واحد وبهذا الصدد يقول جولدتسيهر : (فوضعوا بذلك نظاما فلسفيا هو صورة تاريخية منعكسة لنظرية الفيض الكوني التي وضحتها هذه الفلسفة ... وكل مظهر من هذه المظاهر الدورية للعقل الكلي يبدو في وقته حتى يكمل انجاز العمل الذي أداه المظهر السابق أي أن الوحي الالهي لا ينقطع ولا ينتهي في فترة زمنية معينة من فترات الخليقة)[178] ٠

ان نظرة الى أقوال هذه الفرقة والى التنظيمات التي عملت بها والى قدرتها على تأسيس دولة لها هي دولة « الفاطميين في مصر » ترينا ان كثيرا من الفرق الغالية قد انضمت الى هذه الفرقة وعملت في ركابها لانها وجدت فيها السعة والقوة والتنظيم الذي يستطيع ان يحقق لتلك الفرق أهدافها التي كانت تعمل لها ، ولذلك نجد ان هذه الفرقة قد احتوت فرقا عدة وامتد نشاطها في شمال افريقيا وفي المشرق ٠

١٣ ـ فرقة القرامطة :

وهي من الفرق الغالية وضع اسسها (حماد قرمط وعبدالله بن ميمون القداح)[179] وقد أختلف المؤرخون في أصل قرمط ، فالطبري يرى (ان ابتداء امرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف وقد مرض فاعتنى به رجل يعمل على أثوار احمر العينين وكان اهل القرية

---

(١٧٧) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٨٠ـ٢٨٨
(١٧٨) جولدتسيهر : العقيدة والشريعة ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ (الترجمة العربية) ٠
(١٧٩) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٢٩ ٠

يسمونه كرميتية وهو (بالنبطية احمر العينين) [180] وخففت كرميتية حتى اصبحت قرميطية ومنها جاءت لفظة القرامطة . ويذهب الدهلوي الى رأي آخر حول اصل كلمة « القرامطة » فيقول (وقيل ان قرمط اسم لقرية من قرى واسط منها حمدان المخترع وهو قرمطي واتباعه قرامطة)[181] والذي يبدو لنا ان ما ذهب اليه الطبري هو الراجح . وكان بدء ظهور القرامطة في أيام المأمون واشتد نشاطهم وتوسع بعد ذلك[182] .

والقرامطة من الفرق الباطنية التي قالت (بان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا) [183] . وذهبوا الى القول (ان كل من عمل بالباطن دون الظاهر فليس هو مأمون ومن عمل بالباطن والظاهر فهو الموفق) [184] .

ولقد تسترت حركة القرامطة بالاسماعيلية وقالت في البداية بما قالت به هذه الفرقة في امامة اسماعيل حيث ادعت (ان جعفر نص على ولده اسماعيل انه الامام بعده وجعل الوصية اليه لانه كان اسن ولده وآثرهم عنده فمات اسماعيل في حياة ابيه) [185] ، وعن طريق تسترها بالاسماعيلية استغلت مبدأ التأويل استغلالا واسعا فقالت (ان معجزة النبي الصادق ليست غير اشياء تنتظم بها السياسة الجمهور فينتظم بذلك النبي شريعة يتبعها الناس ... والعالم عندهم ناطق الشريعة والامام ناطق الحقيقة وهو المبدع الكلي) [186] .ومن تأويلاتهم الغالية التي ارادوا بها هدم العقيدة الاسلامية قولهم في الزكاة والصلاة والحج (قال الله تعالى « اقيموا الصلاة واتوا الزكاة » فالزكاة مفروضة في كل عام مرة وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد اقام الصلاة بغير تكرار ايضا فالصلاة والزكاة لهما باطن لان الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجان وما خلق الله من ظاهر

---

(١٨٠) الطبري : ج ١١ ص ٣٣٧ .
(١٨١) الدهلوي : مختصر التحفة الاثنى العشرية ص ١٧ .
(١٨٢) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ٤١ .
(١٨٣) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٢٦ .
(١٨٤) خمس رسائل اسماعيلية : الرسالة الثانية ص ١٢٦ .
(١٨٥) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٨٤ .
(١٨٦) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص ٤٣ ـ ٤٤ .

إلا وله باطن يدل على ذلك « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » و « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن »)[187] .

ومن استعمالاتهم لمبدأ التأويل بشكل يدفع الى الغلو والالحاد ما يذكره فيهم محمد بن مالك اليماني في كتابه (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) وقد أشرت الى ما ذكره عن غلوهم في الصفحة (١٠٧) من كتابي هذا . ومما ذكره اليماني فى هذا الصدد قوله : (ولا تقنع بما يقنع به العوام من الظواهر وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله واعرف معاني الصلاة والطهارة)[188] ومن غلوهم قولهم (... واشهد ان محمداً رسول الله واشهد ان احمد بن محمد بن الحنفية رسول الله.. والقبلة الى بيت المقدس والحج الى بيت المقدس ويوم الجمعة الاثنين لا يعمل فيه شيء) [189] ومن مبادئهم الغالية قولهم (ان الصوم يومان في السنة وهما المهرجان والنوروز ... ولا غسل من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة)[190] . وذهبت القرامطة الى الغاء مبدأ المعاد عن طريق التأويل (فانكرت المعاد وما يتصل به من حساب وجنة ونار)[191] .

وذهب القرامطة الى مهاجمة المسلمين وهم في موسم الحج وقتلوا اعدادا كبيرة منهم ، كما هدموا (قبة زمزم وخلعوا الحجر الاسود واخذوه الى بلادهم فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة)[192] .

كما ذهبت القرامطة الى هدم المجتمع عن طريق اباحة المحرمات ، فقالت (وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له اخت او بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي ،

---

(١٨٧) محمد بن مالك اليماني : كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ص١٩٣
(١٨٨) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
(١٨٩) الطبري : ج ١٠ ص ٢٤ ــ ٢٧ .
(١٩٠) المصدر السابق : ج ١٠ ص ٩٥ .
(١٩١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٧٧ .
(١٩٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

وما حرمه ذلك الا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الاله الذي يزعمون)[١٩٣] .

ثانيا ـ الفرق الغالية في نطاق الخوارج :

الخوارج : قوم كانوا مع الامام علي (رض) في وقعة صفين وخرجوا من جنده وقد أختلف المؤرخون في تعيين بدء خروجهم فيرى بعضهم أن ذلك كان عند قبول الامام علي أمر التحكيم وفي هذا الصدد يقول ابن الجوزي (... وذلك أنه لما طالت الحرب بين معاوية وعلى (رضى الله عنهما) رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب علي الى ما فيها ... فقال الناس قد رضينا ... وأخر القضاء الى رمضان فقال عروة بن أذينة تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم الا لله ، ورجع علي من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فاتوا حروراء فنزل بها منهم أثنا عشر ألفا)[١٩٤] . وواضح أن هؤلاء قد خرجوا من جند الامام علي قبل صدور نتائج التحكيم .

ويذهب فريق آخر الى أن خروجهم كان بعد نتائج التحكيم وبهذا الصدد يقول أبو المعالي العلوي (... فتجمعت أثناء ذلك فرقة من أصحاب علي وقالوا لماذا رضى علي بحكم الحكمين هذا ولماذا أعرض عن حكم الله لقد كفر بما فعل ولزم علينا أن نحاربه حتى يسلم مرة أخرى ويتوب عن هذا الاثم أو نقتله)[١٩٥] ، فهذا النص يشير الى أن خروجهم كان بعد صدور قرار التحكيم والذي نراه ان فريقا من الخوارج قد خرج عند قبول الامام علي بالتحكيم وجماعة أخرى خرجت بعد صدور قرار التحكيم .

ويذهب بعض المؤرخين الى أن بداية الخوارج قد برزت منذ أيام الرسول محمد (ص) فقد (كان مرّ على النبي (ص) ذو الثدية وهو يقسم غنائم بدر فقال له أعدل يا محمد فقال عليه الصلاة والسلام : خبت وخسرت اذا من يعدل ثم قال : انه يخرج من ضئضيء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق

---

(١٩٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .
(١٩٤) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٩٦ .
(١٩٥) أبو المعالى العلوي : بيان الاديان ص ٤٨ .

السهم من الرمية)[١٩٦] وان « ذو الثدية » هذا كان المحرك والمؤسس لفرقة الخوارج ، وعلى الرغم من قدم هذه الحادثة فأننا لم نلمس نشاطا لذي الثدية هذا بعد هذه الحادثة لا في أيام الرسول ولا في فترة الخلفاء الراشدين ، ونحن مع تسليمنا بأن مثل هذه الآراء قد ظهرت وتظهر من أمثال هذا وغيره حيث ان القرآن الكريم أشار في أكثر من آية الى هؤلاء الا" أن الذي يبدو لنا أن ربط الخوارج بهذه الحادثة مسألة لا تؤيدها الاحداث التاريخيـة وان الخوارج كظاهرة سياسية ودينية متميزة قامت على أثر موقعة صفين وما أسفر عنها من قيام التحكيم وتتائجه بين الطرفين المتحاربين ٠

الآراء الخاصة بالخوارج :

أشهر الآراء التي يلتقي عليها الخوارج والتي هي عند سائر فرقهم أو كلها ما أشار اليه الاشعري بقوله (أجمعت الخوارج على أكفار علي بن أبي طالب « رضوان الله عليه » أن حكم ، وهم مختلفون ، هل كفره شرك أم لا واجمعوا على أن كل كبيرة كفر الا النجدات ، فأنها لا تقول ذلك واجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما الا النجدات ٠)[١٩٧]

ويضيف الاسفراييني الى آرائهم هذه قوله (وكلهم متفقون على أمرين ٠٠٠ أحدهما أنهم يزعمون أن عليا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضى بالحكمين كفروا كلهم ٠٠٠ والثاني أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبا من أمة محمد فهو كافر ويكون في النار مخلدا الا النجدات ٠٠٠ قالـوا ان الفاسق كافر على معنى أنه كافر نعمة ربه ٠٠٠ ومما يجمعهم أيضا تجويزهـم الخروج على الامام الجائر)[١٩٨] ٠

ويذهب البغدادي الى أن الذي أجمعت عليه الخوارج (وجوب الخروج على السلطان الجائر)[١٩٩] وليس جواز الخروج كما ذهب الاسفراييني ٠

---

(١٩٦) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ٢٩ ٠
(١٩٧) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ١٥٦ ــ ١٥٧ ٠
(١٩٨) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ٢٦ ٠
(١٩٩) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٥ ٠

ويحدد المقدسي أن الخوارج لم يكفروا كل حياة عثمان وفي ذلك يقول (الست سنين من خلافة عثمان بن عفان الفترة التي تبرأوا منها وليست أيامه كلها)[٢٠٠] .

ويحدد ابن حزم المبادىء المشتركة للخوارج بالنقاط الآتية : (ومن وافق الخوارج في أنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على ائمة الجور وان أصحاب الكبائر مخلدون في النار وان الامامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما أختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيا)[٢٠١] .

والسؤال الذي يفرض نفسه ونحن نستعرض آراء الخوارج ونبحث في الغلو الكافر ، هل في هذه الآراء ما يخرج الخوارج من دائرة الاسلام ويدخلهم في دائرة الكفر ؟ بعض كتاب الفرق اخرجوهم عن دائرة الاسلام فقال الاسفراييني فيهم (والكفر لامحالة لازم لهم لتكفيرهم أصحاب رسول الله «ص»)[٢٠٢] .

ويعتبر البغدادي فرق الخوارج كلها عدا فرقتين منها ضمن فرق الامة[٢٠٣]

والاسفراييني يعود ثانية في مكان آخر من كتابه فيعتبر جملة فرق الخوارج ضمن الفرق الاسلامية عدا فرقتين منها هما : فرقة اليزيدية ، والميمونية[٢٠٤] . والذي نراه ان الفرق الاسلامية ومنها السنة والشيعة قد استندت الى آيات من القرآن الكريم والى أحاديث الرسول الذي حدد أركان الاسلام بأربعة أركان أساسية بها تتعين أسلامية المسلم وايمانه وهي . الايمان بالله ورسله واليوم الآخر وبالاركان العملية وهي : الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد والتي أضافت الشيعة الامامية اليها مبدأ الامامة وأكدت أن الايمان بالمبادىء الاربعة السابقة وعدم الاخذ بالمبدأ الخامس « مبدأ الامامة » لا يخرج الانسان المسلم عن أسلامه وايمانه[٢٠٥] واذا نظرنا الى آراء الخوارج في ضوء هذه

---

(٢٠٠) المقدسي البدء والتاريخ ج ٥/ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .
(٢٠١) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ٢/ص ١١٣ .
(٢٠٢) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ٢٦ .
(٢٠٣) أنظر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٤ ـ ٥٥ .
(٢٠٤) أنظر الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ١٥ .
(٢٠٥) أنظر آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ٨١ .

المبادىء فأن آراء الخوارج لم يكن فيها خروج عن الاركان الثلاثة الاساسية المتعلقة بالايمان ولا عن الركن الرابع المتعلق بالدعائم العملية فهي بذلك لا تخرج عن دائرة الاسلام ، أما في موقفها من الامام علي ومن الامامة فأنها قد ناقضت هذا المبدأ وذهبت في الغلو به ومناقضته الى ما يدخلها في دائرة الغلو الذي كان ولا زال موضع نقاش : هل هو غلو كافر أم غلو غير كافر •

واذا طبقنا المقاييس التي أتفق عليها من قبل الفرق الاسلامية وبخاصة فرقتي السنة والشيعة في تحديد الايمان والاسلام ونقيضهما الكفر والألحاد فأن معظم الفرق التي عملت في نطاق الخوارج تبقى في الدائرة الاسلامية ويخرج عن هذه الدائرة عدد كبير من فرقهم المعروفة • فلقد توزعت الخوارج الى حوالي عشرين فرقة كلها قالت بالآراء التي أتينا على ذكرها في الصفحات السابقة وهذه الفرق هي (المحكمة الاولى ، الازارقة ، والنجدات ، والصفرية ثم العجاردة وافترقت فرقا منها الخازمية ، والشعيبية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والصلتية ، والاخنسية ، والشيبية ، والشيبانية ، والمعبدية ، والراشدية ، والمكرمية ، والخمرية ، والشمراخية ، والابراهيمية ، والواقفة ، والاباضية منهم أفترقت فرقا معظمها فريقان حفصية وحارثية ، فاما اليزيدية من الاباضية والميمونية من العجاردة فأنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الامة)[٢٠٦] •

ويروي المقدسي أسماء فرق الخوارج بشكل يختلف قليلا عما ذكره البغدادي[٢٠٧] وتسمى الخوارج بأسماء أخرى وفي هذا يقول المقدسي (ويجمعهم كلهم أسم الخوارج ، والشراة ، والحرورية ، والحكمية ، ولقبهم المذموم المارقة)[٢٠٨] •

وقد انتشرت فرق الخوارج على طول الارض الاسلامية وقد تغلبوا على أراضي وكور واسعة وبهذا الصدد يقول الاشعري (والكور التي الغالب عليها

---

(٢٠٦) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٤ ـ ٥٥ •
(٢٠٧) أنظر المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥/ص ١٣٤ ـ ١٣٥ •
(٢٠٨) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥/ص ١٣٥ •

الخارجية ، الجزيرة والموصل وعمان وحضرموت ونواخ من نواحي المغرب ونواح من نواحي خراسان)[٢٠٩] .

الا" أن الفرق التي غلت من حركة الخوارج وخرجت من دائرة الاسلام هي :

١ ـ الميمونيـــة :

فرقة تفرعت عن فرقة العجاردة وبهذا يقول البغدادي (ثم العجـاردة المفترقة فرقا منها ... والميمونية من العجاردة)[٢١٠] .

وهذه الفرقة تنسب الى (أمامهم ميمون وقيل أن ميمونا رجل من أهل بلخ)[٢١١]. ويضيف التهانوي الىأسمميمون اسمأبيه فيقول (أصحابميمون بن عمران)[٢١٢] . ومن أبرز آراء هذه الفرقة الغالية أنهم يجيزون نكاح بنات البنين وبنات بنات البنات ، وبنات بنات الاخوات ، وبنات بني الاخوة ويقولون أن الله حرم نكاح البنات والاخوات وبنات الاخ وبنات الاخت وأحل ما وراء ذلك) [٢١٣] . وقالوا (ليست سورة يوســف من القرآن ، ولا حاميم عـين سين قاف)[٢١٤] . وقد انتشرت هذه الفرقة (بخراسان وسجستان)[٢١٥] .

آراء المميونية هذه آراء غالية كافرة حكم فيهم الاسفراييني قائلا (ومن جملة العجاردة فرقة يقال لهم الميمونية ولا يعدون في فرق المسلمين)[٢١٦] . ويؤكد البغدادي خروج هذه الفرقة عن الاسلام بقوله والميمونية من العجاردة ... من غلاة الكفرة الخارجينعن فرقة الامة)[٢١٧] .

---

(٢٠٩) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١/ص ٢٩١ .
(٢١٠) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٤ ـ ٥٥ .
(٢١١) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٧١ .
(٢١٢) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ج ٢ / ص ١٥٥٠ .
(٢١٣) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٧١ .
(٢١٤) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥/ص ١٣٥ .
(٢١٥) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٧١ .
(٢١٦) التبصير في الدين : ص ١٥ .
(٢١٧) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٥ .

٢ ـ الحفصـــــية :

فرقة متفرعة عن الاباضية ويعتبر البغدادي الحفصية أشهر فرق الاباضية (والاباضية افترقت فرقا معظمها فريقان حفصية وحارثية)[٢١٨] ، والحفصية هم (أصحاب حفص ابن أبي المقدام)[٢١٩] ، وقد غلت هذه الفرقة غلوا صريحا حيث قالت (ليس بين الكفر والايمان الا" معرفة الله فمن عرفه فهو مؤمـــن وأن كان كافرا بالرسول وبالجنة والنار واستحل جميع المحرمات كالقتل والزنا واللواط والسرقة ولكنه بريء من الشرك)[٢٢٠] ، لقد حاولت هذه الفرقة أن تفرق بين الشرك وبين الايمان وقد أعتبرت معرفة الله كفيلة بتحقيق ذلك في حين أن شرط الايمان في الاسلام شرط سابق للمعرفة وهو واجب سواء تحققت المعرفة أم لم تتحقق سيما وأمر معرفة الله من أصعب وأكثر الامور تعقيـــدا ، ولو فرضنا أن المعرفة والايمان بالله قد تحققت عند الانسان فهناك ركنـــان آخران من أركان الايمان يجب توفرهما في المسلم المؤمن وهما الايمان بالرسل والايمان بالمعاد •

ولم يقف غلو هذه الفرقة عند هذا الحد بل توجهت الى آيات القرآن الكريم وأولتها وفقا لهواها من أجل الانتقاص من الائمة وبخاصة الامام علي رضي الله عنه وفي ذلك يقول فيهم الاسفراييني (ويقولون في علي نزل قولــه تعالى « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام »[٢٢١] وفي عبد الرحمن بن ملجم قوله تعـــالى « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد »[٢٢٢] ، وهـــذا أتم الفضائح والبدع)[٢٢٣] •

---

(٢١٨) البعدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٤ ـ ٥٥ •
(٢١٩) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ٣٤ ، ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ٤ / ص ١٩٠ •
(٢٢٠) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٣٤ •
(٢٢١) آية ٢٠٤ سورة البقرة •
(٢٢٢) آية ٢٠٧ سورة البقرة •
(٢٢٣) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ٣٤ •

٣ ـ اليزيدية :

وهذه الفرقة تفرعت (من الاباضية)[٢٢٤] ومؤسسها (يزيد بن أنيسة)[٢٢٥] ويقول أبو سعيد نشوان أن (امامهم يزيد بن أبي أنيسة)[٢٢٦] ويختلف ابن حزم قليلا عن الشهرستاني وأبي سعيد نشوان فيقول (رئيسهم رجل يدعى زيد بن أبي أبيسة)[٢٢٧] والذي نرجحه أن رئيس هذه الفرقة هو يزيد وليس زيدا وان أسم أبيه ابو أنيسة . وقد غلت هذه الفرقة غلوا شائنا فادعت (ان الله تعالى سيبعث رجلا من العجم وينزل عليه كتابا من السماء ثم يكتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة فيترك شريعة محمد ويأتي بشريعة أخرى)[٢٢٨] ، وقد برر يزيد مقولته هذه أن رسالة محمد (ص) للعرب وليست للعجم فأدعى (لا اله الا الله محمد رسول‌الله الى العرب لا الينا ... وان دين الاسلام سينسخ بنبي من العجم)[٢٢٩] .

وينفرد الشهرستاني باضافة كبيرة أخرى حيث قال أنهم يرون ان (كل ذنب صغير أو كبير فهو شرك)[٢٣٠] .

ان جملة آراء هذه الفرقة تخرجها من دائرة الاسلام وتدخلها في دائرة الغلو الكافر وفي هذه الفرقة يقرر البغدادي انها (... من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الامة)[٢٣١] ويقول الاسفراييني (ولا يعد اليزيدية من فرق الاسلام لانهم جوزوا فسخ شريعة الاسلام وذلك خلاف اجماع المسلمين)[٢٣٢].

---

(٢٢٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٥ .
(٢٢٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٤٨ .
(٢٢٦) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٧٥ .
(٢٢٧) أبن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٤/ص ١٨٨ .
(٢٢٨) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٧٥ .
(٢٢٩) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٤/ص ١٨٩ .
(٢٣٠) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٤٩ .
(٢٣١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٥ .
(٢٣٢) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ١٥ .

٤ ـ البدعيـــة :

وهذه الفرقة تقول : (ان الصلاة ركعتان بالعشى وركعتان بالغداة لا غير لقول الله تعالى « وأقم الصلاة طرفي النهار »)[٢٣٣] •

ويذهب المقدسي الى ما ذهب اليه أبو سعيد نشوان بخصوص قــول البدعية في ركن الصلاة[٢٣٤] • ويؤكد ابن حزم ما ذهب اليه المقدسي وأبــو نشوان فيرى أن هذه الفرقة قالت (أن لا صلاة واجبة الا" ركعة واحدة بالغداة وركعة اخرى بالعشى ، ويرون الحج في جميع أشهر السنة ويحرمون أكــل السمك حتى يذبح ولا يرون أخذ الجزية من المجوس ••• ويقولون أن أهل النار في النار في لذة ونعيم وأهل الجنة كذلك)[٢٣٥] •

ان تأويل هذه الفرقة للصلاة التأويل أعــلاه المناقض لمــا اتفق عليــه المسلمون وما كان قد سنه الرسول محمد (ص) وسار عليه الصحابة فأن هــذا التأويل المناقض لكل ما جاء عن الرسول يعتبر خروجا عن الاسلام هذا الــى جانب المخالفات الاخرى بخصوص الحج حيث ان للحج أشهرا معروفة وقد ذهبت هذه الفرقة الى مبدأالمعاد الذي هو الركن الثالث في العقيدة الاسلامية والذي تقوم عليه الاركان العملية من صلاة وصوم وحج وزكاة وادعوا ان أهل النار في لذة ونعيم كأهل الجنة وبهذه التسوية بين أهل الجنة وأهل النار اسقطوا الحساب والشريعة بكل ما فيها من فرائض ومحرمات وفي ذلك تجميد للشريعة وهذا غاية ما تعمل له حركة الغلو •

ثالثا : الفرق الغالية فى نطاق المعتزلة :

كانت بداية ظهور حركة الاعتزال جوابا على السؤال الذي فرض نفسه اثر اختلاف المسلمين في مرتكبي الكبائر (فقالت الخوارج كلهم كفار وقالت المرجئة هم مؤمنون وقال الحسن [البصري] هم منافقون فاعتزل واصل بن عطاء ومن تبعه وقالوا هم فساق وليسوا بمؤمنين ولا منافقــين ولا كافرين وهذه منزلة بين المنزلتين)[٢٣٦] ، وانسحب واصل بن عطاء من مجلس الحسن

---

(٢٣٣) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٧٧ •
(٢٣٤) أنظر : المقدسي البدء والتاريخ ج ٥/ص ١٣٨ •
(٢٣٥) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء النحل ج ٤/ص ١٩٠ •
(٢٣٦) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥/ص ١٤٢ •

البصري وتبعه خلق و (سموا معتزلة)[٢٣٧] لاعتزالهم مجلس الحسن البصري واختلافهم معه في مرتكب الكبيرة .

وقد عملت هذه الحركة في البدء في هذا المجال وتطورت تطورا فكريا عميقا واسعا وتصدت للآراء والحركات التي حاولت أن تسيىء للاسلام فكانت حركة الاعتزال بما تمتعت به من منطق وعلم وفلسفة قادرة ان ترد على هؤلاء الخصوم بالحجة والدليل العقلي المنطقي ، وقد توزعت حركة الاعتزال الى جملة فرق يقدرها الاسفراييني بعشرين فرقة هي (القدرية المعتزلة ... وهم الواصلية ، والهذلية ، والعمروية ، والنظامية ، والاسوارية ، والمعمرية ، والاسكافية ، والجعفرية ، والمردارية ، والهشامية ، والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية ، والمؤنسية ، والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية)[٢٣٨] والآراء والمبادىء التي تجمع حركة الاعتزال والتي تميزها عن غيرها هي (أما الاصول المشتركة فخمسة ، هي التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . يقول الخياط المعتزلي (وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة ... فاذا كملت في الانسان هذه الخصال فهو معتزلي)[٢٣٩] .

وهذه المبادىء التي حددت الأصول المشتركة لحركة الاعتزال لاتتناقض مع مبادىء الاسلام التي سبق أن حددناها وعليه فان كل فرقة من فرق الاعتزال تقول بهذه المبادىء ولا تضيف اليها مبادىء أخرى مناقضة للاسلام تبقى في دائرته ولذلك فان الاسفراييني أبقى معظم الفرق التي ذكرها في دائرة الاسلام ولم يخرج منها الا فرقتين فقال (فرقتان من هذه لا يعدان من فرق الاسلام وهما الخابطية والحمارية)[٢٤٠] ، ولم يحدثنا الاسفراييني عن فرقة الحمارية كما لم يحدثنا غيره عنها ويبدو أنها كانت فرقة تابعة لفرقة الخابطية .

---

(٢٣٧) المصدر السابق : ج ٥/ص ١٤٤ .
(٢٣٨) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ١٥ .
(٢٣٩) الخياط : الانتصار ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٢٤٠) الاسفراييني : التبصير فى الدين ص ١٥ .

١ ـ الخابطيـــة :

فرقة من فرق الاعتزال التي اخرجها الاسـفراييني « مـن فـرق الاسلام »[٢٤١] وهم (أصحاب أحمد بن خابط)[٢٤٢] ، ويرى الجاحظ ان اسمه (احمد بن حائط وان فرقته الحائطية)[٢٤٣] ، ومن آراء هذه الفرقـة الغالية قولها (ان كل نوع من أنواع الحيوانات أمة على حيالها لقوله تعـالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » وفي كل أمة رسول من نوعه لقوله تعالى « وان من امة إلا خلا فيها نـذير »[٢٤٤] ، وقد ذهب ابن حائط في غلوه مذهبا خطيرا يضعه في صفوف الثنوية وفي ذلك يقول عنه ابن حزم على لسانه (ان للعالم خالقين أحدهما قديم وهو الله تعالى والآخر حادث وهو كلمة الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم التي بها خلق العـالم)[٢٤٥] .

وفي هذا الاتجاه يؤكد الشهرستاني خروج ابن خابط هذا حيث ادعى (ان المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة ، وهو المراد بقوله تعـالى « وجاء ربك والملك صفا صفا » وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام)[٢٤٦] .

ولم يقف احمد بن خابط هذا عند هذا الحد انمـا قال (بالتناسـخ والكرور وان الله تعالى ابتدأ جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم أمرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه في جسد بهيمة)[٢٤٧] . ويعلق الجاحظ على قول احمد ابن خابط هذا بقوله (وبعد فان كنتم مسلمين فليس هذا قول احد من المسلمين والا تكونوا مسلمين فلم تجعلون الحجـة على نبوة النمل كلاما هو عندكم باطل)[٢٤٨] وتعليق الجاحظ كان ردا على ادعاء ابن حائط الذي زعم ان من النحل أنبياء لقوله عز وجل « وأوحى ربك

---

(٢٤١) المصدر السابق : ص ١٥ .
(٢٤٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٨٨ .
(٢٤٣) الجاحظ : كتاب الحيوان ج ٥/ص ٤٢٤ .
(٢٤٤) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٩٢ .
(٢٤٥) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٤ / ص ١٩٧ .
(٢٤٦) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٨٩ .
(٢٤٧) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٤ / ص ١٩٧ .
(٢٤٨) الجاحظ : كتاب الحيوان ج ٥ ص ٤٢٤ .

الى النحل » وزعموا ان الحواريين كانوا أنبياء لقوله عز وجل « واذ اوحيت الى الحواريين »)[٢٤٩] .

كل هذه الآراء أخرجت احمد بن حائط عن دائرة الاسلام وعن حركة الاعتزال وأدخلته في دائرة الغلو الكافر .

٢ ـ المردارية :

وهم (أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار)[٢٥٠] ، وقد اقتصر غلو هذه الفرقة على قولها (ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظما وبلاغة)[٢٥١] ، ولا شك ان في هذا غلواً مناقضاً لأكثر من آية من آيات القرآن الكريم التي أكدت أن الانسان عاجز ان يأتي بسورة أو آية من مثله .

٣ ـ الثمامية :

هذه الفرقة (اتباع ثمامة بن اشرس النميري وكان من مواليهم ... في أيام المأمون والمعتصم والواثق)[٢٥٢] ، وقد وضعت هذه الفرقة جملة آراء غالية خطيرة فقالت (ان من لا يعرف الله سبحانه وتعالى ضرورة ليس عليه أمر ولا نهي .. وانه (أي ثمامة) كان يقول ان الافعال المتولدة لا فاعل لها)[٢٥٣]، ويعلق الاسفراييني على قوله ان الافعال لافاعل لها بقوله (وهذا يؤدي الى القول بنفي الصانع اذ لو جاز أن يكون فعل لا فاعل له لجاز أن يكون كل فعل بلا فاعل كما لو جاز أن تكون كتابة بلا كاتب)[٢٥٤] .

ويبدو ان فكرة « الافعال المتولدة » التي قال بها ثمامة قد سبقت فكرة الديالكتيك المادي الذي جاء به كارل ماركس الذي هو الآخر بعد مئات السنين عن قول ثمامة قال بأن الحياة نتيجة التناقض والتفاعل داخل المادة وهو ذاته ما ذهب اليه ثمامة ولا شك أن القول بهذا المبدأ من أخطر المبادىء التي تنفي

---

(٢٤٩) المصدر السابق : ج ٥ / ص ٤٢٤ .
(٢٥٠) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٠٢ .
(٢٥١) المصدر السابق : ص ١٠٢ .
(٢٥٢) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٤٨ .
(٢٥٣) المصدر السابق : ص ٤٨ .
(٢٥٤) المصدر السابق : ص ٤٨ .

وجود الخالق سبحانه وتعالى ولهذا فان ثمامة قد دخل باب الغلو الكافر من أوسع أبوابه .

رابعا ـ الغلو في نطاق المرجئة :

المرجئة (اسم فرقة من كبار الفرق الاسلامية لقبوا به لانهم يرجئون العمل عن النية أي يؤخرونه في الرتبة عن الاعتقاد من ارجأ أي أخر ومنه المرجئة)[٢٥٥] .

واساس فكرتهم (ترك القطع على أهل الكبائر اذا ماتوا تائبين بعذاب أو عفو وارجأوا أمرهم الى الله عز وجل ولهذا سموا مرجئة)[٢٥٦] .

وواضح ان في قولهم هذا موافقة للمبادىء التي يقوم عليها الاسلام والايمان فهي تدخل في دائرة الاسلام .

وقد توزعت هذه الفرقة الى فرق يجمعها المقدسي بقوله (الرقاشية والزيادية والكرامية والمعادية)[٢٥٧] وهذه الفرق أساس عقيدتها الارجاء ، كما قالت الفرقة الام بذلك .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد وانما ظهرت طوائف وآراء غالية ابرزها طائفتان (احداهما الطائفة القائلة بأن الايمان قول باللسان وان اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل ... والثانية الطائفة القائلة ان الايمان عقد بالقلب وان أعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الاوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الاسلام ، وعبد الصليب واعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان)[٢٥٨] . هذه الآراء أخرجت من قال فيها عن دائرة الاسلام وادخلته في دائرة الغلو الكافر ويضيف ابن حزم على هذه الصور الغالية غلوا آخر فيقول (وطوائف من المرجئة قالوا ان ابليس لم يسأل الله قط النظرة ولا أقر بأن خلقه من نار وخلق آدم من تراب ... وآخرون قالوا النبوة تكتسب بالعمل الصالح)[٢٥٩] هذا الغلو اخرج من قال به من المرجئة عن الاسلام وادخله في دائرة الغلو .

---

(٢٥٥) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ج ١ / ص ٥٢٥ .
(٢٥٦) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥ / ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٢٥٧) المصدر السابق : ج ٥ / ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٢٥٨) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٤/ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥
(٢٥٩) المصدر السابق : ج ٢ / ص ١١٤ .

خامسا ـ الغلو في نطاق السنة :

السنة فرقة من أكبر الفرق الاسلامية ويطلق عليها ايضا (أهـــل الحديث)[٢٦٠] ويلقبون (بالحشوية والمخلوطية واللفظية والنصفية والفاضلية والصاعدية والسادسة والمالكية ويجمعهم القول بأن الايمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وان خير الناس بعد رسول الله (ص) ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي واختلفوا بعد ذلك)[٢٦١] . والى جانب هذا ايمانهم بالمبادىء الاسلامية الاساسية الاخرى ، وبالرغم من ذلك فأن الغلو قد امتد الى هذه الفرقة ايضا وقد برز ذلك من خلال فرقة (الصاعدية أصحاب ابن صاعد الذين يجيزون خروج انبياء بعد نبينا لانه روى عن النبي لا نبي بعدي الا ما شاء الله)[٢٦٢] .

ويضيف ابن حزم اليهم غلوا آخر فيقول (وآخرون كانوا من أهل السنة فغلوا فقالوا قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الانبياء ومن الملائكة عليهم السلام ، وان من عرف الله حق معرفته سقطت عنهم الاعمال والشرائع)[٢٦٣] .

هذه الآراء التي قالت بها الصاعدية وتفضيل الصالحين على الانبيـــاء والملائكة غلو يخرج قائله الى دائرة الغلو الكافر .

تلك صور من الغلو برزت من خلال كل الفرق الاسلامية وعملت فـــي أطارها ، فلقد كانت الفرق الاسلامية قد توزعت الى أكثر من فرقة ليكون في ذلك تسهيل للمسلمين ورحمة بهم الا ان الخصوم من الغلاة وجدوا في هـــذا التوزع فرصة للعمل به ومن خلاله فتوزعوا على كل تلك الفرق الاسلاميـــة وزرعوا فيها من الادغال والاعشاب والزوائد ما كاد يخنق الشجرة الام التي كانت تقوم على الايمان بالله وحده وعلى اسس ومبادىء من الدين الحنيف ، وقد استطاعت الفرق الغالية ان تضيف آراء ومبادىء كادت أن تضيع رونق وصفاء المبادىء الاسلامية .

---

(٢٦٠) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥ / ص ١٤٨ .
(٢٦١) المصدر السابق : ج ٥ / ص ١٤٩ .
(٢٦٢) المصدر السابق : ج٥ / ص ١٤٩ .
(٢٦٣) ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ٢ / ص ١١٤ .

الفصل الثالث

مبادئ الغالية

المبادىء الاساسية لحركة الغلو :

مبادىء الغلو هي الاسس التي ارتكزت عليها ظاهرة الغلو ، فلكل ظاهرة دينية أو فكرية مقومات خاصة بها تميزها عن غيرها وهذه المقومات هي عناصر وجودها وحركتها التي تناقضت مع مبادىء الاسلام وكان من نتاج تناقضها ظاهرة الغلو بصورها المختلفة . وهذه المبادىء هي :

١ ــ الحلول ٢ ــ التناسخ ٣ ــ البداء ٤ ــ التشبيه ٥ ــ التأويل .

أولا ــ الحلول :

الحلول من أهم وأخطر مبادىء الغلو ويراد به حلول الله ذاته أو روحه في البشر ، وقد ذهب القائلون به مذاهب فقد (يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل ، أما الحلول بجزء فهو كاشراق الشمس في كوة أو كاشراقها على البلور ، أما الحلول بكل فهو كظهور ملك بشخص أو شيطان بحيوان)[١] .

وهناك الى جانب مبدأ الحلول مبدأ التناسخ الذي كثيرا ما يستعمل أحدهما مكان الآخر في معنى واحد وكثيرا ما تستعمل الكلمتان « الحلول والتناسخ » في جملة واحدة ويراد بهما أمر واحد ، ومن ذلك قول الشهرستاني في حديثه عن أحدى الفرق حيث قال (وروح الله تناسخت حتى وصلت اليه

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ / ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

وحلت فيه وادعى الالوهية والنبوة معا)[٢] ، فنرى ان الشهرستاني استعمل كلمة « تناسخت » « وحلت » لمعنى واحد ، ولذلك فان معنى الحلول والتناسخ متقارب ومتداخل ولهذا قال المعري (والحلولية قريبة من مذهب التناسخ)[٣].

الا أننا من تدقيق الاستعمالات لهذين اللفظين وجدنا أن الحلول يستعمل في الاعم عند الحديث عن انتقال روح الله الى غيره وبخاصة الى البشر ، وكلمة التناسخ تستعمل في الاعم عند الحديث عن انتقال روح الانسان الى غيره سواء الى انسان آخر أو الى حيوان .

ان مبدأ الحلول من المبادىء القديمة ويرى المعري انه يعود الى أصل فرعوني (وهذه المذاهب قديمة تنتقل في عصر بعد عصر ويقال ان فرعون كان على مذهب الحلولية فلذلك ادعى انه رب العزة)[٤] . ويذهب ابو سعيد نشوان الى أن جذور هذا المبدأ تمتد الى الديانات الثنوية الايرانية فيقول (وقال أصحاب التناسخ منهم بزرجمهر الفارسي ومن قال بقوله ، باثبات الصانع ونفي التشبيه ودوام الدنيا على الابد)[٥] .

ويؤكد الدكتور محمد جابر عبدالغال جذور هذا المبدأ الممتدة الى العقائد الثنوية فيقول (الذين ألهوا عليا محيون عقائد قديمة لها صلة بعقيدة النور القديمة على صورها المختلفة التي عاشت في أرض العراق في عصور عريقة في القدم التي هي الاساس لمذاهبهم المختلفة)[٦] .

والذي يمكن استنتاجه ان فكرة الحلول جاءت لاحقة لقضية القول بوجود اله واحد ، مصدرا للخلق وعنه تنتقل الروح أو القوة الى بقية المخلوقات عن طريق الحلول ، لذلك نجد الشهرستاني يربط فكرة الحلول بمذاهب اليهود والنصارى أي أن الحلول جاء بعد التسليم بوجود الخالق فقال (.. وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود

---

(٢) المصدر السابق : ج ١ / ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .
(٣) المعري : رسالة الغفران : ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .
(٤) المعري : رسالة الغفران ص ٣٩٥ .
(٥) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٤٦ .
(٦) محمد جابر عبدالعال : حركات الشيعة المتطرفين ص ٤١ .

والنصارى)[٧] ، ويؤكد ابن خلدون ذلك فيربط بين فكرة الحلول والعقيدة المسيحية فيقول (وان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى ــ صلوات الله عليه)[٨] .

الحلول والفرق الغالية :

لقد استعملت أكثر الفرق الغالية فكرة الحلول وسارت معها في معظم نشاطها وحركتها وقد عملت الفرق الغالية على أن توقف عملية الحلول في أشخاص الانبياء في البداية ، لذلك نجد فرقة السبأية قد قالت (ان روح الله حلت في نبي وانها تنتقل فيهم الواحد بعد الآخر)[٩] .

وبعد نقل الالوهية الى الانبياء انتقلت الفرق الغالية بها الى الائمة فقالت (... وكان روح الله في آدم ثم في شيت ثم الانبياء والأئمة حتى انتهت الى علي وأولاده)[١٠] . ولم ينس هؤلاء الغلاة من ايجاد آية أو أكثر وضعوها في تفسير وتبرير قولهم بالحلول فقالوا في قوله تعالى (« فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » أساسا لاضفاء الالوهية لمن تحل فيه روح الله)[١١] . ولذلك نجد فرقة الخطابية تستغل هذه الاية وتنقل الالوهية الى الانبياءوالنبوة فتقول (والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ولا يخلو العالم من هذه الاثار والانوار)[١٢] .

وهكذا كان مبدأ الحلول أساسا في هدم ثلاثة مبادىء اساسية من العقيدة الاسلامية هي الالوهية والنبوة والامامة .

وذهبت فرقة الاسماعيلية الى وقف الحلول على الائمة باعتبارهم آلهة فكانوا (يدعون الوهية الامام بنوع من الحلول ... ومنهم من يقول ان كمال

---

(٧) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٦٣ .
(٨) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٨ .
(٩) رونلدسن : عقيدة الشيعة ص ٥٨ ــ ٥٩ .
(١٠) الشاطبي : الاعتصام ج ٣ / ص ٦٦ ــ ٦٧ .
(١١) أنظر الحور العين : ص ١٦٦ ومقالات الاسلاميين : ص ٧٦ .
(١٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٨٠ ــ ٣٨١ .

الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون فيه ذلك الكمال)[١٣] .

وذهب بعضهم الى أحلال روح الله في الناس من غير الائمة وفي هؤلاء يقول ابن حزم (وقال بعضهم بحلول الباري تعالى في أجسام خلقه كالحلاج وغيره)[١٤] .

وقد أكد ابن تيمية وجود من يذهب هذا المذهب وكيف أن هؤلاء الغلاة أنزلوا الله سبحانه وتعالى الى الناس كافة بشكل لم يبق فيه حد أو فاصل بين الله والانسان ولا بين أنسان وآخر (وهؤلاء يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق ... حتى أن أحدهم اذا أمر بقتال العدو يقول أقاتل الله ؟! ما أقدر أن أقاتل الله !)[١٥] .

ومن هذا الحلول المطلق والوحدة المطلقة انتفت ضرورة وجود الرسالة والغيت كل العمليات والشروط المترتبة على وجودها وهكذا تقدم الغلاةخطوات حتى وصلوا الى الغاء الرسالة برمتها وبكل مقوماتها حينما جعلوا ذات الله في الناس كافة وبذلك انعدمت الفوارق بين الله وبينهم فلا حاجة للرسل والرسالات .

ومن أشهر الفرق التي قالت بالحلول الجزئي أو الحلول الكلي والمطلق هي (في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الاسلام وغرض جميعها القصد الى أفساد القول بتوحيد الصانع وهي : السبأية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية والمقنعية والرزامية والبركوكية والحلمانية والحلاجية)[١٦] .

ان غرض الفرق الحلولية جميعها افساد القول بتوحيد الصانع وهدم مبدأ التوحيد الركن الرئيس في العقيدة الاسلامية فاذا تحقق ذلك تداعت وتهدمت بقية الاركان ، ولهذا كان الحلول من أخطر المبادىء التي واجه به الغلاة العقيدة الاسلامية .

---

(١٣) ابن خلدون : المقدمة ص ١٣٩ .
(١٤) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ٢ / ص ١١٤ .
(١٥) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ص ٩٨ .
(١٦) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

ثانياً ـ التناسخ :

التناسخ (رد الروح الى بدن غير البدن الاول)[١٧] ويعتبر التناسخ فرعاً من مبدأ الحلول وفي هذا يقول المعري (وتؤدي هذه النحلة « الحلول » الى التناسخ وهو مذهب عتيق يقول به أهل الهند)[١٨] ، ويؤكد الخوارزمي أمتداد فكرة التناسخ الى جذور هندية فيقول (السمنية ... عبدة أوثان يقولون بقدم الدهر وبتناسخ الارواح)[١٩] ، والى جانب جذور التناسخ الهندية هذه امتد التناسخ الى جذور ثنوية ويونانية (ويضمون الى السمنية أيضا المانوية ، ويبدو أن الديانات الشرقية في غالبها تقوم على فكرة التناسخ وان المسلمين عرفوا تلك الفكرة من كتبهم ... أما الفلاسفة فقد وصل الى المسلمين فكرة التناسخ عندهم عن مصادر مختلفة من الفلسفة اليونانية وفيثاغورث وافلاطون وسقراط)[٢٠] ويذهب ابن الجوزي الى ارجاع فكرة التناسخ الى أساس فرعوني فيقول (وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى)[٢١] .

والتناسخ واحد من أهم مبادىء الغلو ويراد به (ان الارواح تتناسخ من شخص الى شخص ... أما اشخاص بني آدم وأما أشخاص الحيوان)[٢٢] ويؤكد ذلك الخوارزمي فيقول (أصحاب التناسخ الذين يقولون بتناسخ الارواح في الاجساد كما ينسخ الكتاب من واحد الى آخر)[٢٣] ، وقد قالت الفرق الغالية بالتناسخ من أجل هدم المعاد المبدأ الثالث في العقيدة الاسلامية .

وفي هذا يقول الاشعري (ويقولون ليس قيامة ولاآخرة وانما هي أرواح تتناسخ بالصور فمن كان محسنا جوزي بأن ينقل روحه الى جسد لا يلحقه فيه الضرر والالم)[٢٤] .

---

(١٧) ابن سينا : رسالة اضحوية فى أمر المعاد ص ٥٨ .
(١٨) المعري : رسالة الغفران ص ٣٩٧ .
(١٩) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٢٥ .
(٢٠) علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي فى الاسلام ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨
(٢١) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٨٥ .
(٢٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج١/ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .
(٢٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٢٥ .
(٢٤) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ١١٤ .

ويؤكد الشهرستاني ذلك قائلا (... وكفروا بالقيامة لاعتقادهم ان التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص)[٢٥] .

انواع ومراتب التناسخ :

لقد أختلفت درجات التناسخ وأختلف القائلون به وفقا لتلك الدرجات وأشهر الفرق التي توزعوا اليها هي :

(١ ــ فرقة يجوزون كرور النفس في جميع الاجساد النامية ، نباتية كانت أو حيوانية .

٢ ــ وفرقة يجوزون ذلك في الابدان الحيوانية .

٣ ــ وفرقة لا يجوزون دخول نفس انسانية في نوع غير الانسان أصلا وهم فرقتان :

أ ــ فرقة توجب التناسخ للنفس الشقية وحدها حتى تستكمل وتستعد فتتخلص عن المادة .

ب ــ وفرقة توجب ذلك للنفسين جميعا الشقية والسعيدة ، الشقية في أبدان تعبة ... والسعيدة في أبدان ذوات نعمة وراحة)[٢٦] .

أما مراتب التناسخ فهي (اربع : النسخ والمسخ والفسخ والرسخ)[٢٧] .

ويوضح أبو المعالي الحسيني هذه المراتب ومدلولاتها (يقول أهل هذا المذهب ان الارواح واحدة ، والتناسخ أربعة أنواع : النسخ والمسخ والفسخ والرسخ :

فالنسخ : خروج الروح من جسم آدمي الى جسم آدمي آخر .

والمسخ : خروج الروح من آدمي الى جسم حيوان .

والفسخ : خروج الروح من جسم آدمي الى جسم حشرة من الحشرات وهوامها .

والرسخ : خروج الروح من جسم آدمي الى الشجر والنبات)[٢٨] .

---

(٢٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

(٢٦) ابن سينا : رسالة اضحوية في أمر المعاد ، ص ٤١ .

(٢٧) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٧ .

(٢٨) أبو المعالي الحسيني : بيان الاديان ص ٢٩ .

والتناسخ الذي عمل فيه الغلاة ، هو في النوعين الاولين « النسخ والمسخ » ومن أجل ان يظل الغلاة العاملون بالتناسخ في اطار الاسلام حاولوا ان يفتشوا عن آية أو أكثر يبررون فيها قولهم في التناسخ فقالوا ان في قوله تعالى (« وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » ... هو انهم مشاركون لنا في نفوسهم بالقوة)[٢٩] وأضافوا الى تفسيرهم هذا تفسيرا آخر لقوله تعالى (« حتى يلج الجمل في سم الخياط » ... ان النفس غير البرة لا تزال تتردد من بدن الى بدن ألطف منه حتى تصفو وتصير بحيث تحصل في بدن دودة صغيرة جرمها أن ينفذ في الابرة بعدما كان في بدن جمل)[٣٠] .

خطورة مبدأ التناسخ :

يعتبر مبدأ التناسخ من المبادىء الخطيرة التي عمل بها الغلاة لهدم مبادىء الاسلام وبخاصة مبدأ المعاد وقد وضح الشيخ المفيد المخاطر التي تترتب على هذا المبدأ بقوله (... والى هذا ذهب بعض أصحاب التناسخ وزعموا ان الأنفس لم تزل تتكرر في الصور والهياكل لم تحدث ولم تفن ولن تعدم وانها باقية غير فانية وهذا من أخبث قول وأبعده عن الصواب)[٣١] .

ولم يقف أهل التناسخ عند القول بتناسخ روح الانسان انما صعدوا الى روح الله وانزلوها كما شاء لهم غلوهم فقالوا (ان الههم ينتقل من قالب الى قالب وان الارواح الازلية هي التي كانت في آدم ثم هي هلمجرا الى يومنا هذا في واحد بعد واحد آخر ، فاذا كان الخالق في صورة المخلوق فبما يستدل على أن احدهما خالق صاحبه)[٣٢] .

ويؤكد ابن الجوزي خطورة مبدأ التناسخ فيقول (وقد لبس ابليس على أقوام فقالوا بالتناسخ ، وان أرواح أهل الخير اذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها

(٢٩) ابن سينا : رسالة اضحوية في أمر المعاد ص ٥٨ .
(٣٠) المصدر السابق : ص ٤٢ .
(٣١) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ٣٦ ـ ٣٧ .
(٣٢) المجلسي : بحار الانوار ج ٢ / ص ٢٣٥ .

المشاق)[٣٣] • من هذا يتبين أن العمل بمبدأ التناسخ يهدف الى هدم مبدأ المعاد والقيامة ولذلك فهم يصرحون (ليس قيامة ولا آخرة وانما هي أرواح تتناسخ في الصور)[٣٤] •

ويذكر ابن حزم كيف انهم جعلوا الثواب والعقاب للأرواح في الدنيا عن طريق التناسخ فقال (وذهب هؤلاء الى ان التناسخ انما هو على سبيل العقاب والثواب قالوا فالفاسق المسيء الاعمال تنتقل روحه الى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة في الاقذار ••• واختلفوا في الذي كانت أفاعيله كلها خيرا لا شر فيها فقال بعضهم أرواح هذه الطبقة هي الملائكة •••)[٣٥] •

وأكد أبو سعيد نشوان أن فريقا من أهل التناسخ مسخ روح الانسان في الحيوانات ليوقع العقاب عليها فقال : (وما فعل أصحاب التناسخ في تنقل الأرواح في الاجساد وصلاحها بعد الفساد ومثوبة المحسنين بالابدان الانسية والهياكل الحسّية وعقوبة المقدمين على الجرائم بأبدان أعجم البهائم ودوام الدنيا على الأبد)[٣٦] •

ولم يقف الأمر بهؤلاء عند محاولة هدم مبدأ المعاد وما يتصل به من مبادىء أخرى انما توجهوا الى مبدأ الالوهية فعملوا به هدما وفي هذا يقول فيهم أبو سعيد نشوان (وان الأرواح تتناسخ وان روح الله كانت في آدم ثم نسخت حتى صارت فيه فعبدته شيعته وكفروا بالقيامة وزعموا الدنيا لاتفنى)[٣٧] •

ويبدو أن الغلاة لم يكتفوا بما قدمه لهم مبدأ الحلول في هدم مبدأ الالوهية والنبوة والامامة وغيرها من المبادىء الاسلامية فعادوا الى مبدأ التناسخ ليضيف اليهم قوة أخرى في عملية الهدم والتخريب ويشير الى ذلك الاشعري بقوله (يزعمون ••• ان الأرواح تناسخت وان روح الله جل اسمه

(٣٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٨٥ •
(٣٤) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ١١٤ •
(٣٥) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج ١ / ص ٩١ ـ ٩٢ •
(٣٦) أبو سعيد نشوان : الحور العين : ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ •
(٣٧) المصدر السابق : ص ١٦٠ ـ ١٦١ •

كانت في آدم ثم تناسخت ... وزعموا انه رب وانه نبي .. وهم يكفرون بالقيامة)[٣٨] .

لقد أدرك الغلاة ان الاسلام شريعة وعقيدة كل متكامل فلم يقفوا عند واحد من مبادىء هذا الدين انما توجهوا لمحاربة كل مقوماته وأسسه فعن طريق هدم مبدأ المعاد هدموا الأركان العملية وعن طريق هذا توجهوا الى المجتمع لتخريبه وفي ذلك يقول أبو سعيد نشوان (وان الأرواح تتناسخ ... وكفروا بالقيامة ... واستحلوا الخمر والميتة ... والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة)[٣٩] . ولم ينس أهل التناسخ استعماله في الاساءة للاسلام ورجاله بشكل ينم عن الحقد والرغبة في زرع الأحقاد والضغائن بين المسلمين فقالوا عن طريق التناسخ (ان الله حلّ في خمسة أشخاص في النبي وفي علي وفي الحسن وفي الحسين وفي فاطمة فهؤلاء آلهة عندهم ... وقالوا لهذه الاشخاص الخمسة التي حلّ فيها الاله خمسة اضداد فالاضداد أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص)[٤٠] .

ويعلق الشيخ المفيد على خطورة مبدأ التناسخ قائلا (... فأما ما ذكره من أن الأنفس باقية فعبارة مذمومة ولفظ يضاد ألفاظ القرآن قال الله تعالى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام »[٤١])[٤٢] .

ويلخص المجلسي الأهداف التي حققها الغلاة عن طريق القول بالتناسخ أو التي أرادوا تحقيقها الى جانب النتائج الخطيرة التي تسببت نتيجة العمل بهذا المبدأ فيقول (ان أصحاب التناسخ قد خلفوا وراءهم مناهج الدين وزينوا لأنفسهم الضلالات وأخرجوا أنفسهم من الشهوات وزعموا ان السماء خاوية ما فيها شيء مما يوصف ، وان مدبر هذا العالم في صورة المخلوقين بحجة من روى أن الله عزّ وجل خلق آدم على صورته وانه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور ، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب

---

(٣٨) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٦٧ .
(٣٩) أبو سعيد نشوان الحميري : الحور العين ص ١٦٠ ـ ١٦١ ، ص ١٦٧ .
(٤٠) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٨٤ .
(٤١) الآيتان ٢٦ و٢٧ من سورة الرحمن .
(٤٢) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ٣٦ ـ ٣٨ .

آخر ان كان محسنا في القالب الأول عيد في قالب أفضل منه حسنا في أعـلا درجته ، وان كان مسيئا أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا أو هوام مشوهة الخلقة وليس عليهم صوم ولاصلاة ولاشيء من العبادة)[٤٣].

ثالثاً ـ البـداء :

البداء لغة الظهور ، وفي هذا يقول الشيخ المفيد (والاصل في البداء هو الظهور ، قال الله تعالى « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسـبون »[٤٤] يعني به ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسبانهم وتقديرهم)[٤٥] وقال الله سبحانه وتعالى (« وبدا لهم سيئات ما كسبوا »[٤٦] وهو في الآيتين بمعنى الظهور والابانة ، وقد يطلق ويراد منه تغيير الارادة وتبديل العـزم تبعا لتغير العلم)[٤٧] .

(وتقول العرب بدا لفلان عمل حسن وبدا له كلام فصيح)[٤٨] .

والبداء هو المبدأ الآخر الذي كان أساسا من أسس حركة الغلو ومعناه (جواز البداء على الله تعالى والبداء له معان ، البداء في العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم ... والبداء في الارادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعـده بخـلاف ذلك)[٤٩] ، وكل من هذه المعاني انتقاص من ارادة الله وذهاب الى التدخل في ذات الله وارادته من أجل التشكيك بالله وهدم مبدأ الوحدانية .

درجـات البـداء :

يمكن توزيع البداء الى نوعين : بداء مقبول ، وآخر غير مقبول هـو

---

(٤٣) المجلسي : بحار الانوار ج ٢ / ص ٢٣٥ .
(٤٤) الآية ٤٨ سورة الزمر .
(٤٥) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(٤٦) الآية ٤٨ سورة الزمر .
(٤٧) هاشم الحسني : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ص ٢٦٩ .
(٤٨) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ٢٥ .
(٤٩) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ / ص ١٠٩ .

الذي اعتمده الغلاة . أما النوع المقبول فذلك الذي يكون بمعنى النسخ الذي قال فيه سبحانه وتعالى « وما ننسخ من آية أو ننسيها نأت بخير منها أو مثلها » وفي هذا النوع يقول الشيخ المفيد (أقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الأفقار بعد الاغناء والامراض بعد الاعفاء ، والاماتة بعد الاحياء وما يذهب اليه أهل العدل وخاصة في الآجال والارزاق والنقصان منها بالاعمال ... وليس بيني وبين كافة المسلمين في هذا الباب خلاف وهذا مذهب الامامية بأسرها)[٥٠] . ويؤكد الشيخ المفيد ثانية في وضع البداء في مكانه المقبول فيقول (فالبداء من الله تعالى يختص ما كان مشترطا في التقدير وليس هو الانتقال من عزيمة الى عزيمة ولا من تعقب الرأى تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا)[٥١] . ويضيف الشيخ المفيد الى هذا (الذي أقوله في البداء هو ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ)[٥٢] .

البـداء الغـالي :

وجد الغلاة في البداء مادة يمكن تحريفها والاستفادة منها لمقاومة مبادىء الاسلام وأول شيء عملوه هو انهم فتشوا عن الآيات القرآنية التي يمكن اعتمادها في تبرير القول بالبداء فقالوا في قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)[٥٣] دليل على أن الله يقرر الأمر ثم يبدو له فيعدل عنه . وبعد هذا قدموا تفسيراً لمعنى البداء على اعتبار أن البداء يقع لله في كل أفعاله ويشير الشيخ المفيد الى هذا المعنى في معرض الرد عليه قائلا (والذي اعتمدناه في معنى البداء ... خاص فيما يظهر من العقل الذي كان وقوعه يبعد في النظر دون المعتاد اذ لو كان في كل واقع من أفعال الله تعالى لكان الله تعالى موصوفا بالبداء في كل أفعاله وذلك باطل بالاتفاق)[٥٤] .

---

(٥٠) الشيخ المفيد : اوائل المقالات ص ٥٣ ــ ٥٤ .
(٥١) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ٢٥ ــ ٢٦ .
(٥٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٥٣ ــ ٥٤ .
(٥٣) الآية ٣٩ سورة الرعد .
(٥٤) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ٢٦ .

لقد ذهب الغلاة في استعمال البداء في المعنى الغالي فقالوا (ان الله تبدو له البداءات وانه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الاوقات ثم لا يحدثه لما يحدث له من البداء)[٥٥] .

وفي هذا المعنى الخطير ان الله سبحانه وتعالى ينتقل من عزيمة الى عزيمة على وجه الاستعارة وفي ذلك وضع لله وارادته وعلمه في غير مكانه وفي هذا هدم للركن الرئيس في العقيدة الاسلامية وهو مبدأ الالوهية .

وبعد هذا التمهيد تحرك البعض من الغلاة لاستعمال هذا المبدأ في مجال التطبيق العملي لاغراض شتى تؤول كلها الى ضرب وهدم مبادىء العقيدة الاسلامية ، فالمختار بن ابي عبيد الثقفي أراد ادعاء النبوة بشكل من اشكالها فاعتمد البداء سبيلا لتبرير دعوته هذه وفي هذا يقول الشهرستاني (وانما صار المختار الى اختيار القول بالبداء لانه كان يدعى علم ما يحدث من الاحوال اما بوحي يوحى اليه واما برسالة من قبل الامام فكان اذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه وان لم يوافق قال قد بدا لربكم وكان لا يفرق بين النسخ والبداء قال اذا جاز النسخ في الاحكام جاز البداء في الاخبار)[٥٦] .

والى جانب ادعاء المختار النبوة الذي حمله على القول بالبداء فانه هو الآخر انتقل في مواقفه السياسية من حزب الى آخر ويبدو أن قوله بالبداء كان تفسيرا وتبريرا لتقلباته السياسية وفي هذا يقول الشهرستاني (فكان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا ... وانه يجوز البداء على الله تعالى)[٥٧] .

ويذهب البغدادي الى تفسير قول المختار بالبداء الى حادثة أخرى فيقول (واما سبب قوله بجواز البداء على الله عز وجل فهو ان ابراهيم بن الاشتر لما بلغه ان المختار تكهن وادعى نزول الوحي اليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة) . وعلم مصعب بن الزبير ان ابراهيم بن الاشتر لا ينصر

---

(٥٥) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ١٠٩ .
(٥٦) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ / ص ١٩٨ (الطبعة الاوربية) .
(٥٧) المصدر السابق : ج ١ / ص ١٩٧ - ١٩٨ .

المختار فطمع عند ذلك في قهر المختار • ويضيف البغدادي ان المختار قد جهز جيشاً لمحاربة مصعب بن الزبير فأعلن البداء حيث (أخبرهم فلما انتهى خبرهم الى المختار أخرج صاحبه احمد بن شميط الى قتال مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم وزعم ان الوحي قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط وأكثر قواد المختار ورجعت فلولهم الى المختار وقالوا له ألم تعدنا بالنصر على عدونا ؟ فقال ان الله تعالى كان قد وعدني ذلك لكنه بدا له واستدل على الله بقول الله عز وجل « يمحو الله ما يشاء ويثبت » فهذا سبب قول الكيسانية بالبداء)[٥٨] •

ويتضح من هذه الاستعمالات خطورة فكرة البداء على المبادىء الاسلامية وبخاصة على مبدأ الالوهية والنبوة كما ان خطورته في هدم قيم الانسان وشخصيته ووضع المبرر له ليدعي ما يشاء من الدعوات ويتحول في الاهواء والاتجاهات معتمدا على فكرة البداء وفي هذا هدم للتماسك بالشخصية الانسانية •

ان وضع مثل هذه المبررات امام الانسان يدفع به الى تصرفات وأعمال تتميز بالادعاء الكاذب والتلفيق ووضع الوسيلة في خدمة الغاية وفي ذلك خطورة على المجتمع ويعلق الشهرستاني على مخاطر هذا المبدأ قائلا (فاذا أظهر قولا انه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الامر على ما أظهروه قالوا بدا لله تعالى في ذلك)[٥٩] •

والى جانب خطورة هذا المبدأ في مجالات مختلفة ركز الغلاة على استعماله لهدم مبدأ الالوهية بأشكال مختلفة عن طريق اعطاء معان عدة لمعنى البداء وطبقوا هذه المعاني على ذات الله سبحانه وتعالى فقالوا (البداء له معان :

١ ـ البداء في العلم : وهو أن يظهر له خلاف ما علم ولا أظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد •

---

(٥٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥ ـ ٣٦ •
(٥٩) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣١٦ ـ ٣١٧ •

٢ ـ البداء في الارادة : وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم .
٣ ـ والبداء في الأمر : وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك)[٦٠] .

فاذا كان علم الله وارادته وأمره متغيرا بهذا الشكل فهل هناك من شيء أكثر هجوما وهدما لذات الله وصفاته أليس في هذا دفع لله عز وجل عن قدرته وفي هذا شرك وهدم لمبدأ الصمدانية .

رابعاً ـ مبدأ التشبيه :

التشبيه واحد من الاسس التي اعتمدها الغلاة للعمل بها لمقاومة الاسلام وبخاصة مقاومة مبدأ الالوهية . والتشبيه هو الغلو أو هو أبرز ظواهر الغلو يقول الشهرستاني (أما الغلو فتشبيه بعض ائمتهم بالاله تعالى ... واما التقصير فتشبيه الاله بواحد من الخلق)[٦١] . ويؤكد الشهرستاني أن الغلو هو ان تصف انسانا بصفات الله فيقول (الغلو في حق شخص من الاشخاص حتى وصفوه باوصاف الاله)[٦٢] .

أذن فجانب من جوانب الغلو هو تشبيه الائمة بالاله ، أو تشبيه الاله بواحد من الخلق ، وكأن الغلو يقع أكثر ما يقع في نطاق التشبيه .

ويحدد الشهرستاني الغلو في التشبيه وهو عنده اما ان يكون تشبيه غاو ومبالغة أو تشبيه تقصير وانتقاص فيقول (فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير)[٦٣] .

وفي سبيل أن يحقق الغلاة تحركهم لهدم مبدأ الالوهية كان عليهم ان يصوروا الله سبحانه وتعالى تصويرا يسهل عليهم الصعود بالانسان اليه أو النزول به سبحانه الى الانسان وجعله على أشكال عدة بحيث يكون قابلا

(٦٠) المصدر السابق : ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .
(٦١) المصدر السابق : ص ٣٦٣ .
(٦٢) المصدر السابق : ص ٣٦٣ .
(٦٣) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٦٣ .

لأوصافهم وأحكامهم الكثيرة ، وأن خير تصور له سبحانه ، ان يكون الانسان شبيها به ، أو العكس ومن هنا يمكن توجيه هجمات عنيفة على مبدأ الالوهية. ان محاولات التشبيه لذات الله هذه انما هي عمليات منظمة وعودة الى الوثنية التي حاربها الاسلام فحينما يقول هؤلاء المشبهون الغلاة ان (معبودهم على صورة ذات اعضاء وابعاض اما روحانية واما جسمانية ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن ... واجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وان المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والاخرة)(٦٤) ففي هذا التشبيه تجسيم وتحديد لله وانزاله الى مرتبة شبيهة بمرتبة الانسان ، وفي هذا انزالِ لله عز وجل عن مكانته التي هو عليها والتي اكدها بقوله (« ليس كمثله شيء » .

لهذا فان الغلاة اعتمدوا التشبيه لهدم مبدأ الالوهية ذلك لان عملية التشبيه تجعل المشبه والمشبه به على مستوى واحد ، أو على مستويات متقاربة ، ولما كانت ظاهرة التشبيه لا بد ان يكون أحد طرفيها المشبه أو المشبه به هو الله جل وعلا فأن في هذا وضعا لله في غير مكانه وجعله عرضة للتشكيل والتغير والتبعيض . فحينما ادعت فرقة المغيرية (ان الله تعالى صورة وجسم ذو اعضاء على مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تنبع منه الحكمة)(٦٥) .

وعندما قالت فرقة الهشامية مشبهة الله على هيئة سبيكة فادعت (الله جسد ... طويل عريض عميق متساوي وهو كالسبيكة البيضاء يتلألأ من كل جانب وله لون وطعم ورائحة ومجسة وليست هذه الصفات المذكورة غيره ويقوم ويقعد ... وهو سبعة أشبار بأشبار نفسه مماس للعرش)(٦٦) . فأن هذا التشبيه لله بالانسان مرة وتشبيهه بالسبيكة مرة أخرى عودة الى الوثنية بشكل جديد فقد كانت الوثنية تصور القوة الالهية على صور مختلفة وتقيم لهذه الصور التماثيل على هيئة انسان أو حيوان أو حجارة وتدعى ان هذه التماثيل انما تعبر عن الله وتنوب عنه في الارض ، فعن طريق التشبيه الذي قالت به الفرق

---

(٦٤) المصدر السابق : ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٦٥) المصدر السابق : ص ١٧٤ .
(٦٦) الشاطبي : الاعتصام ج ٣ / ص ٦٨ .

الغالية المشبهة يتم تفتيت مبدأ الوحدانية ويتوزع الله سبحانه الى أكثر من اله وتنصب له التماثيل موضوعة في السماء حينا أو في الارض أحيانا ٠وفي هـذا وثنية خالصة ، ويؤكد الاسفراييني ان في عملية التشبيه والحلول وثنية مـن نوع جديد فيقول : (كل من شبه ربه بصورة الانسان من البيانية والمغيرية والجوارбية والهشامية ٠٠٠ فأنما يعبد انسانا مثله ٠٠٠ وكذلك من زعـم أن بعض الناس اله وادعى حلول روح الاله فيه على مذهب الحلولية كما قالت الخطابية ٠٠٠ وكما قالته الرزامية وكما قالته المبيضة فهو عابد وثن)[٦٧] ٠

لقد توسل الغلاة بتشبيه الانبياء والائمة بالاله وبخاصة تشبيه الائمـة بذات الله من أجل هدم مبدأ النبوة ومبدأ الامامة ، لذلك نجد الفرق الغالية التي عملت في نطاق فرقة الشيعة عمدت الى تشبيه الائمة بالاله من أجل اسقاط مبدأ الامامة الذي هو ركن مهم من أركان الشيعة الامامية فقد أدعت فرقـة الخطابية (الائمة أنبياء٠٠٠بل الائمة آلهة والحسنان ابنا الله وجعفر اله)[٦٨] ٠ وقالت فرقة المنصورية على أساس التشبيه(ان عليا «رض» هو الكسف الساقط من السماء وربما قال ابو المنصور العجلي ، الكسف الساقط من السماء هـو الله تعالى)[٦٩] ، ولم يقف العجلي عند هذا انما صعد الى السماء وصور الله سبحانه على الشكل الاتي (وزعم ٠٠٠ أنه عرج به الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه)[٧٠] ، ففي تشبيه الامام علي (رض) بالله اساءة له وهدم لامامته وتصوير الله بأنه أب للحسنين نزول به عن الوهيته « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » كما هو أساءة للامامين وهدم لامامتهما ٠

وعمل الغلاة عن طريق التشبيه على جعل الله محلا للحوادث والتغيرات ومهدوا لذلك بواسطة تشبيهه سبحانه بالانسان ، واضافوا له كل ما فـي الانسان من حواس وصفات فقالت فرقة الهشامية وهي من أبرز الفرق المشبهة (ان الله تعالى على صورة انسان اعلاه مجوف واسفله مصمت وهو نور ساطع

---

(٦٧) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٧٠ ٠
(٦٨) الشاطبي : الاعتصام ج ٣ / ص ٦٨ ٠
(٦٩) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٧٨ ٠
(٧٠) المصدر السابق : ص ٣٧٨ ٠

يتلألأ وله حواس خمس يد ورجل وانف واذن وعين وفم وله وفرة سوداء هي نور اسود لكنه ليس بلحم ولا دم)[٧١] . وبعد وضع الله سبحانه وتعالى بهذه الصورة ، انتقل الغلاة الى المرحلة الاخرى في جعل الله محلا للحوادث والتغيرات حتى انتهى الامر بهم الى تصويره سبحانه شيئا قابلا للحدث فقالوا (معبودهم محل الحوادث تحدث في ذاته أقوالة وارادته وادراكه للمسموعات والمبصرات وسموا ذلك سمعا وتبصرا ... ولم يجد هؤلاء من الامم من يكون لهم القول بحدوث الحوادث في ذات الصانع غير المجوس فرتبوا مذهبهم على قولهم وذلك أن المجوس قالوا ، تفكر « يزدان » في نفسه انه يجوز ان يظهر له منازع ينازعه في مملكته فاهتم لذلك فحدثت في ذاته عفونة بسبب هذه الفكرة فخلق منها الشيطان ، فلما سمعت الكرامية[٧٢] هذه المقالة بنوا عليها قولهم بحدوث الحوادث في ذاته سبحانه تعالى الله عن قولهم فلزمهم ان يجوزوا حلول الالم واللذة والشهوة والموت والعجز والمرض عليه)[٧٣] .

وهكذا رسخ عمل الغلاة على تشبيه الاله بالانسان وانه تتمثل فيه جميع الحوادث والتغيرات وفي هذا التشبيه رجوع الى الوراء الى العقيدة الثنوية التي فسرت وجود الهين احدهما اله الخير والاخر اله الشر ، ولم يقف الأمر عند المشبهة في حدود ما ذهبت اليه الثنوية انما ذهبوا الى أكثر من ذلك حتى وصلوا الى الوثنية المفرطة حيث جعلوا الله مجالا للتغيير على صفات من ألم ولذة وشهوة وعجز ومرض وموت ترى اذا كان التشبيه ينتهي بالله الى الموت فأي مبدأ أخطر من هذا المبدأ وهل بعد وفاة الله شيء آخر يستحق الهجوم والهدم .

وعملية الغلو في مجال التشبيه لم تسر بخطى واحدة انما كل فرقة من الفرق الغالية ذهبت في اتجاه على أن يكون لكل فرقة دور فعال في عملية الهدم لجانب من جوانب الشريعة الاسلامية فقد توجهت بعض فرق التشبيه الى هدم النبوة فادعت (ان النبوة والرسالة عرضان حالان في الرسول والنبي ،

---

(٧١) المصدر السابق : ص ٣٩٩ .
(٧٢) الكرامية : فرقة من الفرق المشبهة زعيمها محمد بن كرام : انظر التبصير فى الدين ص ٦٥ .
(٧٣) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٦٦ ـ ٦٧

والنبوة ليست هي المعجزة ولا الوحي ولا العصمة ، يزعمون ان من حصل فيه ذلك المعنى وجب على الله ان يرسله الى الخلق بذلك المعنى فاذا ارسله يكون مرسلا ولم يكن قبله مرسلا)[٧٤] .

والمشبهة لله يتوزعون الى صنفين (صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات ، وصنف منهم يشبه صفاته بصفات أغياره)[٧٥] . ولا شك ان هذا التشبيه لله ذاته أو صفاته يهدف الى هدم الالوهية .

ومبدأ التشبيه قديم قدم الغلو ويذهب الاسفراييني الى أن التشبيه لازم أوائل الفرق الغالية وسار مع حركة الغلو في معظم فرقه وبهذا يقول : (وأول من أفرط في التشبيه في هذه الامة السبأية ... قالوا بالهية علي كرم الله وجهه ... ثم البيانية التي كان يقول (مؤسسها بيان) أن معبوده نور صورته صورة أنسان له أعضاء كأعضاء الانسان وان جميع اعضائه تفنى الا الوجه ... ثم المغيرية والمنصورية والخطابية وغيرها)[٧٦] .

التشبيه والحلول :

ظاهرة الغلو ظاهرة حية أطرافها متداخلة مع بعضها ، ومبادىء الغلو تتعاون مع بعضها في عملية واحدة لذلك نجد في كل ظاهرة غالية يعمل أكثر من مبدأ ومن صور التفاعل والتكامل والتداخل بين مبادىء الغلو وبخاصة بين التشبيه والحلول ما يؤكده الشهرستاني عند حديثه عن المشبهة فيقول (ومن المشبهة من مال الى مذهب « الحلولية » وقال يجوز أن يظهر الباري تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عليه السلام ينزل في صورة أعرابي وقد تمثل لمريم بشرا سويا وعليه حمل قول النبي عليه السلام رأيت ربي في أحسن صورة ، وفي التوراة عن موسى عليه السلام شافهت الله تعالى فقال لي كذا)[٧٧] .

---

(٧٤) المصدر السابق : ص ٦٨ .
(٧٥) المصدر السابق : ص ٧٠ .
(٧٦) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٦٩ ــ ٧٠ .
(٧٧) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٧٩ .

ان التعاون بين التشبيه والحلول واضح من أجل أن يكون كل منهما الى جانب الآخر في عملية نقل الالوهية من الله الى غيره • ونلاحظ ان معظم الفرق الغالية[٧٨] قد استعانت بأكثر من مبدأ في عملية غلوها •

وفي جملة الصور المتداخلة بين الحلول والتشبيه ما ينقله الاسفراييني في حديثه عن بعض من هذه الفرق المشبهة فيقول (••• ثم الحلولية الذين كانوا يقولون ان الله تعالى يحل في صورة الحسان ومتى رأوا صورة حسنة سجدوا لها ••• ومن جملة المشبهة المقنعية وهم مبيضة ما وراء النهر يدعون ألهية المقنع ومن جملتهم الهشامية أتباع هشام بن الحكم الذي كان يقدس معبوده على الناس وكان يزعم ان معبوده سبعة أشبار بشبر نفسه)[٧٩] •

يتبين من أقوال الاسفراييني أعلاه أن الفرق المشبهة ، المقنعية والهشامية والسبأية والبيانية والخطابية والمنصورية والمغيرية ، عملت بالحلول والتشبيه في وقت واحد من أجل الوصول الى أغراضها كاملة •

التشبيه بغير الله :

ان أصل التشبيه كان في تشبيه الانسان بالله أو العكس الا" أن الغلاة لم يقفوا عند هذا الحد انما توجهوا الى تشبيه النبي والامام بأشياء أخرى وتشبيه الانسان المسلم بصفات ليست من صفاته كل ذلك من أجل دفع النبي والامام والانسان المسلم عن مكانتهم •

فلقد زعمت فرقة المغيرية في محمد النفس الزكية ان (الذي قتله عيسى بن موسى بالمدينة كان شيطانا تصور في صورة محمد وانه لم يقتل في الحقيقة)[٨٠] •

وحينما زعمت السبأية حلول جزء من الله في الامام علي (رض) ذهبت الى تشبيهه تشبيهات تخرجه عن حدوده الانسانية وعن امامته فقالت (وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق تبسمه وانه سينزل الى الارض

(٧٨) أنظر في الفصل الثاني القسم المتعلق بالفرق الغالية من هذا الكتاب •
(٧٩) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٧٠ •
(٨٠) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٢١ والفرق بين الفرق ص ٢٣٢-٢٣٣

بعد ذلك)[٨١] • فتشبيه صوت الامام علي بالرعد وتبسمه بالبرق ـ وهي ظواهر طبيعية كانت قبل ان يكون الامام علي ولا زالت ـ فهي تشبيهات غير واقعية أريد بها الاساءة الى الامام علي عليه السلام •

وقالت فرقة البزيغية (أن جعفرا « الصادق » هو الاله أي ظهر الاله بصورته للخلق)[٨٢] •

وفلسفت فرقة الاسماعيلية فكرة التشبيه بشكل نزّلت بواسطتها صفات الله والامور المتعلقة به الى النبي والائمة فقالت (ان الله ظهر بصورة أشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله (ص) شخص أفضل من علي (رض) وبعده اولاده المخصوصون وهم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فعن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم)[٨٣] •

وذهبت فرقة الغرابية الى الغاء النبوة والامامة عن طريق التشبيه (فقالوا محمد بعلي أشبه من الغراب بالغراب فغلط جبريل من علي الى محمد)[٨٤] •

وقالت فرقة الجناحية على لسان رئيسها (عبدالله بن معاوية ••• أنه رب وان العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة والعشب)[٨٥] •

اشهر الفرق المشبهة :

لقد قالت معظم الفرق الغالية بالتشبيه واعتمدته أساسا في حركتها الا أن فرقا أعتمدت التشبيه أكثر من اعتمادها المبادىء الاخرى ولهذا صح ان نطلق عليها الفرق المشبهة وهي (الهشامية والمغيرية واليمانية والمقاتلية والكرامية والجواربية)[٨٦] • وقد مرت علينا فرقة الهشامية والمغيرية في الفصل الثاني أما الفرق الاخرى فهي :

---

(٨١) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ •
(٨٢) المصدر السابق : ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ •
(٨٣) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٠٩
(٨٤) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ١٦٨ ـ ١٦٩
(٨٥) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٦٠
(٨٦) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥/ ص ١٣٩ ـ ١٤١

(اليمانية : أصحاب يمان بن زياد وزعم ان الله تعالى على صورة انسان يهلك كله الا" وجهه)[87] • وواضح أن هذا القول قد قال به بيان بن سمعان صاحب فرقة البيانية ، والذي يبدو ان المراد باليمانية التي أوردها المقدسي انما هو فرقة البيانية واذا صح وجود فرقة بهذا الاسم فانما تعتبر امتدادا لفرقة البيانية •

ومن الفرق المشبهة الاخرى (الجواربية : أصحاب داود الجواربي زعم أن الله جسم منصف من فمه الى صدره أجوف ومن صدره الى أسفله مصمت • •• والمقاتلية : فهم أصحاب مقاتل بن سليمان زعم أن الله جسم من الاجسام لحم ودم وانه سبعة أشبار بشبر نفسه •

وأما الكرامية : فانهم أصحاب محمد بن كرام ••• يزعمون انه تعالى جسم لا كالاجسام مماس على العرش •••

ويضيف البغدادي الى هذه الفرق التي ذكرها المقدسي فرقة مشبهة أخرى وهي :

(اليونسية : أتباع يونس بن عبدالرحمن القمي ••• أفرط في التشبيه فزعم ان الله عز وجل يحمله حملة عرشه وهو أقوى منهم كما أن الكرسي يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه واستدل على أنه محمول بقوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »)[88] • ولم تقف فرقة اليونسية عند هذا التجسيم والتشبيه انما راحت تصور عملية حمل العرش تصورا مجسما فقالت (والعرش يحمل الرب تعالى اذ قد ورد في الخبر ان الملائكة تئط أحيانا من وطأة عظمة الله على العرش)[89] •

ويضيف الشهرستاني فرقا مشبهة أخرى الى ما ذكره البغدادي والمقدسي منها :

(الشيطانية : أو النعمانية أصحاب محمد بن النعمان ابي جعفر الاحول

---

(٨٧) المصدر السابق : ج ٥/ ص ١٣٩ •
(٨٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥٢ ـ ٥٣
(٨٩) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٠٧

الملقب بشيطان الطاق وهم الشيطانية ... وقال ان الله تعالى نور على صورة أنسان رباني .

والبيانية : أتباع بيان بن سمعان ... وزعم ان معبوده على صورة انسان عضوا فعضوا وجزءا فجزءا .)[٩٠]

التشبيه والبـــداء :

لقد قالت بعض الفرق الغالية بالبداء وبخاصة فرقة الكيسانية وان القول بالبداء الذي يؤدي الى تصوير الله بصورة قابلة للتغيير لا يمكن قبولها الا بعد تشبيه الله تشبيها يخرجه عن نطاق الالوهية والنزول به الى نطاق آخر . أذن فشرط البداء يسبقه شرط التشبيه ولذلك فهناك تكامل وتعاون بين هذين المبدأين فحينما تقول الفرق الغالية في جواز البداء على الله في العلم والارادة والامر فأن هذه البداوات لا يمكن أن تقع الا باعتبار ان الله على هيئة يجوز عليه التغيير، ومبدأ التشبيه هو الذي يمهد الى قبول هذه الهيئة صفات التغيير والتبدل ، لاسيما والتشبيه يكون تشبيهاً في ذات الله بغيره من الذوات أو تشبيه صفاته بصفات غيره [٩١] . من هذا يتبين التداخل بين التشبيه والبداء وانهما يعملان في أطار واحد وفي عملية واحدة يعطي كل منهما الآخر قوة وتبريرا من أجل مواصلة ديمومة عملية الغلو .

أن مبدأ التشبيه من أخطر المبادىء الغالية كان مع كل المبادىء الاساسية التي اعتمدها الغلاة وكان الممهد والمشارك مع سائر المبادىء الغالية وفي خطورته هذه يقول احمد بن فاتك (... قال الحلاج : من ظن ان الالهية تمتـــزج بالبشرية أو البشرية تمتزج بالالهية فقد كفر ، فأن الله تعالى تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم فلا يشبههم بوجه من الوجوه ، ولا يشبهونه بشيء من الاشياء وكيف يتصور الشبه بين القديم والمحدث ومن زعم ان الباري في مكان أو على مكان أو متصل بمكان أو يتصور على الضمير أو يتخايل فـــي الاوهام أو يدخل تحت الصفة أو النعت فقد أشرك)[٩٢] .

---

(٩٠) المصدر السابق : ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .
(٩١) انظر الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٧٠
(٩٢) على بن أنجب : اخبار الحلاج ص ٤٧ (تحقيق ماسينيون) .

هذا القول للحلاج بالرغم من أنه لا يتناسب مع أقوال له أخرى فانه بهذا النص قد وضح خطورة مبدأ التشبيه وان المشبهين لله تعالى قد هدفوا الى هدم مبدأ الوحدانية الذي بهدمه تسقط المبادىء الاخرى المرتبطة به .

خامسا ـ التأويل :

معنى التأويل وبداية استعماله :

التأويل (مشتق من الاول وهو لغة الرجوع)[٩٣] ، واما التأويل اصطلاحا (فهو مرادف التفسير ، وقيل هو الظن بالمراد ، والتفسير القطع به فاللفظ المجمل اذا لحقه البيان بدليل ظني كخبر الواحد يسمى مؤولا ، واذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمى مفسرا ، وقيل هو أخص من التفسير)[٩٤] .

ويرى ابن تيمية (ان لفظ التأويل في القرآن يراد به ما يؤل الأمر اليه وان كان موافقا لمدلول اللفظ ومفهومه في الظاهر ويراد به تفسير الكلام وبيان معناه وان كان موافقا له وهو اصطلاح المفسرين المتقدمين كمجاهد وغيره ويراد به صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك)[٩٥] .

والتأويل كمبدأ اعتمده خصوم الاسلام برز بشكل أو بآخر قبل قيام الفرق الغالية بتنظيماتها المعروفة وذلك منذ الايام الاولى لنزول القرآن وكانت مواقف هؤلاء الخصوم المعارضين مواقف فردية استعملت التأويل أساسا في مواجهة الحركة الاسلامية الجديدة وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هؤلاء في قوله « هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله »[٩٦] .

وكان عمل هؤلاء يعتمد على الآيات عن طريق تفسيرها ثم تأويلها بشكل

---

(٩٣) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ج ١/ص ٨٩
(٩٤) المصدر السابق : ج ١/ص ٨٩
(٩٥) ابن تيمية : بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ص ٥ ـ ٦ .
(٩٦) آية ٧ سورة آل عمران .

يشكل معارضة هادئة للاسلام وكانت محاولات هؤلاء على قلتها وعدم انتظامها تعتبر البدايات الاولى التي ظهرت فيها فكرة التأويل كمبدأ واسلوب معارض ، وقد ركز هؤلاء نشاطهم على بعض الآيات واعتمدوا التفسير اللغوي للكلمات من أجل ان يحافظوا على هوياتهم الاسلامية الظاهرة ويواصلوا نشاطهم المعادي وفيهم يقول محمد جابر عبدالعال (... أما المظهر الآخر فقد بدأ في تفسير آيات من القرآن الكريم تفسيرا يخرجها عن مدلولها اللغوي الى تأييد لعقيدة هي احياء لتعاليم أديان قديمة عاشت على أرض العراق وقد صاغوا صياغة خاصة فكانت من أخطر الحركات التي شاهدها القرن الثاني)[٩٧] .

ان محاولات التفسير والتأويل المحدودة تحولت الى عمليات واسعة منظمة وكان التأويل المبدأ والوسيلة الكبيرة في هذه العمليات ، ولم ينس الغلاة ان يرجعوا الى القرآن ليعملوا باسمه في تبرير اعتماد التأويل فقالوا في البداية (وما خلق الله من ظاهر الا وله باطن يدل على ذلك)[٩٨] وما من تنزيل الا وله تأويل وقالوا ان في القرآن أكثر من آية تبرر قولهم بالتأويل منها قوله (« وذروا ظاهر الاثم وباطنه » وفي قوله « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وغيرها أدلة على وجود معان أخرى الى جانب المعاني الظاهرة ، ومن أجل شد الاخرين الى تلك المعاني الباطنة أكدوا انها المهمة التي جاءت من أجلها الشريعة ، فالحقائق لاتوجد الا في المعاني الباطنة أما المعاني الظاهرة فهي حجب مضطربة متناقضة)[٩٩] .واضافوا الى ذلك قولهم (ان آيات الكتاب سهلة يسيرة ولكنها على سهولتها تخفي وراء ظاهرها معنى خفيا مستترا)[١٠٠] .

درجات التأويل :

التأويل كغيره من المبادىء الغالية يتوزع الى درجات ، منها ما يصح أن نسميه التأويل المقبول الذي لا يؤدي القول به الى دفع الآيات القرآنية والمبادىء الاسلامية عن معانيها الاصلية وهذا النوع يكون في غير الاصول

---

(٩٧) محمد جابر عبدالعال : حركات الشيعة المتطرفين ص ٤٠
(٩٨) محمد بن مالك اليماني : كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ص ١٩٣
(٩٩) جولدتسيهر : العقيدة والشريعة ص ٢٤٢
(١٠٠) المصدر السابق : ص ٢٤٢ .

والعقائد التي يقوم عليها الاسلام وفي هذا النوع من التأويل يقول الغزالي : (فان كان تأويله في أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية ، ان المراد برؤية الخليل عليه السلام الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربي غير ظاهرها بل هي جواهر نورانية ... ونسبة ما بينها في التفاوت كنسبة الكوكب والقمر والشمس ، ويستدل بأن الخليل «عليه السلام» اجل من أن يعتقد في جسم أنه اله حتى يحتاج الى أن يشاهد أفوله أفترى انه لو كان لم يأفل أكان يتخذه الها ولو لم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدرا)[١٠١] فالتأويل المقبول اذن يكون على رأي الغزالي في غير الاصول وهو تأويل يقع عندما يكون النص في ظاهره لايمكن ادراكه ولا يمكن تفسيره فيكون التأويل توضيحا وتفسيرا له ، وفي هذا يوضح الغزالي رأيه قائلا (ان جواز ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر ، والظاهر الأول هو الوجود الذاتي فانه اذا ثبت تضمن الجميع ، فأن تعذر فالوجود الحسي فانه ان ثبت تضمن ما بعده فان تعذر فالوجود الخيالي أو العقلي وان تعذر فالوجود الشبهي المجازي ولا رخصة للعدول عن درجة الي ما دونها الا بضرورة البرهان)[١٠٢] .

اذن فالتأويل المقبول يجيء عند الاضطرار حيث ظاهر النص لايمكن ادراكه أو لايمكن قبوله لانه على ظاهره يكون مناقضا لمبدأ أو أصل من اصول الشريعة وفي هذا يضيف الغزالي توضيحا آخر (وما من فريق من أهل الاسلام الا وهو مضطر اليه ، فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل « رحمة الله عليه » وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازا أو استعارة وهو الوجود العقلي والوجود الشبهي والحنبلي مضطر اليه وقائل به فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن حنبل « رحمه الله » صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط)[١٠٣] .

أما النوع الآخر من التأويل : فهو التأويل الذي يدخل صاحبه في دائرة الغلو ويجوز أن نسميه « التأويل الغالي » .

---

(١٠١) الغزالي : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ص ١٣ ــ ١٤
(١٠٢) المصدر السابق : ص ١١ .
(١٠٣) الغزالي : المصدر السابق ، ص ٩ ــ ١٠ .

وهذا النوع من التأويل من أخطر المبادىء التي اعتمدها الغلاة لهدم الشريعة الاسلامية وفيه يقول الغزالي (هو ما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي حشر الاجسام وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعا ... وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله تعالى لايعلم الا نفسه أو لا يعلم الا الكليات فأما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها)(١٠٤) اذن التأويل الغالي هو الذي يقع في تأويل الاصول والعقائد تأويلا يخرجها عن مدلولاتها الحقيقية وبعبارة أدق انه التأويل الذي يقع في المبادىء الاساسية للعقيدة الاسلامية بشكل يبعدها عن حدودها كأن يحول مبدأ الالوهية ووحدانية الاله الى تفاسير تؤدي الى تعدد الالهة أو تأويلا لذات الله يجعله قابلا للصعود أو النزول والحدث والتغيير وكذا القول في تأويل بقية المبادىء فان هذا النوع هو من التأويل الغالي الذي كان وسيلة لمعظم الفرق الغالية .

ولم يقف الأمر عند مبدأ التأويل الغالي هذا انما ذهبت بعض الفرق الى « تأويل التأويل » وقد اعتمدت فرقة الاسماعيلية هذا النوع من التأويل فكان لها مبدأ ووسيلة استطاعت به ان تصل الى كثير من اغراضها .

وهذا النوع من التأويل يعتبر من أعقد درجات التأويل عملت به فرقة الاسماعيلية ، وقد مهدت لذلك بجملة فرضيات من أجل قبول درجة تأويل التأويل هذه ، وفي ذلك يقول فيهم جولدتسيهر (ان آيات الكتاب سهلة يسيرة ولكنها على سهولتها تخفي وراء ظاهرها معنى خفيا مستترا ، ويتصل بهذا المعنى الخفي معنى ثالث يحير ذوي الافهام الثاقبة ويعييها ، والمعنى الرابع ما من أحد يحيط به سوى الله واسع الكفاية من لا شبيه له وهكذا نصل الى معان سبعة الواحد تلو الاخر ... ففي كل مرحلة أو درجة أعلى من سابقتها يصبح المعنى الباطني والرمزي المتعلق بالمرحلة السابقة أساسا للقيام بتأويلات أخرى أعظم دقة والتواء الى أن تبخر تبخراً تاما موضوع التفسير الاسلامي الذي كان الاساس الأول منذ البداية)(١٠٥) .

---

(١٠٤) المصدر السابق : ص ١٤ .
(١٠٥) جولدتسيهر : العقيدة والشريعة ص ٢٤٣ .

هذه الدرجات السبع لمعنى الاية الواحدة .والنص الواحد كـل معنى خاضع لعملية تأويل تبتعد مرحلة عن المعنى الاصلي الذي يحمـله النص وهكذا حتى تصل الى الدرجة السابعة التي لايمكن معرفـة النص فيها الا الله وحده وفي ذلك تجميد والغاء للنص •

وعن هذا الطريق يصار الى تعقيد الأمر وجعل الشريعة الاسلامية التي جاءت للانسان عقيدة معقدة لا يمكن الوصول الى معانيها الغامضة وبذلك تنتهي أهمية الرسالة وتتحول من وسيلة لانقاذ الانسان الى وسيلة لضياعه وحيرته •

التأويل والمبادىء الاخرى :

لقد كان التأويل عاملا مشاركا مع كل المبادىء الغالية في عملية الغلو ، فنراه مع الحلول والتناسخ والبداء والتشبيه فهو يعمل قبـل تلك المبـادىء وبعدها ومعها بحيث يكون المبدأ العام الشامل في جميع نشاط حركة الغلو •

ومن استعراض الفرق الغالية التي استعملت التأويل يتبين لنا الـدور الكبير الذي كان لهذا المبدأ وسوف نوجز الفرق التي اعتمدت هذا المبدأ في غلوها بشكل خاص دون الاشارة الى بقية المبادىء حيث سبق أن وضحنا تلك المبادىء من خلال الفرق الغالية التي استعرضنا نشاطها في الفصل الثاني •

ان أهم الفرق التي استعملت التأويل أساسا لنشاطها هي :

فرقة الخابطية ـ وهذه من فرق المعتزلة حيث أولت قوله تعالى (« وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم »[١٠٦] ، انه في كل امة رسول من نوعه لقوله تعالى «وان من أمة الا خلا فيها نذير»[١٠٧])[١٠٨] •

وفي هذا التأويل هدم لمبدأ النبوة حيث جعل النبوة عامة في جميع الأمم وجعل النبوة في بني الانسان والحيوان وهذا أمر مرفوض عقلا وواقعا •

---

(١٠٦) آية ٣٨ سورة الانعام
(١٠٧) آية ٣٤ سورة فاطر .
(١٠٨) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٩٢

وذهبت فرقة الازارقة من الخوارج الى تأويل قوله تعالى (« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام »[109])[110] ان هذه الآية نزلت في الامام علي (كرم الله وجهه) .

وأولت فرقة الكيسانية مبادىء الاسلام بشكل يؤدي الى سقوطها فقالت (بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل لاركان الشريعة من الصلاة والصيام والزكاة ... الخ وغير ذلك على رجال ... وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة)[111] .

وعملت فرقة الهاشمية الى وضع التأويل بشكل يؤدي الى ضرب معظم مبادىء الشريعة فقالت في تأويل قوله تعالى (« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا اتقوا »[112] على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ووصل الى الكمال والبلاغ)[113] .

ونزعت هذه الفرقة في تأويل الاركان العملية في العقيدة الاسلامية الى هدمها فزعمت (ان الدنيا لا تفنى ، واستحلوا الخمر والميتة وغيرها من المحارم وتأولوا قول الله : « ليس على الذين آمنوا ... »)[114] .

وقالت فرقة البيانية عن طريق التأويل أن معنى قوله تعالى (« كل شيء هالك الا وجهه » يهلك كله سبحانه الا وجهه)[115] . كما أن بيان رئيس هذه الفرقة أول (قول الله عز وجل « هذا بيان للناس » انه هو)[116] . وأولت فرقة المغيرية قوله تعالى (« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أنه كان ظلوما جهولا » عرض على السموات والارض والجبال ان يحملن الامانة وهي ان يمنعن علي بن

---

(١٠٩) آية ٢٠٤ سورة البقرة
(١١٠) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
(١١١) المصدر السابق : ص ٢٨٠
(١١٢) آية ٩٣ سورة المائدة
(١١٣) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٩٣ .
(١١٤) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٩٦
(١١٥) المصدر السابق : ص ٢٩٦ .
(١١٦) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥/ ص ١٣٠

أبي طالب من الامامة فأبين ذلك ثم عرض ذلك على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر ان يتحمل منعه من ذلك وضمن له ان يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده فقبل منه وأقدم على المنع متظاهرين فذلك قوله تعالى « وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » • وزعم انه نزل في حق عمر قوله تعالى « كمثل الشيطان اذ قال للانسان ان أكفر فلما كفر قال أني بريء منك »)[117] •

هذه التأويلات اساءة الى الخلفاء الراشدين وبخاصة ابي بكر وعمر وهي تهدف الى هدم مبدأ الامامة الذي يمثل المسؤولية الدينية الاولى بعد الرسول• وذهبت فرقة المنصورية في تأويل النبوة والمعاد تأويلات انتهت الى هدم هذين المبدأين الاساسيين فقالت (ان الرسل لا تنقطع ••• وان الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو امام الوقت وان النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الامام • وتأول المحرمات كلها على اسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم • وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم)[118] •

ويوضح أبو سعيد نشوان كيف أن هذه الفرقة هدمت جملة المبادىء الاسلامية عن طريق التأويل فيقول (وزعم [مؤسسها أبو منصور العجلي] ان الميتة والدم والخمر والميسر وغير ذلك من المحارم حلال ••• واسقط جميع الفرائض مثل الصلاة والزكاة والحج والصيام وقال هي أسماء رجال أوجب الله ولايتهم)[119] •

ويؤكد الاشعري ان أبا منصور هذا اعتمد التأويل لهدم أركان الشريعة بقوله (وانما هذه الاشياء اسماء رجال حرم الله سبحانه ولايتهم وتأول في ذلك قوله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا »)[120] •

---

(١١٧) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٧٦
(١١٨) المصدر السابق : ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩
(١١٩) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٦٩
(١٢٠) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٧٥

وأولت فرقة الخطابية الالوهية والنبوة والامامة كما يحلو لها فزعم (ابو الخطاب ان الائمة أنبياء ثم ألهة والالهية نور)[١٢١] .

وقالت هذه الفرقة على أساس التأويل في هدم مبدأ المعاد (والجنة نعيم الدنيا والنار آلامها واستباحوا المحرمات وترك الفرائض ... وان كل مؤمن يوحى اليه ... وهم لا يموتون بل يرفعون الى الملكوت)[١٢٢] .

وعادت فرقة الخطابية في استغلال مبدأ التأويل لضرب مبدأ الالوهية والى تفتيته وقالت (ان عبادة الائمة واجبة وتأولوا في ذلك قول الله « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » وعبدوا أبا الخطاب وقالوا انه الههم)[١٢٣] .

واضاف الاشعري الى الخطابية انها ذهبت في التأويل الى القول (ان الائمة أنبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان ، واحد ناطق والاخر صامت ، فالناطق محمد (ص) والصامت علي بن أبي طالب «رض»)[١٢٤] .

وهكذا عملت الخطابية عن طريق التأويل على محاربة مبادىء الاسلام: الالوهية والنبوة والمعاد والامامة وبخصوص النبي ذهبت الى تقسيمه الى نوعين نوع ناطق وآخر صامت هادفة الى تخريب هذا الركن من الشريعة بين هذا التقسيم الذي لا يقوم على أساس .

ولقد ذهبت فرقة العمرية الى اعتماد التأويل أساسا في عملها الغالي فقالت (ان الدنيا لا تفنى وان الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية وان النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض)[١٢٥] .

وتوجهت فرقة البزيغية الى مبدأ النبوة فأولت بخصوصه تأويلات تؤدي

---

(١٢١) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٨٠ ـ ٣٨١
(١٢٢) الشاطبي : الاعتصام ج ٣/ص ٦٧ ـ ٦٨
(١٢٣) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٦٦ ـ ١٦٧
(١٢٤) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٧٥ ـ ٧٦
(١٢٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٨٢ وانظر الحور العين ص١٦٦ـ١٦٧

الى هدمه فأدعت (ان كل مؤمن يوحى اليه من الله وتأول قول الله تعالى «وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله » أي يوحى اليه من الله)[١٢٦] .

وتعتبر فرقة الاسماعيلية من أكثر الفرق عملا في التأويل وقد مهدت لذلك على الوجه الآتي ، فقالت (لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل)[١٢٧] . ويرى الشاطبي أن الاسماعيلية في أعتمادهم التأويل انما ارادوا ضرب شوكة الاسلام واعتماد المبادىء القديمة لاسلافهم فقال (راموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود الى قواعد اسلافهم)[١٢٨] . ويعلق ابن الجوزي على استعمال التأويل وسيلة لهدم الشريعة عند الاسماعيلية بقوله (ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما الى مخاريق زخرفوها اذ لو صرحوا بالنفي المحض لقتلوا فقالوا : معنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء السر ، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ومعنى الزنا القاء نطفة العلم الباطن في نفس لم يسبق معه عقد العهد ، والصيام الامساك عن كشف السر ، والكعبة هي النبي والباب علي والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة ... وياجوج وماجوج أهل الظاهر)[١٢٩] .

ومن تأويلات الاسماعيلية الخطيرة تأويلهم قوله تعالى : « والتين والزيتون وطورسينين وهذا البلد الامين» بأن التين هو العقل وهو لب كله ، وان الزيتون هو النفس وكلها لطافة مختلطة بكثافة شأن الزيتون مع النواة ، وان طورسينين هو الناطق يعني محمدا (ص) الذي كان يشبه الجبل الوعر في الظاهر والذي كلم الناس بالسيف ولكن في باطنه أشياء كالجبل فيه الجواهر ، والبلد الامين هو الاساس يعني عليا الذي أول الشريعة وبه أمن الناس من البلاء ... وكذلك أولوا أنهار الجنة الاربعة ، وغرضهم من ذلك أبطال الشريعة ... ويقولون ان النبي (ص) أب المؤمنين وأن عليا أمهم وان النبي حل في علي بالعلم والمعرفة فتولد منهما سويا العلم الباطن)[١٣٠] .

---

(١٢٦) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٨٣
(١٢٧) المصدر السابق : ص ٤٢٦
(١٢٨) الشاطبي : الاعتصام ج ٣/ص ٦٨
(١٢٩) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١١٤
(١٣٠) ابو المعالي الحسيني : بيان الاديان ص ٤٢

ويعلق أبو سعيد نشوان على خطورة التأويل بقوله (والتأويل لكتاب الله عز وجل على قدر الاهواء والمذاهب والاراء الاساس لنشاط هـــــذا المبدأ)[١٣١] . وعن طريق التأويل الذي اعتمد آيات القرآن عملوا على ابعاد الآيات عن معانيها الحقيقية ويعلق القاضي عبدالجبار الاسد أبادي على خطورة مبدأ التأويل بقوله (فجعلوا ذلك طريقا الى القدح في الاسلام ... لانه مبني على القرآن والسنة فاذا اخرجوا من القرآن ان يعرف به شيء ... وجعلوا المرجع الى الباطن الذي لا يعلم الا من جهة الحجة ... وذلك متعذر فقد سدوا باب معرفة الاسلام وطعنوا فيه)[١٣٢] .

ويعلق البغدادي على خطورة التأويل بقوله (ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة)[١٣٣] .

---

(١٣١) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص ٢٣٦

(١٣٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل ج١٦/ص ٣٦٣ .

(١٣٣) الفرق بين الفرق : ص ١٧٠ .

الفصل الرابع

أساليب الغلاة وأهدافهم ورد الفعل عليهم

اساليب الغلاة :

الاسلوب الغالي : طريقة العمل التي اتبعها الغلاة للوصول الى أهدافهم ، ولما كان الغلو ظاهرة منظمة فأن الغلاة عملوا عبر وسائل وضعت بعد دراسة وتدقيق تتناسب وأهمية الاهداف التي عملوا لها وخطورتها مع مراعاة جميع ظروف العمل المحيطة بنشاطهم هذا المعادي للاسلام ودولته •

ويمكن توزيع أساليب العمل الى مجموعتين :

المجموعة الاولى : هي تلك الوسائل التي أعتمدت اساسا المبادىء الغالية التي أتينا على ذكرها في الفصل الثالث حيث تفرعت عن تلك المبادىء وسائل وطرق عديدة وصولا للاهداف المرسومة لحركة الغلو •

ولقد وقفنا على مبادىء (الحلول والتناسخ والبداء والتشبيه والتأويل) وكيف كان كل مبدأ منها مبدأ ووسيلة في وقت واحد وكان التفاعل بين الجانبين تفاعلا مستمرا بحيث يتحول المبدأ الى وسيلة وتتغير الوسيلة الى مبدأ وهكذا يسيران في عملية واحدة متداخلة •

لقد لاحظنا كيف أن الحلول مثلا يتحول الى وسيلة تصعد الى ذات الله وتنزل بها الى حيث تشاء حركة الغلو ، وكذلك كان الامر في التناسخ والبداء والتشبيه والتأويل كل منها يتحول الى وسيلة متحركة من أجل الوصول الى الاهداف الرئيسة لحركة الغلو • وتعتبر هذه المجموعة من أوسع واخطر الوسائل التي اعتمدها الغلاة في نشاطهم [1] •

---

(١) انظر مبادىء الغلو في الفصل الثالث •

والمجموعة الاخرى : يمكن توزيعها الى نوعين من الوسائل هي :

١ ـ التظاهر بالاسلام والعمل في اطاره .

٢ ـ تنظيمات حركة الغلو وسريتها .

اولا : التظاهر بالاسلام والعمل في اطاره :

لقد وضحنا ان الغلو ظاهرة قامت في اطار الاسلام من أجل مقاومته لذلك كان تظاهرها بالاسلام والعمل باسمه الوسيلة الاساسية والبارعة لانجاح مهمتها وديمومة نشاطها مع المحافظةعلىكثير من اسلحتها فيالمعركةوشخوصها.

ومن هنا كانت عملية التظاهر هذه عملية دقيقة ومنظمة سارت وفق تخطيط محكم يبقى على المغالي في أطار الاسلام مع عمله الهدمي ومن أجل التوفيق بين هذين المظهرين المتناقضين اقتضى ذلك كثيرا من التنظيم والحيطة والبحث عن مداخل عدة وحجب مختلفة من أجل ان تكون ستارا ووقاء لتحرك الغلاة وامعانا في تسترهم .

ان اعتماد الغلاة التظاهر بالاسلام واتخاذه مرتكزا للعمل من خلاله من أجل هدم الاسلام يتطلب ان يبقى هذا التحرك على صلة بالاسلام من جهة مع ابتعاده عنه كثيرا أو قليلا من جهة اخرى على ان يكون هذا الابتعاد تدريجيا ومنظما من أجل المحافظة على المعادلة بين وجهي العملية المتناقضة العمل في أطار الاسلام مع الهدف الى هدمه .

ولم يعتمد الغلاة على مجال واحد في هذا الاطار وانما عملوا في أكثر من مجال يحقق لهم أغراضهم ، لذلك نرى الغلاة في جميع الفرق الاسلاميه ونراهم في معظم الاحزاب السياسية وفي جميع مظاهر النشاط الاسلامي ونراهم مع آل البيت وضدهم كما نراهم في التصوف وفي الفسوق ما دامت هذه المظاهر والمحالات تضمن لهم الاحتفاظ بهويتهم الاسلامية الظاهرة وتضمن لهم التحرك المضاد الغالي .

ويمكن توزيع عمل الغلاة في أطار التظاهر بالاسلام الى جملة مظاهر فرعية أهمها :

آ ـ **العمل داخل الفرق الاسلامية :**

مر بنا في الفصل الثاني مجموعة الفرق الغالية وقد لاحظنا كيف ان تلك الفرق عملت في نطاق جميع الفرق الاسلامية التي توزعت الى جملة فرق كان توزعها رحمة للناس وتسهيلا لهم في علاقاتهم مع الدين الاسلامي ووقفنا على عمل الفرق الغالية مع كل فرقة اسلامية وكيفية استغلال ذلك من أجل اغراضهم الغالية وكيف انهم ابتعدوا كثيرا عن الفرق الاسلامية الأصلية وذهبوا الى متاهات بعيدة عن الاسلام واحتفظوا بخيط يشدهم الى الفرق الاصلية ويمكنهم من الرجوع اليها عند الحاجة (٢) .

ب ـ **العمل من خلال ظاهرة التصوف :**

التصوف : ظاهرة اسلامية على الرغم من وجود جذور لها قبل الاسلام وقد نشطت هذه الظاهرة في أطار الاسلام وتطورت عن الزهد والتقشف ومن ثم اتصلت بآراء فلسفية يونانية وهندية الى جانب عملها في أطار الاسلام .

والتصوف كغيره من الظواهر الدينية المتصلة بالفكر والفلسفة توزع الى انواع ودرجات متعددة يمكن تقسيمها الى نوعين أساسيين : تصوف سليم متفق مع الاسلام ، وآخر غير سليم مناقض له .

ومن صور التصوف السليم ما كان عليه الجنيد البغدادي الذي قال في معنى التوحيد (التوحيد أفراد المحدث عن القدم فبين ان التوحيد ان يميز بين القديم والحديث)(٣) . وفي مجال التصوف السليم قول معروف الكرخي في التصوف (التصوف أخذ بالحقائق واليأس مما في أيدى الخلائق)(٤) .

أما التصوف غير السليم فهو الذي تناقض مع المبادىء الاسلامية وابتعد كثيرا عن النصوص والاصول وقد استغل الغلاة بدقة هذه الظاهرة وعملوا من

---

(٢) أنظر الفرق الاسلامية والفرق الغالية في الفصل الثاني .

(٣) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ص ٧ .

(٤) أبو العلا عفيفي : في التصوف الاسلامي ص ٢٨ أخذا من رسالة القشيري ص ١٤٩ .

خلالها من أجل الوصول الى جانب من أغراضهم ، لذلك نجد الغلاة من المتصوفة يعتمدون مبادىء الغلو واساليبه من خلال ظاهرة التصوف من أجل مواصلة نشاطهم ومن أبرز وسائلهم الوسائل الاتية :

استعمال مبدأ الحلول والاتحاد المطلق :

وجد المتصوفة الغلاة في الحلول مدخلا جيدا لعملهم ولم يقفوا به عند حدود الحلول الجزئي أنما قالوا بالحلول المطلق والاتحاد الكامل ، وفي ذلك يقول ابن تيمية على لسانهم (وقالوا بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق .)[٥] وكان العمل بالحلول المطلق عند مستأخري الصوفية وفي ذلك يقول ابن تيمية (وفي الجملة القول بالحلول وما يناسبه وقع فيه كثير من مستأخري الصوفية)[٦] . وهذا يشير الى أن الغلاة قد سيطروا على حركة التصوف واخذوا بالحلول أساسا في تحركهم في الفترة الاخيرة من نشاط هذه الظاهرة .

ولم ينس غلاة الصوفية الاعتماد على آية من القرآن أو أكثر من أجل تبرير مقولتهم في الاتحاد المطلق هذا فقالوا في تأويل قوله تعالى (« ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » ان المراد به ان فعلك هو فعل الله أو المراد ان الله حال فيك ونحو ذلك ... وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضا فيكون الله قد بايع الله اذ الله خالق لهذا أو لهذا وكذلك اذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد فانه عام عندهم من هذا وهذا فيكون الله قد بايع الله)[٧] .

ان فكرة الاتحاد المطلق التي أشرنا اليها تعتبر من أخطر المبادىء التي أعتمدها غلاة الصوفية لهدم مبدأ الالوهية والغاء الفواصل بين الانسان والاله واسقاط الفوارق بين الانسان الخير والانسان الشرير وفي ذلك تجميد للانسان وفي تجميده الغاء لدوره في الدين والغاء لدوره في الحياة وضرورة ديمومتها ويوضح ابن تيمية عملية التجميد بين الانسان الخير والانسان الشرير في غلو

---

(٥) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ص ٧١ .
(٦) المصدر السابق ص ٧١ .
(٧) المصدر السابق ص ٩٧ .

هؤلاء الصوفية فيقول (حتى ان أحدهم اذا أمر بقتال العدو يقول أقاتل الله ما أقدر أن أقاتل الله)[8] •

ومما يؤكد خطورة فكرة الاتحاد في الغاء الفرق بين الانسان وخالقه تعقيب ابن عربي صاحب الفصوص على قول الجنيد البغدادي الذي عرف القديم تعريفا منسجما مع المبادىء الاسلامية فقال (••• ان الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد لما اثبتوا الفرق بين العبد والرب بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث الا من يكون ليس بقديم ولا محدث)[9] •

وفي قول الحلاج عن طريق الوحدة المطلقة تأكيد لصور التجميد بين الانسان والخالق والغاء للفواصل بينهما حيث قال في معنى التوحيد (••• معنى لا اله الا الله كلمة شغل بها العامة لئلا يختلطوا بأهل التوحيد وهذا شرع التوحيد من وراء الشرع ••• ثم قال من زعم انه يوحد الله فقد أشرك)[10] • واضاف الحلاج فيعملية الغاء الفواصل بين الايمان والشرك الذي يؤدي الى الغاء الشريعة قوله (••• واعلم ان العبد اذا وحد ربه تعالى فقد اثبت نفسه ومن أثبت نفسه فقد أتى بالشرك)[11] •

ادعاء الكشف والتجلي لذات الله :

ولم يقف غلاة المتصوفة عند الحلول المطلق أنما ذهبوا الى تشبيه الله على هيئات يظهر بها ويكشف عن ذاته على اشكال حسب تصورهم وفي هؤلاء يقول ابن الجوزي (وذكر فيه بعض الصوفية ان الله عز وجل يتجلى في الدنيا لاوليائه)[12] •

ويطالب الحلاج في أحدى مناجاته الله ليكشف عن ذاته له فيقول (وحرمت على غيري ما أبحت لي من النظر في مكنونات سرك وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا

---

(٨) المصدر السابق ص ٩٨ •
(٩) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ص ٧ •
(١٠) علي بن انجب الساعي : أخبار الحلاج ص ٧٤
(١١) المصدر السابق : ص ٩٣ •
(١٢) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٧٦ •

لقتلي تعصبا لدينك وتقربا اليك فاغفر لهم لانك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا ولو سترت عني ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت)[13] .

ومن صور الكشف الحلولي قول نساك الصوفية (ان الباري يحل في الاشخاص وانه جائز انه يحل في انسان وسبع وغير ذلك من الاشخاص واصحاب هذه المقالةاذا رأوا شيئا يستحسنونه قالوا لا ندري لعل الله حال فيه ومالوا الى اطراح الشرائع وزعموا ان الانسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة اذا وصل الى معبوده) [14] .

العشق والهيمان بذات الله :

ومن صور الصوفية الغالية ادعاء العشق والهيمان في ذات الله بشكل يخرج هؤلاء من حظيرة المحبة المعقولة المقبولة الى عشق مرفوض اصلا وفي هؤلاء يقول ابن الجوزي : (ومن غلوهم ... عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم قابلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم)[15] .

ان غلو الصوفية هذا قد تركز على مبدأ الالوهية فكان الحلول المطلق اسقاطا للفواصل بين الانسان وبين خالقه وكان الكشف نزولا بذات الله من كونه لا مثيل له الى تشبيهه بأشياء قابلة للحدوث والتغيير كما وانه عن طريق العشق والهيمان نزول به الى مراتب أخرى غير مرتبته الاصلية وفي كل هذا هدم لمبدأ الوحدانية الذي قام وتقوم عليه العقيدة الاسلامية .

ولم يقف غلو المتصوفة على مبدأ الوحدانية انما توجهوا الى بقية المبادىء فعملوا على هدمها وبخاصة الاركان العملية من صوم وصلاة وزكاة وحج فهذه تعتمد اساسا على الايمان بالله فاذا سقط الايمان وانتفى من الانسان فأن هذه الاركان تعتبر لاغية لا وجود لها لذلك نجد الحلاج يعلن ان (الكفر والايمان يفترقان من حيث الاسم واما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما)[16] ،

---

(١٣) علي بن أنجب الساعي : أخبار الحلاج ص ٨ .
(١٤) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٨٠ ـ ٨١ .
(١٥) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٧٣ .
(١٦) علي بن انجب الساعي : اخبار الحلاج ص ٥٣ .

ويضيف الحلاج الى قوله هذا (من فرق بين الكفر والايمان فقد كفر ومن لم يفرق بين الكافر والمؤمن فقد كفر)[17] .

فاذا كان هذا أمر الايمان والكفر فهل هناك من ضرورة للمبادىء الاخرى التي لا قيمة لها ما لم تعتمد على الايمان فاذا كان الايمان والكفر سواء فأن الفرائض والمحرمات هي الاخرى سواء وفي ذلك اسقاط للشريعة برمتها .

ويواصل الحلاج اسقاطه الشريعة عن طريق عدم التفريق بين المبادىء الاسلامية ونقائضها فعنده سيان الاسلام والزندقة فيقول (... فاذا ترادفت عليه [أي الانسان] اللوائح وتتابعت عليه الطوالع صار التوحيد عنده زندقة والشريعة عنده هوسا فبقي بلا عين ولا أثر ولئن استعمل الشريعة استعملها رسما وان نطق بالتوحيد نطق به غلبة وقهرا)[18] .

ويعلق الشيخ محمد عبده على غلو المتصوفة فيقول (ولكن لا أنكر ان الزمان تجهم للمسلمين كما كان قد تنكر لغيرهم وابتلاهم بمن فسد من المتصوفة من عدة قرون فبثوا فيهم أوهاما لا نسبة بينها وبين أصول دينهم فلصقت بأذهانهم لا على أنها عقائد ولكنها وساوس قد تملك الجاهل وتربك العاقل اذا لم يغلبها بعوامل الدين الصحيح)[19] .

ويؤكد الدكتور علي سامي النشار على جملة مواقف المتصوفة الغالية وخطورة ما ذهبت اليه فيقول (أما عقيدة الاتحاد فلا يوافق الاسلام اية موافقة على حلول الخالق في المخلوق أو استغراق المخلوق في الخالق ... ولا يتفق الاسلام مع عقيدة الوحدة لان فيها انتقالا من عقيدته الاصلية «لا اله الا الله» الى عقيدة الصوفية « لا موجود في الحقيقة الا الله »)[20] .

وهكذا وجد الغلاة في ظاهرة التصوف مادة عملوا خلفها نحو اهدافهم فكانت ستارا جيدا لهم في نشاطهم المضاد هذا استطاعوا به تحقيق كثير من تلك

---

(١٧) المصدر السابق : ص ٧٤ .
(١٨) علي بن انجب الساعي : اخبار الحلاج ص ٧٣ .
(١٩) محمد عبده : الاسلام : رسالة بقلم مسيو هانوتو ، وتعقيب الشيخ محمد عبده عليها ص ٣٢ ـ ٣٣ .
(٢٠) علي سامي النشار : نشاة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ٨ .

الاهداف مع المحافظة على الهوية الاسلامية بشكل أكثر بروزا ووضوحا من هويات الاخرين .

ج ـ العمل خلف ستار الولاء لآل البيت :

لم يقف الغلاة عند باب واحد في عملهم هذا ، انما حاولوا ولوج جميع الأبواب كما حاولوا توزيع المدخل الواحد الى مداخل عدة ضمانا للدخول وحيطة للتراجع والتخلص ، فعن طريق الامعان في التظاهر بالاسلام وجد الغلاة في التستر في الولاء لآل بيت الرسول (ص) وسيلة أخرى تحقق لهم غرضين في وقت واحد ، الأول : الامعان في التستر والحماية على مواقفهم وعدم تعرضهم للاتهام والانتقام ، والغرض الآخر : الاساءة لآل البيت من خلال اضفاء صفات عليهم لا يقرها الشرع وفي ذلك اساءة لمبدأ الامامة ومبدأ النبوة بشكل من الاشكال .

ويوضح ابن الجوزي عمل هؤلاء خلف الولاء لآل البيت وكيفية استغلاله فيقول : (ورأوا أمر محمد قد استطار في الاقطار وانهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا ان ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم ازكاهم عقلا واتحفهم رأيا وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب اليهم ونتودد اليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ... ثم قالوا وطريقنا ان نختار رجلا ... على المذهب ويزعم انه من أهل البيت وأنه يجب على كافة متابعيه ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢١] .

وقد لاحظنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب الفرق الغالية التي تفرعت عن فرقة الشيعة وكيف اتخذت كل فرقة واحدا من الائمة أو واحدا من أهل البيت للعمل من خلاله والتستر باسمه وعلى الرغم من تبروء الائمة من هؤلاء صراحة ومن أقوالهم[٢٢] الا" أن هؤلاء ظلوا متمسكين بالائمة يعملون من خلفهم وقد نبه الامام علي الى هؤلاء بقوله (قال يخرج في آخر الزمان قوم

---

(٢١) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١١٢ ـ ١١٣ .
(٢٢) أنظر الصفحات المتعلقة في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

لهم نبز يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك انهم يشتمون أبا بكر وعمر « رضي الله عنهما »)[٢٣] .

ولم يقف هؤلاء الغلاة المتسترون خلف آل البيت بالعمل تحت اسمهم بشكل عام انما ذهبوا يفتشون في آراء العقيدة الشيعية عن مجالات يعملون تحتها كوسائل جديدة في نشاطهم المضاد فوجدوا في فكرة العصمة والتقية والرجعة مجالا لاستغلالها والعمل خلفها من أجل الوصول الى أغراضهم وأدركوا ان شرط ذلك يستلزم تحريف هذه الافكار عن معانيها الحقيقية ليكون ذلك وسيلتهم لهدمها من ناحية والوصول الى أغراضهم الغالية من ناحية اخرى .

العمل خلف فكرة العصمة :

العصمة للأئمة جانب من جوانب العقيدة الامامية يراد بها (التوفيق واللطف والاعتصام من الحجج بهما عن الذنوب والغلط في دين الله ، والعصمة تفضّل من الله تعالى)[٢٤] والعصمة لازمة للامامة لأن الامامة واجبة وفي ذلك يقول هاشم الحسني (ان نصب الامام واجب ... لانه منفذ لما جاء به الرسول وحافظ للشرع ... فلو جاز عليه الخطأ والكذب لا يحصل الغرض من امامته)[٢٥] .

اذن فالعصمة (التي يدعيها الشيعة الامامية للأئمة هي عدم صدور الكبائر والصغائر منهم عمدا وسهوا بلا فرق بين المشينة وغيرها ... فليس لها مفهوم يتخطى امكانيات الانسان بنحو يكون هذا المخلوق البشري انسانا آخر له طبيعة غير طبائع الناس ، ان المعصوم انسان ... يغضب ويرضى ويحزن ويفرح ويتلذذ ويتألم ويحب ويكره الى غير ذلك من صفات الانسان)[٢٦] .

---

(٢٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٠٨ .
(٢٤) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ٦٠ ـ ٦١ .
(٢٥) هاشم الحسني : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ص ٢٣٦ .
(٢٦) المصدر السابق : ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ .

هذا هو مدلول العصمة لدى الامامية الا ان الغلاة استعملوا هـــذه الفكرة بعيدا عن مدلولها هذا واتخذوا منها وسيلة اخرى للعمل بها نحــو مهمات الغلو الاساسية فشوهوا هذه الفكرة الى جانب استغلالهم لهـــا استغلالا واسعا .

ان كثيراً من الآراء الغالية التي قال بها الغلاة بحق الائمة جاءت من خلال تحريفهم فكرة العصمة ومن هذه التحريفات قول فرقه المعمرية في جعفـر الصادق «ع» (كانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيهـا على عبادة الصادق « عليه السلام »)[٢٧] . ومن هذه التحريفات المقصودة مـــا ذهبت اليه فرقة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي حيث ادعت (انه اجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة ويفرق بينهما بأن النبي يوحى اليه فينبه على وجه الخطأ فيتوب منه والامام لا يوحى اليه فتجب عصمته)[٢٨]

وقد استغلت فرقة الاسماعيلية فكرة العصمة أوسع استغلال بعـــد تحريفها من أجل كسب الانصار والمؤيدين وفي هذا يقول الدكتور حســن ابراهيم حسن (اما الغرض السياسي الأول من القول بعصمة الأئمة فيتلخص في جعل العامة من الاسماعيلية يخلصون لامامهم ظاهرا كان أو مستورا ولقد كان لهذه النظرية أثر في جذب المستجيبين الى الدعوة وانصارها)[٢٩] .

وعن طريق القول بعصمة الأئمة والتحريف فيها قالت بعض الفرق الغالية (ان اسرار الشرائع وبواطنها وقف على الائمة وحدهم وانه لا يمكن معرفة هذه الاسرار الا عن طريق أنفسهم أو عن طريق انصارهم من الدعاة وقـــد استغل دعاة الائمة المستورين في الدور القدامى تلك النظرية في تثبيت نفوذهم بدعوى انهم نواب الأئمة وحججهم)[٣٠] .

وهكذا عمل الغلاة على كسب المؤيدين عن طريق استعمال مبدأ العصمة فحققوا بذلك غرضين أساسيين : تشويه فكرة الامامة والاساءة الى فكــرة

---

(٢٧) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٣٨٤ .
(٢٨) المصدر السابق : ص ٣٩٩ .
(٢٩) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٨٤ .
(٣٠) المصدر السابق : ص ٢٨٤ .

العصمة ودفعها عن حدودها ، ومن هذه الاستعمالات لفكرة العصمة التي هدفت الى تجميد الرسالة وتجميد ارادة الانسان واضفاء صفات للأئمة لا تقرها الشريعة وفي استغلال فكرة العصمة وأثر هذا الاستغلال السيء من قبل الغلاة يقول ابن الجوزي (فقد ذهبوا الى ابطال الرأي وافساد تصرف العقول ودعاء الخلق الى التعليم من الامام المعصوم) [٣١] .

العمل خلف فكرة التقية :

يقول الشيخ المفيد في تعريف التقية انها (كتمان وستر الاعتقاد فيه ومكافحة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين والدنيا)[٣٢] . ويرى ابو عبدالله جعفر الصادق « عليه السلام » أن (التقية في كل شيء يضطر اليه ابن آدم فقد أحله الله له ... وصاحبها أعلم بها حين تنزل به)[٣٣] .

اذن التقية عند الضرورة جائزة وقد عمل بها عمار بن ياسر الصحابي حينما وقع عليه أذى قريش فأنزل الله فيه قوله (« الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » فقال له النبي «ص» عندها ياعمار ان عادوا فعد فقد أنزل الله عز وجل عذرك وامرك ان تعود ان عادوا)[٣٤] .

ويلخص الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء مجالات جواز التقية وحدود هذا الجواز والمجالات التي لا يجوز العمل بها فيقول (وقد اجازت شريعة الاسلام المقدسة للمسلم في مواطن الخوف على نفسه او عرضه اخفاء الحق والعمل به سرا ... كما أشار جل شأنه بقوله « الا أن تتقوا منهم تقاة » وقوله « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » وقصة عمار وابويه وتعذيب المشركين لهم ... وحملهم لهم على الشرك واظهار الكفر مشهورة)[٣٥] .

والعمل في التقية له شروطه التي تجيز استعمالها كما وهناك مواقف

---

(٣١) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١١٢ .
(٣٢) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ٦٦ ــ ٦٧ .
(٣٣) الكليني : أصول الكافي ج ٢/ص ٢١٩ .
(٣٤) المصدر السابق : ج ٢/ص ٢١٩ .
(٣٥) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١٨٨ــ١٨٩ .

لا يجوز استعمال التقية فيها ويوضح آل كاشف الغطاء هذه النواحي فيقول :

(والعمل بالتقية له أحكامه الثلاثة :

.. فتارة يجب كما اذا كان تركها يستوجب تلف النفس في غير فائدة .

وأخرى رخصة كما لو كان في تركها والتظاهر بالحق نوع تقوية لـــه ، فله ان يضحي بنفسه وله ان يحتفظ عليها .

وثالثة يحرم العمل بها كما لو كان ذلك موجبا لرواج الباطل واختلال الحق واحياء الظلم والجور ... ولذا نجد الكثـير من رجـالات الشـيعة وعظمائهم سحقوا التقية تحت أقدامهم وقدموا هياكلهم المقدسة قرابين للحق على مشانق البغي)[٣٦] .

هذا هو معنى التقية وتلك درجاتها فهي تجوز وتجب وهي ممنوعة اذا كان استعمالها يتسبب في رواج الظلم والباطل ، ومما لاشك فيه أن التقية بهذه الحدود والشروط مسألة مقبولة ، لها من القرآن الكريم ما يبررها ولها من حديث الرسول (ص) ما يوضح وجوبها ،كما وانها في الحدود التي حددهـا علماء الشيعة الامامية تعتبر فكرة تتسق وتنسجم مع مبادىء الاســلام الا أن الغلاة دفعوا بها عن حدودها واستغلوها استغلالا مشينا عاد عليها بالاساءة كما عاد على الاسلام بكثير من الاساءة .

ويعلق الدكتور حسن ابراهيم على كيفية استغلال الاسماعيلية لفكرة التقية في عملياتهم الغالية فيقول (كذلك استغل الاسماعيلية ... مذهب التقية فكانوا سنيين مع أهل الســنة ، شيعيين مع الشيعيين ، يهودا مـــع اليهــود ومسيحيين مع المسيحيين ومجوسيين مع المجوس)[٣٧] .

وقدمت فكرة التقية للدعاة من الغلاة الامكانية للتستر على مبادئهـم وعلى تحركهم بعيدا عن مراقبة السلطة وعن مواجهة أصحاب الرأي والعقيدة من المسلمين وبهذا الصدد يقول فيهم الدكتور حسن ابراهيم حسن (ان مبدأ

---

(٣٦) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١٩٠-١٩١ .

(٣٧) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٣١٣ .

التستر والتقية قد ساعدا على التمويه وعدم اعطاء السلطة أية حجة ضدهم)[٣٨] •

وتحت ستار السرية والتقية عملت الاسماعيلية بشكل واسع واستطاعوا الاتصال بجميع طبقات المجتمع على اختلاف عقائدهم وميولهم وفي ذلك يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن (وكانوا يقولون للزرادشتي ان نبيه زرادشت كان على حق ••• وكذلك كانوا يقولون مثل ذلك لمعتنقي الاديان الاخرى ••• وكانوا يؤولون الآيات القرآنية والاحاديث وما ورد في الكتب السماوية الاخرى وغيرها بما يتفق مع ميول معتنقي هذه الأديان والمذاهب ••• لذلك جذبوا الفيلسوف والمعتزلي والمتصوف وغيرهم الى صفوفهم كما عملوا على أن تكون تعاليمهم متفقة مع تعاليم هؤلاء واولئك)[٣٩] • وعن هذا الطريق استطاعوا الاتصال بمجاميع كبيرة ادخلوها الى صفوفهم ويعلق على ذلك الدكتور حسن ابراهيم حسن قائلا (ونجحوا نجاحا كبيرا في تكوين مجتمعات ••• قوية عمادها التقية)[٤٠] •

العمل خلف فكرة الرجعة :

ان غياب الامام الثاني عشر محمد بن الحسن ، ورجوعه ثانية من معتقدات الشيعة الاملمية ، وتستند الامامية على أحاديث عن الرسول ترويها عن طريق المحدثين المحسوبين على الشيعة والسنة[٤١] ، واننا كمسلمين نؤمن بوجود الله وقدرته فهو الذي خلق السماء وما فيها والارض وما عليها فهو قادر على أن يغيب محمد بن الحسن المهدي (ع) كما هو قادر على ان يعود به ثانية ، أما النقاش حول مبرر هذه الغيبة واهميتها في العقيدة ولماذا قالت فيها الامامية فهي مسألة اخرى لنقاشها مجال آخر غير هذا المجال •

ففكرة الرجعة اذن خاصة بالامام الثاني عشر الا أن الغلاة تصرفوا

---

(٣٨) المصدر السابق : ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ •
(٣٩) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٩٢ـ٢٩٣ •
(٤٠) المصدر السابق : ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ •
(٤١) أنظر أصل الشيعة وأصولها ص ٨٠ ـ ٨٦ •

بهذه الفكرة تصرفات اخرى وذهبوا في نسبة فكرة الرجعة الى أئمة آخرين فنرى ان فرقة السبأية قالت برجعة الامـام علي « رضى الله عنه » فزعمت (ان عليا لم يمت وانه يرجع الى الدنيا قبل القيامة فيملأ الارض عدلا)[٤٢] .

كما وان فرقة المحمدية على انتظار (محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولا يعترفون بقتله ولا بموته ويزعمون انه حي في جبل حاجر الى أن يؤمر بالخروج)[٤٣] .

والكيسانية ينتظرون (محمد بن الحنفية وزعموا انه حي محبوس بجبل رضوى الى أن يؤذن له بالخروج)[٤٤] .

وفرقة الجناحية على انتظار عبد الله بن معاوية بن عبد الله فهم يقولون (انه بعد حي لم يمت ويرجع)[٤٥] .

وفرقة الاسماعيلية ينتظرون (اسماعيل بن جعفر الصادق مرة وينتظرون ابنه محمد تارة أخرى وهم قد اخرجوا الامام المسـتقر نيابـة عن الامـام المستودع في سبيل تبرير قيام دولتهم)[٤٦] .

كما ذهبت فرق اخرى الى القول برجعة غير هؤلاء وذلك وفقا لاعتبارات وتفسيرات خاصة بها .

لقد تبين ان الغلاة قد استغلوا فكرة الرجعة وعملوا خلفها بشكل أبعدها عن المجال الذي وضعت من أجله ، ان أمر الرجعة خاص بالامام الثاني عشر أما ان تنسب الى غيره ففي هذا عمل بهذه الفكرة يتنافى والمجال الذي قامت فيه ، ويرد السيد هاشم الحسني على هؤلاء الذين سحبوا الرجعة الى غـير الامام الثاني عشر بقوله (اما رجعة الاموات قبل المحشر فليست من عقائدهم ولا من ضروريات مذهبهم مع العلم يوجد بعض المرويات عن الائمة فيهـا ولكن الكثير منهم يدعون بأنها من الموضوعات بين أحاديث أهل البيت)[٤٧] .

---

(٤٢) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٨٥ ـ ٨٦ .
(٤٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ص٤٢ .
(٤٤) المصدر السابق : ص٣٧ـ٣٨ .
(٤٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٩٣ .
(٤٦) انظر عبيدالله المهدي : ص ٢٧٣ـ٢٧٤ ، ٣١٠ .
(٤٧) هاشم الحسني : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ص٢٧٥ـ٢٧٦ .

ويؤكد السيد هاشم الحسني أن الرجعة خاصة بالامام الثاني عشر فيقول (ان الرجعة ليست من معتقدات الامامية ... لو صحت عن الائمة لا بد من تأويلها برجوع سلطان الائمة ومبادئهم بظهور محمد بن الحسن الامام الثاني عشر عليه السلام)[٤٨] .

يتبين من هذا ان فكرة الرجعة قد تحددت بالامام محمدبن الحسن الامام الثاني عشر وان أية محاولة لسحب هذه الفكرة على أي امام آخر أنما في ذلك خروج عن العقيدة الامامية كما وانه استعمال لهذه الفكرة في غير مجالها . ان القول بأن أي قائد أو امام يتوفى لا يزال حيا وانه في غياب موقوت وانه سيعود ثانية له اثاره البعيدة في بقاء الامل لعودته وابقاء المؤيدين حول فرقته ولذلك نجد ان معظم الفرق الغالية ادعت ان امامها في غياب وانه سيعود من أجل ابقاء هؤلاء المؤيدين وشدهم الى الفرقة وتفانيهم في سبيلها . وقد عملت الاسماعيلية بشكل دقيق ومنظم في الاستفادة من فكرة الرجعة في الابقاء على الانصار ومد النشاط الى طوائف وجماعات مختلفة وفي هذا يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن (عمل دعاة الاسماعيلية الاوائل على رواج هذه النظرية في انحاء العالم الاسلامي كافة متخذين ميل كثير من الناس الى أهل بيت الرسول واعتقادهم فساد المجتمع الاسلامي وسيلة لجذب الاشياء ... فادعوا انهم يمهدون لعصر جديد هو عصر « دولة الله » وان المنقذ المنتظر على وشك الظهور ليغيث الناس)[٤٩] . ويضيف الدكتور حسن ابراهيم أثر فكرة الرجعة في عمل دعاة القرامطة فيقول (وقد عملت نظرية المهدي عمل السحر في نفوس القرامطة فنادوا بها جميعا)[٥٠] .

ثانيا ـ تنظيمات حركة الغلو :

كانت حركة الغلو حركة منظمة وتنظيماتها كانت في جميع مراحل عملها ذلك أن أهداف هذه الحركة الخطيرة اقتضت أن يكون عمل الغلاة عملا محكما وان يكون تنظيمهم فيه من الدقة من أجل المحافظة على طرفي المعادلة المتناقضة

---

(٤٨) المصدر السابق : ص ٢٧٧ .
(٤٩) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٧٣ـ٢٧٤
(٥٠) المصدر السابق : ص ٣١٠ .

التي هي عليها وهذه المعادلة هي العمل على هدم الاسلام والمحافظة على البقاء في نطاقه .

لذلك كانت مهمة الغلو مهمة شاقة وعسيرة تطلبت جملة أمور منها مبادىء خاصة لها ووسائل محكمة بعملها واهداف مرسومة لنشاطها ويحيط هذه كلها أسلوب منظم يجعلها تسير نحو اهدافها بشكل يحقق لها الوصول الى هذه الاهداف دون أية خسارة .

وكانت عملية التنظيم هذه تتصل بجميع مراحل نشاط هذه الحركة ويمكن الوقوف على جملة هذه التنظيمات في النقاط الاتية :

١ ـ السرية :

كانت حركة الغلو سرية وهذه السرية تشمل سرية الوسائل وسرية الاهداف كما تشمل السرية على رجالات هذه الحركة ، ومن مظاهر هذه السرية الاولى ان جميع العاملين تحت لواء هذه الحركة تظاهروا بخلاف ما كانوا عليه من عقائد كما وان جميع فرق الغلو عملت بوسائل تظاهرت بانها تهدف الى غايات غير الغايات الحقيقية المعتمدة لهذه الوسائل .

ويحدثنا أبن النديم عن جانب من نشاط الفرق الباطنية هذا فيقول (وقد كان قبل بني القداح قريب ممن يتعصب للمجوس ودولتها ويجتهد لردها في أوقات منها بالمجاهرة ومنها بالحيلة سرا فاحدثوا في الاسلام حوادث منكرة ، وقد قيل أن أبا مسلم صاحب الدعوة رام ذلك وعمل عليه فاخترم دون ذلك)[٥١]

ويعلق الدكتور حسن ابراهيم على سرية الاسماعيلية بقوله (فقد غمرت هذه الدعوة أمواج السرية الدقيقة حتى التبس الامر على المؤرخين)[٥٢] .

وامعانا في السرية من أجل التستر على قادة الغلو قالت بعض الفرق الغالية بالامام المستقر والامام المستودع فقد أعلن ابو منصور العجلي صاحب فرقة

---

(٥١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ .

(٥٢) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٧٠ـ٢٧١ .

المنصورية (أنما أنا مستودع وليس لي أن أضعها « أي الامامة » في غيري الى أن يظهر المنتظر وهو محمد بن عبدالله النفس الزكية)[٥٣] .

وعملت فرقة الاسماعيلية بدقة من خلال فكرة الامام المستودع فقالت (بعصمة الائمة واستتارهم وظهورهم كما بحثوا الاستقرار والاستيداع الاماميين وفرقوا بين الامام المستقر والامام المستودع)[٥٤] .

ومن التمسك بالسرية عدم كشف الاهداف الحقيقية لحركتهم وانما الوصول اليها بتكتم وبصورة غير مباشرة ولما كان أساس العقيدة وقانونها هو القرآن والسنة ، فان الهجوم عليهما يولد لهم مشاكل لذلك عمدوا الى اتباع اسلوب غير مباشر من أجل ضرب هذه الاسس وبهذا الصدد يقول ابن الجوزي (ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما الى مخاريق زخرفوها اذ لو صرحوا بالنفي المحض لقتلوا)[٥٥] .

ومن علامات السرية الدقيقة في عملهم ما يذكره الداعي ادريس في المنتخب حيث يقول (كان لشدة استتار الامام « عليه السلام » اذا أخذ في حدود دينه العهد مستجيبين الى دعوته يقول له : وانك سمعا وطاعة لولى العصر ولا يفوه باسمه واذا ترشح في العلم وعلت درجته وارتفعت منزلته كتب له أسم الحجب ولا يكشف اسم امامه ولا ينبه باشارة ولا عبارة في كلامه الا بحد بلغ الاطلاق واستحق كشف معرفة امامه باستيجاب واستحقاق وجرى ذلك مدة الائمة المستورين حتى طلعت شمس الحق من مغربها وانارت آفاق الدين لكل متمسك بالعروة الوثقى)[٥٦] .

٢ ـ دراسة طبائع الناس وميولهم ووضع الخطط المناسبة لهم :

ان مادة العمل الحقيقية في كل حركة هو الانسان كما وانه الهدف فيها

---

(٥٣) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٦٨ .
(٥٤) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٨٠ـ٢٨١ .
(٥٥) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١١٤ .
(٥٦) زهر المعاني : من المنتخب ص ٥٩ ، وأنظر حسن ابراهيم حسن : عبيد الله المهدي ص ٢٩٠ .

ومن أجل كسب هذا الانسان الى حركة من الحركات لا سيما اذا كانت الحركة سرية فعليها أن تضع أسسا دقيقة لمعرفة الاشخاص ووسائل مدروسة لكسبهم بحيث يكون اختيارهم منسجما مع طبيعة الحركة ومحققا لاغراضها .

وكان الغلاة على حظ كبير من القدرة لاختيار الناس ووضع الاساليب البارعة لكسبهم وفي ذلك يقول ابن الجوزي (وللقوم حيل في استدلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع في استدراجه ممن لا يطمع ، فاذا فحصوا في شخص نظروا في طبعه فأن كان مائلا الى الزهد دعوه الى الامامة والصدق وترك الشهوات ، وان كان مائلا الى الخلاعة قرروا في نفسه أن العبادة بله وان الورع حماقة ، وانما الفطنة في اتباع اللذات في هذه الدنيا الفانية . ويثبتون عند كل ذي مذهب ما يليق بمذهبه ، ثم يشككونه فيما يعتقده فيستجيب لهم أما رجل أبله أو رجل من أبناء الاكاسرة واولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة اسلافه بدولة الاسلام ، أو رجل يميل الى الاستيلاء ولا يساعده الزمان لنيل آماله ، أو شخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق ، او رافضي يتدين بسب الصحابة « رضى الله عنهم » ، أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحرين في الدين ، أو من قد غلبت عليه حب اللذات وثقل عليه التكليف)[57] .

وبعد عملية الكشف والتدقيق هذه تبدأ عسية توزيع الاشخاص الى أصناف والى درجات يقوم توزيعها على أسس محددة منها الاهواء والميول والعقائد والمذاهب والمعرفة والجهل والذكاء والفطنة أو الغباء مع مراعاة التطلعات والميول الخاصة لكل شخص من هؤلاء وعن هذه التوزيعات والمراتب يحدثنا الشاطبي فيقول :

(ولهم في الدعوة مراتب :

١ ــ الذوق : وهو تفرس حال المدعو هل هو قابل للدعوة أم لا ولذلك منعوا القاء البذر في السبخة والتكلم في بيت فيه سراج .

٢ ــ ثم التأنيس ، باستمالة كل أحد بما يميل اليه من زهد وخلاعة .

---

(٥٧) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١١٢ ــ ١١٣ .

٣ ـ ثم التشكيك في أركان الشريعة بمقطعات السور وقضاء صوم الحائض دون قضاء صلاتها والغسل من المني دون البول وعدد من الركعات ليتعلق بهم بمراجعتهم فيها .

٤ ـ ثم الربط : أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده ان لا يفشي لهم سرا وحوالته على الامام في حل ما أشكل عليه .

٥ ـ ثم التدليس : وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا حتى يزداد ميله .

٦ ـ ثم التأسيس : وهو تمهيد مقدمات يقبلها المدعو .

٧ ـ ثم الخلع : وهو الطمأنينة الى اسقاط الاعمال البدنية .

٨ ـ ثم اللسخ عن الاعتقادات : وحينئذ يأخذون في استعمال اللذات وتأويل الشرائع)[٥٨] .

أن عملية التقسيم هذه تقتضي ان يكون لكل مرتبة شروطها ومقوماتها الخاصة بها وان عملية انتقال الانسان من مرتبته التي هو عليها الى مرتبة أعلا يقتضي مروره بعملية اعداد خاصة يستوفي خلالها شروط مرحلته والالمام بكل ما تمليه هذه المرحلة ليكون أهلا للانتقال الى المرحلة التي تلي ، وعملية الاعداد هذه تتطلب مدارس خاصة واساتذة اختصاصيين ومراجع معينة من أجل أن تتم عملية المرور بهذه المراحل الدقيقة المنظمة .

ويشير ابن النديم الى هذه المراجع ودرجاتها ويسمى ذلك البلاغات ويعتبر لكل مرحلة بلاغ خاص بها فيقول (ولهم البلاغات السبعة :

.. وهي البلاغ الاول للعامة
كتاب البلاغ الثاني لفوق هؤلاء قليلا .
كتاب البلاغ الثالث لمن دخل المذهب سنة .
كتاب البلاغ الرابع لمن دخل المذهب سنتين .
كتاب البلاغ الخامس لمن دخل المذهب ثلاث سنين .
كتاب البلاغ السادس لمن دخل في المذهب اربع سنين .
كتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر .

---

(٥٨) الشاطبي : الاعتصام ج ٣/ ص ٦٦ ـ ٦٨ .

قال محمد بن اسحق[٥٩] قد قرأته فرأيت فيه أمرا عظيما من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع واصحابها)[٦٠] .

هذا نموذج من الكتب التي كانت تدرس في مدارس حركة الغلو وهي مقسمة الى درجات تتناسب كل درجة مع مستوى الاشخاص المدعوين لان يكونوا أعضاء عاملين في هذه الحركة .

ولم يقف الامر عند اختيار الاشخاص وتوزيعهم الى اصناف ووضع الكتب الخاصة لكل مرحلة انما وضعوا أساليب منظمة في كيفية تغيير عقائد الناس وتحويلهم عن عقائدهم الاولى الى الايمان بعقائد تتناقض والاسلام وعن وسائلهم وطرقهم هذه يحدثنا جمال الدين الافغاني قائلا (فلهذا ذهب اولئك المفسدون مذاهب التدليس في نشر آرائهم وبنوا تعليمهم على أمور :

١ ـ اثارة الشك في القلوب حتى يتفكك عقد الايمان .

٢ ـ الاقبال على الشاك وهو في حيرته ليمنوه بالنجاة من وحدانية اليقين الثابت فاذا انقاد لهم أخذوا منه مواثيقهم ثم أوصلوه الى مرشدهم الكامل .

٣ ـ اوعزوا الى دعاتهم ان يلبسوا لرؤساء الدين الاسلامي لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعي أن يكون بارعا في التشكيك ماهرا في التدليس مقتدرا على اشراب القلوب مطالبه)[٦١] .

٣ ـ اعداد الكوادر وقيام المدارس والمكتبات :

ان عملية اعداد الدعاة لكسب المؤيدين تحتاج الى مدارس خاصة بها والى كتاب يعين الدارسين ليكونوا على بينة واستعداد للقيام بواجباتهم على الشكل الاكمل ولما كانت حركة الغلو حركة تريد أن تقاوم دينا له دولة تقوم عليه فأن مثل هذه المقاومة تحتاج الى عناصر قيادية تستطيع ان تعمل في وسط هذه الظروف الصعبة فكان على هذه الحركة أن تقيم المدارس والمكتبات وتعد

---

(٥٩) محمد بن اسحاق هو ابن النديم صاحب كتاب الفهرست .
(٦٠) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٦١) جمال الدين الافغاني : الرد على الدهريين ص ٧٧ ـ ٧٨/الترجمة العربية .

الفلاسفة والعلماء والخبراء ليكونوا على استعداد لمد حركتهم بكل عناصر البقاء والمقاومة .

ومن أهم هذه الواجبات اعداد الكوادر القادرة على مواصلة العمل بكل الظروف ، والقدرة على كسب المؤيدين ، وعملية اعداد الكوادر هذه تستلزم اختيار عناصر خاصة وتقتضي مرور هذه العناصر بعمليات اعداد معينة وتدريب دقيق وتثقيف خاص لتكون هذه العناصر قادرة على تحمل مسؤولياتها بدقة . ومن الصفات التي على دعاتهم التمتع بها هي (المكر والحيلة والخديعة على بطلان الاسلام ... وان يكون عارفا عالما بجميع الشرائع والسنن وجميع المذاهب)[٦٢] .

ولكي يتمتع الداعي بهذه الصفات لا بد من اعداده اعدادا خاصا في مدارس معينة تستطيع أن تقدم له كل أساليب الحيلة وكل صنوف المعرفة التي أشرنا اليها . ومن أولى هذه المستلزمات :

قيام مدارس اعداد الدعاة ، وقد انتشرت هذه المدارس بشكل سري وبرزت على نطاق واسع عند قيام الدولة الفاطمية في مصر كما كانت الدعوة الاسماعيلية قبل ذلك قد هيأت جملة مدارس سرية لهذه الغاية .

ويحدثنا الدكتور حسن ابراهيم حسن عن هذه المدارس بقوله (ان مدارس الدعوة راجت في المهديةقاعدة الدولةالفاطمية الناشئة في عهد عبيدالله المهدي ، ثم راجت في المنصورية في عهد حفيده المنصور ، ثم في القاهرة في عهد المعز ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين ... وكانت الدولة الفاطمية تهتم في هذه المدارس بتخريج دعاة ينبثون في عامة البلاد الاسلامية ينشرون المذهب الاسماعيلي بين الناس ويكونون أداة اتصال بين رياسة الدعوة والدولة)[٦٣] .

والى جانب هذه المدارس التي كانت معنية بتخريج الدعاة وجدت حركة الغلو أن عليها أن تعد علماء ومفكرين اختصاصيين يستطيعون أن يمدوا هذه الحركة بمؤلفات يردون فيها ويفندون العقائد المناهضة لهم وبخاصة الدين الاسلامي .

---

(٦٢) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٥٨ .
(٦٣) المصدر السابق ، ص٥٨ .

ويحدثنا ابن النديم عن عدد من هؤلاء الاختصاصين الذين برزوا وامدوا الحركة الغالية بكثير من المؤلفات فيقول (وكان ممن واطأ عبدالله [٦٤] على أمره رجل يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بزيدان في ناحية الكرخ ... وكان الرجل متفلسفا حاذقا بعلم النجوم شعوبيا شديد الغيظ من دولة الاسلام وكان يدين باثبات النفس والعقل والزمان والمكان والهيولى)[٦٥] .

ومن هؤلاء المفكرين (عبدان ـ داعية حمدان قرمط وهو أكثر الجماعة كتبا وتصنيفا وكل من عمل كتابا نحله اياه ولعبدان فهرست يحتوي على ما صنفه من الكتب فمن ذلك كتاب الرحا والدولاب ، كتاب الحدود والاسناد ، كتاب اللامع ، كتاب الزاهر ، كتاب الميدان . ومن كتبه الكبار ، كتاب النيران، كتاب الملاحم ، كتاب المقصد ، فهذه الكتب بلغة وهي الموجودة والمتداولة)[٦٦] .

والى جانب هؤلاء الاختصاصيين اهتموا باعداد الدعاة وهم على بينة بجميع نواحي المعرفة وعلى قدرة للتحدث بأكثر من لغة ، وفي هذا يحدثنا محمد بن مالك اليماني فيقول (ورأوا ان من أولى الامور به أن يتعاطى في حفظ التوراة والاناجيل وكتب الانبياء طرفا ، وأن يكون بكثير من اللغات عارفا وأن يتحلى بطرف من الهندسة ومعان من تهاويل المتفلسفة وأن يسالم في ظاهره أهل الديانات المختلفة ويريهم في بعض أحواله أن اليهودية والنصرانية والمجوسية والاسلام كلها معان متقاربة ودعوة واحدة وان البلاء الذي دهم الجهال اختلافها اتكالهم على ظاهرها دون باطنها وجهلهم بمعانيها واوضاعها)[٦٧] .

ولم يغفل الغلاة ناحية هامة أخرى في حومة معركتهم مع الاسلام وهي تحريف الكتب الخاصة بالحركة الاسلامية سواء في الزيادة فيها أو النقصان منها أو وضع التفسير والتأويل المناقض لمعانيها وحول هذا النوع من النشاط

---

(٦٤) هو عبدالله بن ميمون القداح .
(٦٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ .
(٦٦) المصدر السابق : ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٦٧) محمد بن مالك اليماني : كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

التخريبي يقول ابو سعيد نشوان (وقد كثر التدليس في الكتب والزيادة في الاخبار ••• على قدر الاهواء والمذاهب والاراء)[٦٨] •

التعاون بين أساليب الدعوة السرية :ـ لم يقف الغلاة عند وسيلة دون أخرى انما استفادوا من جميع الوسائل في وقت واحد فالى جانب السرية والتنظيم الدقيقين استفادوا من الجاسوسية التي كانوا يستعملونها وسيلة من الوسائل البارزة في نشاطهم ولا سيما حركة الاسماعيلية التي ذهبت في الاستفادة من الجاسوسية الى أبعد الحدود ، وقد تجلى ذلك على نطاق شامل حينما قامت دولة الفاطميين نتيجة لحركة الاسماعيلية ، ويحدثنا الدكتور حسن ابراهيم حسن عن أثر الجاسوسية في نشاط هذه الحركة فيقول (ومن أهم ما يسترعي النظر حقا في هذه الرحلة نظام الجاسوسية الاسماعيلية الدقيق فقد كان المهدي يعرف في دقة تامة الخطر الذي يتعرض له عن طريق حمام الزاجل فيعرف اخبار العباسيين واخبار اتباعهم في سلمية يعرف هذا كله بفضل دعاته المقيمين ••• ان جماعة الاسماعيلية كانت في ذلك الحين منظمة تمام التنظيم حتى اصبحت مثلا أعلا للجاسوسية المنظمة في العصور الوسطى ولسنا نغلو اذا قلنا ان الجمعيات السرية اليوم وهيئات الجاسوسية في كافة انحاء العالم تلاميذ لتلك الجاسوسية الاسماعيلية)[٦٩] •

فكان التعاون بين الدعاة والجواسيس والتابعين كاملا وكل منهم يقوم بدور الآخر بشكل منظم بحيث يحل الواحد منهم مكان الآخر عند غيابه أو عند أي أمر يحدث له الى جانب التكامل فيما بينهم في تحمل هذه المسؤولية • ويشير الدكتور حسن ابراهيم الى جانب من هذا التعاون بين هؤلاء فيقول (وكان دعاة عبيدالله المهدي المنتشرون في كافة أنحاء المملكة الاسلامية أشبه بجواسيس ينقلون الى عبيد الله أسرار الدولة العباسية وأخبار ولاتها ويحذرونه الخطر الذي قد يحدث به أو بدعوته ودولته وقد اعتمد عبيدالله على دعاته المقيمين وعلى دعاته السيارة)[٧٠] •

---

(٦٨) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ٢٣٦ •
(٦٩) حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيد الله المهدي ص ١٢٧ـ١٢٨ •
(٧٠) المصدر السابق : ص ٣١٣ •

كل هذا جعل نشاط حركة الغلو واسعا وممتدا على طول الارض الاسلامية وعرضها الى جانب تركز هذه الحركة في المناطق المهمة دينيا وسياسيا فكان نشاط هذه الحركة بارزا في الحجاز والعراق والشام ومصر واليمن وخراسان كما أنها ظهرت في مناطق أخرى ويذكر ابن النديم طرفا من هذه المناطق التي امتدت اليها الحركة الغالية فيقول (انتشرت الدعوة في الارض وقدم الدعاة الى الري وطبرستان وخراسان واليمن والاحسا والقطيف وقدس ....)[71] .

اهداف الغلو :

ان رجعة الى الصفحات السابقة وبخاصة من الفصول الثاني والثالث والرابع ترينا أن الغلو كان حركة معادية للاسلام وللدولة العربية وللحضارة الجديدة التي قامت بظهور الاسلام .

وقد لمسنا أن أهداف هذه الحركة تسير جنبا الى جنب مع مبادىء الغلو ومع وسائل الغلاة وفي ثنايا نشاط الفرق الغالية فكان كل نشاط لهم وكل مبدأ من مبادىء الغلو وكل اسلوب من اساليب عملهم يحمل معه هدفا من هذه الاهداف وعليه فاننا نستطيع ان نقول بان هذه الاهداف الثلاثة لحركة الغلو يمكن وضعها على التسلسل الآتي :ـ

١ ـ هدم الاسلام وتشويه مبادئه .
٢ ـ اسقاط السلطة العربية .
٣ ـ تعطيل الحضارة العربية الاسلامية وتشويهها .

هذه هي أهداف هذه الحركة والتي تجلت بارزة في كل الصفحات السابقة وان القارىء يستطيع ان يقف على جملة هذه الاهداف بشكل بارز في ثنايا هذا الكتاب ، وان كان هناك شيء أو حاجة لان نضيف توضيحا وتأكيدا لهذه الاهداف فيمكن ان نضيف الملاحظات الاتية باختصار :

---

(٧١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

اولا : هدم الاسلام :

في حديث ابن النديم عن بلاغات الباطنية يقول عن البلاغ السابع (... وفيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر ، .... قد قرأته فرأيت فيه أمرا عظيما من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها)[٧٢] .

وعملت فرقة اليزيدية على أسقاط مبدأ النبوة والغاء دور الدين الاسلامي حين أدعت وعملت في ضوء المقولة الاتية (ان الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام)[٧٣] .

ومما يؤكد أن غرض حركة الغلو الرئيسي هو هدم الاسلام ما جاء على لسان ابي ميمون القداح الذي قال (... اني اضيق بدين محمد وليس عندي جيش أحارب أهله به وليس لدي مال ولكني في الحيلة طويل الباع بحيث اذا لقيت عونا من أحد قلبت دين محمد رأسا على عقب)[٧٤] .

وفي جملة مساعي حركة الغلو كان هدم الاسلام الهدف الاول في نشاطها وفي ذلك يوضح ابو المعالي الحسيني قائلا (غرضهم في ذلك ابطال الشريعة .. وقد وضعوا لكل حكم من أحكام الشريعة تأويلا وباطنا ولو انعمت النظر اليهم رأيت أنهم جميعا حاولوا ابطال الشريعة)[٧٥] .

ويؤكد ابن الجوزي هذا الغرض ذاته فيقول فيهم (واعمالهم تباين الاسلام فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا الامر أول أمرهم)[٧٦] .

ويوضح ابن الجوزي الطرق التي سلكها الغلاة للوصول الى هدفهم الرئيس في هدم الاسلام فيقول (ان القوم أرادوا الانسلال في الدين ... تدبير

---

(٧٢) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ .
(٧٣) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٤٩ .
(٧٤) أبو المعالي الحسيني : بيان الاديان ص ٤١ ـ ٤٢ .
(٧٥) المصدر السابق : ص ٤٢ ـ ٤٣ .
(٧٦) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٠٨ .

يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه في أنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث)[٧٧] .

ولما كان القرآن الكريم هو دستور الاسلام ومعجزته فقد عملت حركة الغلو للطعن به بشكل مباشر وغير مباشر فقد هاجم ابن الراوندي اعجاز القرآن فأدعى (ان فصاحة اكثم بن صيفي تفوق فصاحة القرآن) [٧٨] .

ولم يقف ابن الراوندي عند هذا الحد بل زاد على ذلك فقال (أن القرآن كلام غير حكيم وان فيه تناقضا وخطأ وكلاما يستحيل)[٧٩] ، ويشكك ابن الراوندي في الرسالة وفي أهميتها فيقول (ان الذي يأتي به الرسول لم يخل من أحد أمرين ، اما أن يكون معقولا وأما أن لا يكون معقولا ، فأن كان معقولا فقد كفانا العقل التام بادراكه والوصول اليه فأي حاجة لنا الى الرسول ؟ وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الانسانية ودخول في حد البهيمية)[٨٠] وذهب محمد بن زكريا الرازي الى ما ذهب اليه ابن الراوندي في نكران الدين واسقاط النبوة فقال (اننا به ــ يقصد العقل ــ وصلنا الى معرفة الباري عز وجل وهذا يقطع بأن النبوة أصبحت لا مبرر لها ما دمنا نعرف بالعقل كل شيء ... لأن النبوة لا تقوم بأكثر من هذا) [٨١] . وامعانا في هدم الدين لم يقف محمد بن زكريا الرازي هذا عند ذلك الكفر بل ذهب يشكك في الاديان كلها من أجل اسقاطها (فزعم عيسى انه ابن الله وزعم موسى انه لا ابن له وزعم محمد انه مخلوق كسائر المخلوقات ... ومحمد زعم المسيح لم يقتل واليهود والنصارى تزعم انه قتل وصلب)[٨٢] .

ولما كانت أحاديث الرسول وسنته تعتبر المصدر الثاني للشريعة الاسلامية فأن هؤلاء الغلاة عمدوا الى تخريب هذا الجانب من الشريعة عن طريق وضع الاحاديث الكاذبة عن الرسول وفي عملهم هذا يقول ابن الاثير (فلما يئس اعداء

(٧٧) المصدر السابق : ص ١١٢ .
(٧٨) عبدالرحمن بدوي : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ١٢١ .
(٧٩) الخياط : الانتصار ص ١٢ .
(٨٠) عبدالرحمن بدوي : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ١٤١ .
(٨١) المصدر السابق : ص ٢٠٣ .
(٨٢) المصدر السابق : ص ٢٠٧ .

الاسلام من استئصاله بالقوة اخذوا في وضع الاحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم •••• وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه فكان أول من فعل ذلك أبو خطاب محمد ابن أبي زينب مولى بني أسد ، وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة)[٨٣] ، ومن الذين وضعوا الاحاديث المكذوبة عبدالكريم بن أبي العوجاء الذي أعلن قبل قتله (لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة الاف حديث مكذوبة مصنوعة)[٨٤] •

ومن كل هذا يتبين أن الغلاة كانوا يريدون هدم الدين الاسلامي بكل مقوماته ويوضح جمال‌الدين الافغاني ذلك بقوله (ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع أساس الاباحة ••• وكيفما وجدوا في أمة أفسدوا أخلاقها)[٨٥] •

والسؤال هل استطاع الغلاة تحقيق غرضهم هذا ؟ الذي نستطيع ان نقوله أن هذه الحركة لم تستطع هدم الاسلام اذ بقي الاسلام ولا زال وسوف يبقى الا أنها استطاعت أن تنشر آراء غريبة علقت بالاسلام وكادت أن تخنقه أكثر من مرة الا ان ما في الاسلام من قوة في عقيدته ومبادئه استطاعت أن تحول دون عمليات الهدم والاختناق •

ثانيا ــ اسقاط السلطة :

أن اسقاط السلطة كان هدفا أساسيا في حركة الغلو ، ذلك لأن هذه الحركة قد أدركت بأن مهمتها في هدم الاسلام تتطلب امورا أهمها اسقاط السلطة التي قامت على أساسه والتي عملت على نشره وتعمل على حمايته ، فكان تحرك الغلاة يهدف الى غرضين أساسيين هما : هدم الاسلام واسقاط السلطة ونظرا للعلاقة العضوية بين الاسلام وسلطته كان الهجوم على أي منهما يؤدي الى الهجوم على المبدأ الآخر وعليه يمكن اعتبار كل عمليات الهدم التي توجهت الى الدين الاسلامي في الصفحات السابقة هجوما على سلطته •

أما المحاولات المباشرة لاسقاط السلطة فكانت اسلوبا آخر من أساليب

---

(٨٣) ابن الاثير : الكامل ج ٨/ص ٢١ طبعة ليدن عام ١٨٦٢م •
(٨٤) المرتضى : امالي المرتضى ج ١/ص ١٢٨ •
(٨٥) الافغاني : الرد على الدهريين ص ٤ ــ ٥ •

نشاط حركة الغلو توجهت الى الكيان السياسي من أجل هدمه وكانت هـذه الحركة نتيجة لموقف الغلو الفكري والعقائدي وقد تجلى ذلك في مجموع حركات التمرد التي قام بها الغلاة من الخوارج والغلاة من الذين عملوا في نطاق الشيعة والذين تحركوا باسم الاسماعيلية والقرامطة والراوندية وغيرهم مما مرّ علينا في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

وسوف تتناول بايجاز بعضا من المحاولات المباشرة التي توجهت لاسقاط السلطة العربية الاسلامية .

يحدثنا ابن النديم عن نشاط الحركة الباطنية وجملة من رجالها لاسقاط الدولة فيقول في محمد بن الحسين الملقب بزيدان ما يلي (كان شديد الغيظ من دولة الاسلام ... وانه كان يزعم انه وجد في الحكم النجومي انتقال دولة الاسلام الى دولة الفرس ودينهم الذي هو المجوسية في القران[٨٦] الثامن لانتقال المثلثة من برج العقرب الدال على الملة الى برج القوس الدال على ديانة الفرس)[٨٧] .

وكان الحلاج في غلوه وفي تصرفه ونشاطه يهدف الى اسقاط الدولة وفيه يقول ابن النديم (وكان « الحلاج » ... جسورا على السلاطين مرتكبا العظائم يروم انقلاب الدول)[٨٨] .

وفرقة الميمونية من الخوارج الغالية كانت تهدف الى اسقاط الدولة وفيها يقول ابو سعيد نشوان (والميمونية لا يرون الا قتال السلطان خاصة واعوانه ومن رضى بحكمه ومن طعن في دينهم)[٨٩] .

وتمرد الراوندية على المنصور وتمرد المقنع وسنباذ وبابك الخرمي والمازيار والافشين كلها كانت حركات معادية تهدف الى اسقاط الدولة العربية[٩٠] .

---

(٨٦) القران من أصول أحكام النجوم ، وكان المنجمون يعتقدون ان جميع الحوادث العظيمة تدل عليها قرانات الكواكب السيارة .

(٨٧) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ .

(٨٨) المصدر السابق : ص ٢٦٩ .

(٨٩) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ٧١ .

(٩٠) أنظر الطبري : التاريخ ج ٩/ص ١٦٩ ـ ١٧٦ وج٩ / ص ٢٧٦ الطبعة الحسينية .

وكانت ثورة الزنج التي قام بها علي[٩١] بن محمد الذي يسمى العلوي حينا والذي يعتبره البعض من الخوارج تمثل تحركا يهدف الى اسقاط السلطة ويؤكد ابن الجوزي ان غرض الغلاة اسقاط الدولة فيقول فيهم (... وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم ... وهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم)[٩٢] .

ولم يقف الغلاة عند المحاولات العملية لاسقاط الدولة انما اعتمدوا التكهنات من أجل اعطاء الثقة لانصارهم ليواصلوا العمل في هذا الطريق ومن تكهناتهم في هذا المجال ما يذكره البيروني عنهم فيقول (وكتبوا كتابا في الادوار والقرانات ذكر فيه ان القران الثامن عشر من مولد محمد « عليه السلام » يوافق الالف العاشر وهو المشتري ... فحكم على انه يخرج انسان يعيد دولة المجوسية ويستولي على الارض كلها ويزيل ملك العرب وغيرهم ويجمع الخلق على دين واحد وأمر واحد ويزيل الشر ويملك مدة سع قرانات ونصف)[٩٣] .

ثالثا ــ تعطيل الحضارة العربية وتشويهها :

الحضارة نتاج التفاعل بين الانسان وبيئته ، والحضارة العربية ما انتجه الانسان العربي في تفاعله مع بيئته ، والحضارة العربية الاسلامية هي ما انتجه الانسان عربيا وغير عربي بعد اسلامه من صور حضارية تمثلت في الدولة العربية والقوانين التي تحكمها والانظمة الاقتصادية التي عالجت حياة الناس المعاشية ، والحركة العلمية في جميع مناحيها الى جانب الحركة الادبية بكل جوانبها أضافة الى النتائج المادية المختلفة .

لقد استطاع الانسان العربي الجديد أن يبدع حضارة ازدهرت وقد استفاد من القوى الكامنة في ذاته مع المقومات المتمثلة في محيطه كما استفاد من جميع بقايا الحضارة العربية التي وصلت اليه سواء من اليمن أو مصر أو بلاد الشام أو بلاد العراق الى جانب ما كان يقدمه الاسلام كنظرية متكاملة

---

(٩١) أنظر الحور العين ص ٢٠٢ .
(٩٢) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١١٢ ــ ١١٣ .
(٩٣) البيروني : الاثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢١٣ ــ ٢١٤ .

تجيبه عن جميع تساؤلاته ، هذا الى جانب ما استفاد منه بحكم اتصاله مع الشعوب الاخرى وما كان لهذه الشعوب من حضارات وبخاصة الحضارة الفارسية والحضارة البيزنطية .

ان مقومات الحضارة العربية الاسلامية هي الانسان والاسلام مضافا اليه البيئة التي تفاعل معها وان أهم ركني هذه الحضارة هما الانسان العربي والاسلام ولهذا فأن تعطيل الحضارة الذي عمل له الغلاة توجه الى هذين الركنين وعمل بهما هدما وتخريبا ، وعليه فان ما مر بنا في الصفحات السابقة من معلومات تكون في مجموعها أمثلة بارزة على عمليات التخريب هذه التي هدفت الى تعطيل الحضارة العربية وتشويهها . ان الامثلة التي أتينا على ذكرها والتي وضحت أهداف الغلو في هدم الاسلام أنما كانت تستهدف هدم الحضارة الجديدة وان الامثلة التي وضحناها في دفع الانسان المسلم عن حدوده سواء أن كان نبيا أم اماما أم انسانا عاديا أنما أريد بها اسقاط هذا الانسان عن دوره الحقيقي الذي هو الركن الاساس في عملية الحضارة .

وسوف نعرض بايجاز مواقف الغلو ومحاولاته المباشرة في عملية التعطيل في الحضارة العربية .

لقد أدرك الغلاة أهمية الانسان وأهمية الاسلام في الحضارة فعمدوا الى هدمهما في وقت واحد وفي هذا يقول الجاحظ ان احدهم اذا (... أبغض شيئا أبغض أهله وان أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلاتزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام اذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف)[٩٤] .

وكانت عمليات الهدم هذه تحاول أن توزع نشاطها الى مجالين أو أكثر امعانا في التستر وفي سبيل توزيع مهمات الهدم الى أكثر من جهة كل واحدة تتولى جانبا من جوانب الحضارة لتكون متخصصة في محاربتها اياه ، ولهذا نجد ان فريقا من الغلاة توجه الى الانسان والى المجتمع وركز عليهما هدما وتخريبا فحينما تؤكد أكثر من فرقة غالية الغاء المعاد وما فيه من ثواب وعقاب تردد (ان الجنة رجل والنار رجل ... وتستحل النساء والمحارم ... وان

---

(٩٤) الجاحظ : كتاب الحيوان ج ٧/ص ٦٨ .

الميتة والدم ولحم الخنزير والميسر وغير ذلك من المحارم حلال)[٩٥] فان في هذا دفعا للانسان لان يتحلل من الفرائض ويندفع وراء شهواته ورغباته دون تمييز بين حلال وحرام ومما لاشك فيه ان الحرام والحلال انما وضعا من اجل حماية الانسان وصيانته ليكون سليما قادرا على الحركة وعلى الابداع أما ان يعيش الانسان دون حدود وفواصل بين الحلال والحرام وبين الفرائض والمحرمات فان في ذلك فوضى تسبب خراب المجتمع وتعطيل قدرات الانسان المبدعة •

وحينما تبيح بعض الفرق الغالية شهادة الزور ضد خصومها[٩٦] وحينما تستحل فرق اخرى الخمر والزنا وسائر المحرمات[٩٧] فان في هذا تخريبا للفرد وللامة ، واذا كانت بعض الفرق الغالية تجيز نكاح بنات بنات البنين وبنات بنات الاخوة وبنات بنات الاخوات[٩٨] فان في هذه اباحية تهدم العائلة وفي تهديمها تهديم للمجتمع •

لقد كانت عملية هدم الحضارة عملية مرسومة ومبرمجة تسير وفق خطه موضوعة بدقة واحكام وان أبرز جوانب هذه الخطة أنها اتجهت الى رغبات الانسان واهوائه وشهواته وعملت على دفعها وتبرير انغماسها في اللذات تحت أكثر من وسيلة ولما كانت هذه محرمة وأن مرتكبها يعاقب في الآخرة فيكون مصيره العذاب في النار فأن هؤلاء الغلاة عمدوا بكل مالديهم من حيلة وأساليب الى الغاء فكرة المعاد من أجل اعطاء الثقة للانسان ليكون منصرفا عن الفرائض مرتكبا للمحرمات دون خشية من عقاب • ويحدثنا ابن النديم عن واحد من كتب الحركة الباطنية الذي اطلع عليه بنفسه فيقول (قد قرأته فرأيت فيه أمرا عظيما من اباحة المحظورات)[٩٩] ويضيف التهانوي الى مرحلة السلخ في مراتب الغلو فيقول فيها هي مرتبة تنسلخ فيها (الاعتقادات الدينية وحينئذ يأخذون في الاباحة والحث على استعمال اللذات)[١٠٠] •

---

(٩٥) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٧٤ ـ ٧٥ •
(٩٦) المصدر السابق ص ٧٦ •
(٩٧) المصدر السابق ص ٧٧ •
(٩٨) نشوان الحميري : الحور العين ص ١٧١ •
(٩٩) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ •
(١٠٠) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ج١/ص ٦٦٩ـ٦٧٠ •

ومن وسائلهم المرسومة لهدم المجتمع أن بعضا من فرقهم (اذا رأوا شيئا يستحسنونه قالوا لاندري لعل الله حال فيه ومالوا الى اطراح الشرائع وزعموا ان الانسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة اذا وصل الى معبوده)[١٠١] .

في عمليات الدفع هذه للانسان الى ارتكاب الآثام وعدم الالتزام بالفرائض والى تحريضه على اقتراف الموبقات فان في ذلك اسقاطا للانسان وهدما للمجتمع فان الفرد المتحلل من روابط المجتمع ومن مقوماته واخلاقه غير قادر ان يتحمل مسؤولية التفاعل الحضاري اذ أن عملية التفاعل تقتضي الشعور بالمسؤولية والالتزام بالمجتمع وباخلاقه والارتباط به ارتباطا عضويا والتمسك بمثله والانتماء الواعي له والعمل وفقا للمصالح المشتركة بينه وبين مجتمعه .

ومن وسائل الغلاة الخطيرة التي استعملوها في تعطيل الحضارة عملهم لتجميد ارادة الانسان وقد استغلوا فكرة الجبرية في عملية التجميد هذه وتوجهوا في البدء الى رفع مسؤولية الانسان عن اخطائه وجرائمه فقالوا (ان الجنة والنار يفنيان ... وانه لا فعل لأحد على الحقيقة الا لله تعالى)[١٠٢] ، وأكدوا ان أعمال الانسان الباطلة وبخاصة المتعلقة بغرائزه وشهواته لا ارادة له بها فقالوا (ان الله تعالى خلق في الانسان قوة بها كان الفعل وخلق فيه ارادة الفعل واختياره كما خلق فيه سرورا بذلك وشهوة)[١٠٣] .

هذه الجبرية المطلقة التي وضعها الغلاة أمام الانسان أرادوا بها دفعه للانغماس في ملذاته وشهواته والانسان اذا ما انغمس في هذا اصبح غير قادر على القيام بواجباته الحياتية وبذلك الغاء لدوره الايجابي ومساهمته الفاعلة في ديمومة الحضارة .

ولم يقف الأمر عند هؤلاء من غلاة الجبرية في حدود هذا الامر انما

---

(١٠١) الاشعري : مقالات الاسلاميين ص ٨٠ ـ ٨١ .
(١٠٢) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ٢٥٦ .
(١٠٣) المصدر السابق : ص ٢٥٦ .

ذهبوا الى تجميد ارادة الانسان كلها وتصويره بأنه كالشجرة تتحرك بدون ارادتها وانه كالنائم ينتقل في احلامه من مكان لآخر بدون وعيه وارادته وعن هذه الصور يحدثنا أبو سعيد نشوان (... وان الخلق فيما ينسب اليهم من الافعال كالشجرة تحركها الريح)[١٠٤] .

ومع محاولات تجميد ارادة الانسان دفع له الى ارتكاب المحرمات ويحدثنا الطبري عن جانب من موبقاتهم هذه فيقول (واستحلوا الحرمات فكان كل رجل منهم يدعو الجماعة منهم الى منزله ليطعمهم ويسقيهم ويبيح لهم المخرمات)[١٠٥] .

هذه المحاولات كانت عمليات هدم مباشرة الى أدوات الحضارة العربية وهي الانسان والاسلام وبقدر نجاحهم في محاولتهم هذه يكونون قد حققوا خطوة في عملية تعطيل الحضارة وتجميدها .

موقف الانسان العربي المسلم من حركة الغلو :

لقد ولّدت حركة الغلو رد فعل عميق لدى الانسان العربي المسلم وكان رد الفعل هذا يتناسب تناسبا طرديا لدى المسلمين بقدر ادراكهم لقوة وخطورة الحركة الغالية فكان رد الفعل لدى المفكرين والمثقفين والعلماء قويا يتناسب وخطورة التحدى الغالي ، وكان للفقهاء الدور البارز في عملية التصدي لهذه الحركة والوقوف في وجهها وتعطيل أثرها السلبي في الحركة الاسلامية ويبرز في هذا المجال الامام ابو عبدالله جعفر بن محمد الصادق « عليه السلام » الذي كانت له مواقف علمية رائعة وجريئة في الرد على هؤلاء ، فحينما وقف على غلو أبي الخطاب تبرأ منه[١٠٦] ، وعندما أظهر المغيرة بن سعيد بدعته وجد نفسه في حاجة الى شخصية من آل البيت يحمي بها نفسه فجاء الى محمد الباقر (ع) فقال (اقرر انك تعلم الغيب اجبي لك العراق فنهره وطرده)[١٠٧]

---

(١٠٤) المصدر السابق : ص ٢٥٦ .
(١٠٥) الطبري : التاريخ ج ٣/ص ٤١٨ .
(١٠٦) الشهرستاني الملل والنحل ج٣/ص ١٥ ـ ١٦ .
(١٠٧) الكشي : معرفة اخبار الرجال ج٣/ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

ولم ييأس المغيرة فجاء الى الامام جعفر الصادق فقال له مثل ذلك فأجابه الصادق : اعوذ بالله وطرده [١٠٨] ولما انتشرت مقالة الغلاة في البداء رد عليهم الامام الصادق ردا قويا فقال (ان الله لم يبد له من جهل)[١٠٩] واضاف محذرا من خطر هذه الفكرة فقال (ان من زعم ان الله بدا له في شيء لم يعلمه أمس فابرأ منه[١١٠] . وأضاف الصادق (ع) مهددا ومنذرا القائلين بهذه الفكرة (من زعم ان الله تعالى بدا له عن شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر)[١١١] وقد أدرك الامام الصادق ان الغلاة يعتمدون في القول بالبداء على تأويل الآية الكريمة « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ــ فرد عليهم قائلا (وهل يمحو الا ما كان مثبتا وهل يثبت الا ما لم يكن)[١١٢] ، ويتضح من تفسير الصادق لهذه الآية ان الله ــ سبحانه وتعالى ــ يعلم مسبقا ما يريد اثباته وما يريد محوه وان هذا يكون على أساس النسخ الذي يقتضيه التدرج في التشريع لوضع الاحكام المناسبة وهناك فرق كبير بين النسخ على ما جاء في القرآن وبين البداء الذي قالت به الفرق الغالية (فليس القول بالنسخ في الامر والنهي من القول بالبداء في الاخبار من شيء)[١١٣] .

وكان الامام الصادق (ع) على جانب كبير من العلم والمعرفة وقوة الحجة فكان مشاهير الزنادقة يخشون اللقاء معه ، فقد حذر ابن المقفع عبدالكريم بن ابى العوجاء من لقاء الصادق بقوله (لا تفعل فاني اخاف ان يفسد عليك ما في يدك)[١١٤] وعلى الرغم من مشاغل الصادق الكثيرة في التثقيف والمناقشة والرد على خصوم الاسلام فقد املى كتابه « توحيد المفضل » الذي رد فيه على المانوية وناقش آراءها وفند حججها باسلوب متين وحجة دامغة ، ومن حججه في هذا الصدد قوله في الرد على المانوية (أفلا ترى كيف جعل في الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل في كل منهما ضربا من المصلحة ، فما

---

(١٠٨) المصدر السابق : ج٣/ص ١٤٦ ــ ١٤٧ .
(١٠٩) الكليني : أصول الكافي ج٣/ص ٢١٠١ .
(١١٠) المصدر السابق : ج٣/ص٢١١ ــ ٢١٢ .
(١١١) المصدر السابق : ج ٣ ص ٢١١ ــ ٢١٢ .
(١١٢) المصدر السابق : ج٣ ص٢١٤ .
(١١٣) الخياط : الانتصار ص ٩٣ .
(١١٤) الكليني : أصول الكافي ج ١ ق ١ ص ١٠ ــ ١١ .

عسى ان يقول الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين في هذه الاشـياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجمع على ما فيه الصلاح والمنفعة) (١١٥) .

وقد وقف الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت (ع) موقفا قويا من خصوم الاسلام ومنهم الغلاة وألف رسائل عدة وأملى كتابه الفقه الاكبر ورد من خلال ذلك على الجهمية والدهرية (١١٦) .

وألف الامام مالك بن أنس كتاب الموطأ الذي وطد فيه احكام العبادات والمعاملات وتعرض للخلافات الخارجة عن ذلك ووضح من خلال بحوثه هـذه مبادىء الاسلام وفند آراء معارضيه ورد عليهم باسلوب جيد (١١٧) .

وكذلك بذل الامام الشافعي جهودا كبيرة في توضيح مختلف القضايا المتعلقة بالعقيدة الاسلامية وألف في ذلك عدة كتب اشهرها « كتاب الام » الذي بين فيه ما يتعلق بالاسلام ورد على مناقضيه ، وكان الشافعي بحق « مؤسس علم اصول الفقه » فهو الذي رسم المناهج والاسس لاستخراج الاحكام (١١٨) .

وقد جمع الامام احمد بن حنبل في مسنده احاديث كثيرة للرسول (ص) وعالج من خلال دراسته للحديث مسائل اسلامية مهمة ورد على الغلاة والزنادقة، كما ألف كتابه المشهور « الرد على الزنادقة والجهمية فيما شـكت فيه من القرآن » الذي فند فيه اقوال الزنادقة والغلاة وثبت مبادىء الاسلام .

والى جانب هؤلاء الفقهاء هناك عدد كبير من الفقهاء عاشوا قبيل هؤلاء وفي زمانهم وبعدهم وكانت لهم جهود كبيرة في الرد على خصـوم الاسـلام وتوضيح اسس الشريعة الاسلامية (١١٩) .

وبذل اهل الحديث جهودا كبيرة ومتصلة في سبيل جمع الاحـاديث واثبات صحتها ، ولا سيما تلك الاحاديث التي وضعت لمناهضة الاسلام بتحليل

---

(١١٥) الصادق : توحيد المفضل ص ٢٥ .
(١١٦) أنظر بروكلمان : تاريخ الادب العربي ج ٣ ص ٢٧٣ (الترجمة العربية)
(١١٧) المصدر السابق ، ج٣ ص ٢٧٥ .
(١١٨) المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٩٣ .
(١١٩) أنظر اسماء الفقهاء في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٨٢ ، ٣٠٨ ، ٣٦٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ طبعة بيروت .

الحرام وتحريم الحلال والتي وضعها الغلاة والزنادقة في سبيل دعم آرائهم وتخريب وهدم الشريعة الاسلامية .

ومن ابرز هؤلاء المحدثين الامام مالك الذي جمع في كتابه الموطأ جانبا من احاديث الرسول (ص) ، وكذلك جمع عبدالملك بن جريج جانبا آخر والاوزاعي وسفيان الثوري وحماد بن سلمة بن دينار جمعوا احاديث اخرى (١٢٠) وتلاهم فريق آخر من المحدثين اشهرهم احمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي والدارقطني (١٢١) ، الذين جمعوا الاحاديث بعد دراسة دقيقة لمتونها ورواتها حتى اصبحت هناك امكانية لمعرفة الاحاديث الصحيحة من الاحاديث الموضوعة ، فتمكن هؤلاء المحدثون من (تمييز الموضوع منها من الصحيح وصنفوا الاحاديث الى صحيح وحسن ومقبول وضعيف وموضوع ، وصنفوها الى درجات من حيث سلاسل الرواية) (١٢٢) ، وقد أدت هذه الدراسة المحكمة للحديث الى (ظهور علم خاص في نقد الرواة وتمحيصهم يعتبر من اروع منتجات الفكر الاسلامي وقد ادى الى تحديد عدد الاحاديث الموثوق بصحة نسبتها للرسول) (١٢٣) وقد اثمرت هذه الجهود فنجد الخليفة هارون الرشيد يرد على احد الزنادقة حين تحداه بقوله (فاين انت عن الف حديث وضعتها عن رسول الله (ص) ما فيها حرف نطق به رسول الله «ص» فكان جواب الرشيد لهذا الزنديق : فاين انت ياعدو الله من ابي اسحق الفزاري وعبدالله بن المبارك ينخلانها نخلا فيخرجانها حرفا حرفا) (١٢٤) .

وقد ألف كثير من الكتاب مؤلفات في الرد على الغلاة والزنادقة نخص منهم بالذكر في هذه الفترة جابر بن حيان المتوفى سنة ١٦١هـ الذي الف كتاب « الخواص الكبير » رد فيه على المانوية وفند اقوالها في الكمون فقال (فاما

---

(١٢٠) أحمد أمين : فجر الاسلام ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ .

(١٢١) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧٥ ـ ٧٧ « مراجعة حسين مؤنس » .

(١٢٢) الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص ١١ الطبعة الاولى .

(١٢٣) صالح أحمد العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ١٤ الطبعة الاولى .

(١٢٤) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ١ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ « مطبوعات دار المأمون » .

الذي يقول فيه أهل الابداع منهم القائلون بالتوحيد والمبطلون قول المنانية وغيرهم ممن قال بقولهم في كمون بعض الاشياء في بعض) [125] .

والف الحسن النوبختي المتوفي سنة ٢٠٢هـ كتاب « فرق الشيعة » ثبت فيه اسماء الفرق الغالية وذكر آراءها المناهضة للاسلام ونبه على خطورتها .

وكذلك ألف القاسم بن ابراهيم المتوفى سنة ٢٤٦ هـ (كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع) رد فيه على المانوية وقولها في الاثنين وفند اقوال ابن المقفع الذي خلف مانى في دعوته ، ومما جاء في رده على المانوية (فزعم ان الاشياء كلها شيئان وقد يوجد خلاف زعمه بالعيان فلا توجد بين ما ذكر من النور والظلمة فرقة الا وجدت الاشياء كلها بمثله لها مفارقة الا ان الفرقة بين الاشياء أوجد وفي الاشياء للنور والظلمة أوكد مكابرة لعقول اطفال الانام) [126] .

وقد ألف الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ كتبا عدة رد فيها على الزندقة ومما جاء في كتاب الحيوان في الرد على كتب الزنادقة قوله (ليس في كتبهم مثل سائر ولا خبر طريف ولا صنعة ادب ولا كلمة غريبة ولا فلسفة ولا مسألة كلامية ... وجل ما فيها ذكر النور والظلمة وتناكح الشياطين) [127] ، كما جاء في هذا الكتاب ردا على المانوية (فيقال للمناني ما تقول في رجل قال لرجل يافلان هل رأيت فلانا فقال المسؤول نعم قد رأيته ، أليس السامع قد ادى الى الناظر والناظر قد ادى الى الذائق والا فلم قال اللسان نعم وقد سمع الصوت صاحب اللسان) [128] . وقد رد الجاحظ في كتابه (حجج النبوة) على عدد من مشاهير الزنادقة من امثال ابن ابي العوجاء واسحق بن طالوت والنعمان بن المنذر واشباههم ذكرهم ليكشف خطرهم للناس فقال فيهم (كانوا يصنعون الاثار ويولدون الاخبار ويبثونها في الامصار ويطعنون في القرآن ويسألون عن

---

(١٢٥) جابر بن حيان : الخواص الكبير ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ . ضمن مختار رسائل جابر بن حيان تحقيق بول كراوس القاهرة ١٣٥٤ هـ .
(١٢٦) القاسم بن ابراهيم : كتاب الرد على الزنديق اللعين أبن المقفع ص ٤ .
(١٢٧) الجاحظ : كتاب الحيوان ج ١ ص ٥٧ ـ ٥٨ تحقيق عبدالسلام هارون.
(١٢٨) المصدر السابق : ج ٤ ص ٤٤٢ .

متشابهه وعن خاصه وعامه ويضعون الكتب على اهله) [١٢٩] • كما تناول الجاحظ الزنادقة في كتابه (التربيع والتدوير) فقال (لم كان لجميع اهل الاديان مملكة وملوك الا الزنادقة ، ولم قتلهم جميع الامم السالفة ولم قضيت بهذا) [١٣٠] والجاحظ بتساؤله هذا كفر الزنادقة واستثار اصحاب السلطان والشعب لمقاومتهم والقضاء عليهم • ورد الجاحظ في كتابه هذا على الدهرية فقال (وكيف لم نر أمة قط دهرية ، وقد علمنا انه لا يجوز ان يتنبأ دهري ، وكيف لم يتدهر ملك،وكيف لم نجد قول الدهرية الا في الخاص والشاذ)[١٣١] •

وقد ألف ابو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة ٢٨٠هـ كتابه (الرد على الجهمية) ثبت فيه مبادىء الاسلام وبخاصة مبدأ التوحيد ومبدأ المعاد ، وكفر الجهمية وعلل تكفيرهم بقوله (ونكفرهم ايضابكفر مشهور وهو تكذيبهم لنص الكتاب ، اخبر الله تبارك وتعالى انه كلم موسى تكليما وقال هؤلاء لم يكلمه الله بنفسه ولم يسمع موسى نفس كلام الله انما سمع كلاما خرج اليه من مخلوق •• وقال الله تبارك وتعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ، وقال هؤلاء ما قال الله لشيء قط قولا وكلاما كن فكان ولا يقوله ابدا ولم يخرج منه كلام ولا هو يقدر على الكلام) [١٣٢] •

وقد ألف عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المتوفى بعد سنة ٣٠٠هـ كتابه (الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد) رد فيه على الغلو والزندقة فقال في الرد على المانوية (وزعمت ان النور والظلمة مختلفان متضادان في انفسهما واعمالهما وان جهات حركاتهما مختلفة ••• فاذا كان على ما وصفتم فكيف امتزجا وتداخلا واجتمعا من تلقاء انفسهما وليس فوقهما قاهر قهرهما) [١٣٣] ورد الخياط على الغلاة وقولهم البداء فقال (انه ليس في الآية

---

(١٢٩) الجاحظ : حجج النبوة ص ١٤٥ ضمن « رسائل الجاحظ » جمع السندوبي القاهرة ١٩٣٣م •
(١٣٠) الجاحظ : التربيع والتدوير ص ٧٧ تحقيق شارل بلات دمشق ١٩٥٥م•
(١٣١) المصدر السابق : ص ٧٦ ـ ٧٧ •
(١٣٢) الدارمي : كتاب الرد على الجهمية ص ٩٤ ـ ٩٥ •
(١٣٣) الخياط : الانتصار ص ٣١ •

« يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » ما يوجب البداء وقد تأولها أهل العلم من المسلمين على خلاف ما تأولتها الرافضة) (١٣٤) •

ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري وطوال القرنين الرابع والخامس ألف عدد من الكتاب كتبا عديدة ردوا فيها على الغلاة والزنادقة ، فقد ألف الاشعري القمي المتوفي سنة ٣٠١هـ كتابه « المقالات والفرق » • وألف ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ كتابه « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين » ووضع ابو الحسن محمد بن احمد الملطى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ كتاب « التنبه والرد على اهل الاهواء والبدع » وألف ابو عبدالملك محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ كتابه « مفاتيح العلوم » • وألف ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ كتابه « الفرق بين الفرق » • وألف ابو القاسم علي بن طاهر بن احمد بن حسين بن موسى المعروف بالمرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ كتابه امالي المرتضى • وألف ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم ٣٨٤ هـ ــ ٤٥٦ هـ كتابه الفصل في الملل والاهواء والنحل وألف ابو المظفر الاسفراييني المتوفى سنة ٤٧١ هـ كتاب « التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية » • كما ألف ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ٤٥٠ــ٥٠٥هـ كتابه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » • وألف ابو الفتح محمد بن ابي القاسم عبدالكريم بن بكر الشهرستاني ٤٦٧ــ٥٤٨هـ كتابه « الملل والنحل »• وكانت جميع هذه الكتب قد تناولت آراء الغلو والزندقة وردت عليها بحجة قوية وعرضت مبادىء الاسلام على حقيقتها بصورة جلية •

ولقد عملت حركة الاعتزال فيما عملت له الرد على خصوم الاسلام وتفنيد حججهم ومنهم الغلاة ، ولقد اعتمدت المعتزلة المنطق والعلم بجميع فروعه في ردها على هؤلاء • لقد وقفت المعتزلة على ما في الكتب الفلسفية الاغريقية والكتب المسيحية الهلينية فوجدت فيها المسائل الجدلية لمجابهة ابحاث الثنوية والتغلب عليها (١٣٥) • واتخذت العقل اساسا في مناقشاتها ولذلك سماهم

(١٣٤) المصدر السابق : ص ٩٣ ــ ٩٤ •
(١٣٥) جب : دراسات في حضارة الاسلام ص ٩٣ • الترجمة العربية •

الاستاذ نيكلسون « العقليين » واستطاعت المعتزلة ان تلائم بين الثقافة الاسلامية الواضحة والثقافة الهلينية المعقدة وترد على الغلاة والزنادقة حتى امسى النضال ضد تأثير هذه الحركات وغيرها من الحركات المعادية للاسلام من هموم المعتزلة ومشاغلها الرئيسية [١٣٦] .

ولقد وجهت المعتزلة اهتماما خاصا الى « مبدأ التوحيد » فأكدت اهميته ووضحت مفهومه فقالت (ان الله قديم والقدم أخص صفاته وهو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة لانه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص وصف له لشاركته في الالهية)[١٣٧]، وقد ردت المعتزلة كل شيء يتعارض مع وحدانية الله وأزليته ، فانكروا ان ان يكون لله تعالى صفات غير ذاته فان وجود صفات قديمة خارجة عن الذات يؤدي الى ان هناك شيئا قديما أزليا غير ذاته [١٣٨] ، وقد وضعت المعتزلة الاصل الاول من اصولها الخمسة وهو التوحيد للرد على الغلاة المشبهة الذين قالوا ان الله قدّ وصورة وانه جسم ذو إعضاء [١٣٩] فقالت ان الله سبحانه وتعالى (ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر بل الخالق للجسم والعرض والعنصر والجوهر وانه الخالق للاشياء المبدع لها وانه القديم وان ما سواه محدث) [١٤٠] .

وحين ادركت المعتزلة ان فرقا غالية استغلت آيات من القرآن للقول بالتشبيه والتجسيم ردت عليهم (والصفات مجرد اعتبارات ذهنية تلجأ اليها عقولنا الضعيفة العاجزة تمام العجز عن ادراك الكمال المطلق فنحن نعبر عن الذات بواسطة هذه الصفات بينما الذات الالهية واحدة هي هي لا قسمة فيها) [١٤١] .

وقد فندت المعتزلة مقالة الغلاة في البداء مؤكدة قدرة الله وتنزيهه عن

---

(١٣٦) Nicholson, Literary History of Arabs, p. 224.
(١٣٧) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٥٠ .
(١٣٨) المصدر السابق ج ١ / ص ٥٥ .
(١٣٩) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ / ص ١٤٢ .
(١٤٠) المسعودي : مروج الذهب ج٣ / ص١٥٣ . تحقيق محي الدين عبدالحميد .
(١٤١) البير نادر : الفرق الاسلامية السياسية والكلامية ص ٥٣ .

الخطأ والنقص فقالت (فاذا فعل فعلا وخبر بخبر ثم تبين له انه ليس بصواب بدا له فيه وانتقل عنه الى غيره ، والموصوف بهذا منقوص والنقص من اعلام الحدث ويتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) [١٤٢] .

وقد ركزت المعتزلة دفاعها عن مبدأ التوحيد وأبطلت حجج الثنوية ولاسيما المانوية منهم التي انتشرت مقالتها في ايامهم ، فحين اعلنت المانوية (ان الصدق والكذب مختلفان متضادان وان الصدق خير وهو من النور والكذب شر وهو من الظلمة سألهم ابراهيم النظام : ان الانسان الواحد قد يكذب في حال ويصدق في حال اخرى ليلزمهم على قولهم ان الفاعل الواحد قد يكون منه شيئان مختلفان خير وشر وصدق وكذب وفي هذا هدم القول بقدم الاثنين احدهما خير والآخر شر) [١٤٣] ،وفند ابو الهذيل العلاف رأى الثنوية في الاثنين (وناظر صالح بن عبدالقدوس لما قال في العالم انه من اصلين قديمين نور وظلمة كانا متباينين فامتزجا ، فقال ابو الهذيل : فامتزاجهما هو هما ام غيرهما ؟ قال بل اقول هو هما فالزمه ان يكونا ممتزجين متباينين اذا لم يكن هناك معنى غيرهما ولم يرجع ذلك الا اليهما فانقطع) [١٤٤] . ورد ابراهيم النظام على الثنوية بحجة قوية قائلا (وجدت الضدين لا يجتمعان في موضع واحد في ذات انفسهما فعلمت بوجود لهما مجتمعين وان لهما جامعا جمعهما وقاهرا قهرهما على خلاف شأنهما وما جرى عليه القهر والمنع فضعيف وضعفه ونفوذ تدبير قاهره فيه دليل على حد[illegible] [illegible]نى ان محدثا ومخترعا اخترعه لا يشبهه وهو الله رب العالمين) [١٤٥] ، وقد رد النظام على المانوية بحجة اخرى قطعهم فيها فقال (حدثونا عن انسان قال قولا كذب فيه من الكاذب ؟ قالوا الظلمة ، قال : فان ندم بعد ذلك على ما فعل من الكذب وقال قد كذبت وقد اسأت من القائل قد كذبت ؟ فاختلطوا عند ذلك ولم يدروا ما يقولون فقال لهم ابراهيم : ان زعمتم ان النور هو القائل قد كذبت وأسأت فقد كذب لانه لم يكن الكذب منه

---

(١٤٢) الخياط : الانتصار ص ٩٥ .
(١٤٣) المصدر السابق ص ٣٠ .
(١٤٤) أحمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٤٦ « تحقيق سوسنة ديفلد ـ فلزر ، بيروت ١٩٦١م . »
(١٤٥) الخياط : الانتصار ص ٤٠ .

ولا قاله والكذب شر فقد كان من النور شر وهذا هدم قولكم وان قلتم ان الظلمة قالت كذبت واسأت فقد صدق والصدق خير فقد كان من الظلمة صدق وكذب وهما عندكم مختلفان فقد كان من الشيء الواحد شيئان مختلفان خير وشر على حكمكم وهذا هدم قولكم بالاثنين) (١٤٦) .

وقد ارادت المعتزلة « بمبدأ العدل » تنزيه الله عن الظلم وان الله « لا يحب الفساد ولا يخلق افعال العباد بل يفعلون ما امروا به ونهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم » (١٤٧) وانه سبحانه وتعالى (لم يأمر الا بما اراد ولم ينه الا عما كره وانه ولي كل حسنة امر بها بريء من كل سيئة نهى عنها) (١٤٨) ، وردت المعتزلة من خلال مبدأ العدل على الجبرية فأكدت حرية الانسان واهمية العمل بالفرائض وضرورة اجتناب المحرمات فاكدت بذلك « مبدأ المعاد » وما يتصل به من بعث وحساب وجنة ونار .

ومبدأ العدل يرتبط بقضية القضاء والقدر « وقد فسرت المعتزلة هذه القضية تفسيرا يبقي على حرية الانسان وقد وجدت المعتزلة في تفسير الامام علي « عليه السلام » للقضاء والقدر اساسا لتفسير هذه الفكرة وتأكيدا لمبدأ العدل الذي ذهبت اليه المعتزلة فقد اجاب الامام علي مفسرا معنى القضاء والقدر قائلا (ان الله امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يضع مكرها) (١٤٩) ، واجاب الامام علي مؤكدا حرية الانسان في عمله فقال تفسيرا لمعنى القضاء والقدر (... ولعلك تظن قضاء واجبا وقدرا حتما ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعدوالوعيد ولما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ... ان الله تعالى امر تخييرا ونهى تحذيرا ولم يكلف جبرا) (١٥٠) .

وقد رد ابو الهذيل العلاف على الجبرية حين ادعت (ان الكافر قادر على

---

(١٤٦) الخياط : الانتصار ص ٣٠ .
(١٤٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ٥١٣ ط ٧ .
(١٤٨) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٥٣ تحقيق محي‌الدين عبدالحميد .
(١٤٩) المرتضى : امالي المرتضى ج ١ ص ١٥١ .
(١٥٠) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٨ - ١٢٩ وأمالي المرتضى ج ١ ص ١٥١ .

الكفر الذي هو فيه غير قادر على الايمان الذي تركه) [١٥١] بقوله (فاذا كان الكافر عندكم غير قادر على الخروج من الكفر الذي هو فيه فقد صح انه ليس بمختار ولا فاعل له بل هو مضطر اليه مجبر عليه لان القادر على الفعل هو القادر على تركه فاذا صحت القدرة على امر من الامور صحت على تركه واذا انتفت عن تركه انتفت عنه) [١٥٢] .

وذهبت المعتزلة الى تأكيد « مبدأ العدل » عن طريق توضيح حرية الانسان وانه هو الذي يخلق افعاله باختياره وان الحسن والقبح صفتان للاشياء والعقل قادر على التمييز بين حسن الاشياء وقبيحها حيث ان للشيء صفة فيه جعلته حسنا او قبيحا [١٥٣] .

وركزت المعتزلة « مبدأ العدل » بقولها بمبدأ « الوعد والوعيد » فالعدل الالهي يقتضي ان يجاز كل انسان بعماله ، فأهل الخير يجازون خيرا واهل الشر يجازون شرا وهذا هو مفهوم الوعد والوعيد [١٥٤] ، وتأكيدا لمبدأ الوعد والوعيد قالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ، فقسمت الكبائر الى نوعين فهناك كبيرة الشرك وهي اكبر الكبائر وان الله سبحانه وتعالى لا يغفر لمرتكبها تطبيقا لقوله « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، والكبائر الاخرى دون الشرك فان مرتكبها (ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا)[١٥٥] والفسق منزلة بين الايمان والكفر ، ويبدو ان المعتزلة ارادت بهذا التقسيم للكبائر ان تركز مبدأ التوحيد وان تخيف الملحدين والثنوية كما انها لم تتساهل مع اصحاب الكبائر الاخرى فقررت (ان في فساق اهل القبلة من هم شر من من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة) [١٥٦] .

كما امرت المعتزلة بالمعروف ونهت عن المنكر وعملت من خلال هذا المبدأ

---

(١٥١) الخياط : الانتصار ص ١٧ .
(١٥٢) المصدر السابق ص ١٧ .
(١٥٣) أنظر الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٥٦ وحسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام ج ١ ص ٥١٤ .
(١٥٤) عبدالحكيم بلبغ : ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري ص ١٤٧ .
(١٥٥) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٥٣ « تحقيق محي الدين عبدالحميد » .
(١٥٦) الخياط : الانتصار ص ٦٣ .

على الدفاع عن مبادىء الاسلام والرد على خصومه وتفنيد اقوال المشبهة والمعطلة والثنوية ، وقد ادركت المعتزلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي ادراك آراء خصوم الاسلام والوقوف على حججهم واساليب عملهم ، كما يتطلب المعرفة الواسعة بفنون النقاش فكانوا (اول من قرأ تراجم الطبيعيين من الاغريق وفلاسفتهم ... واقتبسوا منها جميع المعارف النافعة واجهدوا انفسهم ان يضيفوا الى المعاني الاسلامية التي جاء بها القرآن) (١٥٧) ، كما وجهوا اهتماما خاصا لادراك الاسلام والوقوف على حقيقته ، فكان واصل بن عطاء (اذا جنه الليل صف قدميه وامامه لوح ودواة فاذا مرت آية فيها حجةعلى مخالف جلس فكتبها) (١٥٨) ، وكان واصل واسع المعرفة لم يكن احد اعلم منه بكلام الغالية وكلام الزنادقة وسائر المخالفين (١٥٩) فتمكن من التصدي لهم والرد عليهم (١٦٠) ، وألف واصل كتابه « الالف مسألة للرد على المانوية » (١٦١) .

وكان واصل يعقد الجلسات للرد على الزنادقة وتفنيد حججهم ، وكان يناقش مشاهيرهم امثال صالح بن عبد القدوس وغيره فيقطعهم باقل كلام(١٦٢) .

وكان لواصل تلاميذ كثيرون اعدهم اعدادا فكريا عميقا وكان يبعث بهم الى الاقطار يدعون الى مبادىء الاعتزال ويردون من خلال ذلك على خصوم الاسلام فبعث واصل منهم (عبدالله بن الحارث الى المغرب فاجابه خلق كثير وبعث الى خراسان حفص بن سالم فدخل ترمذ وناظر جهم بن صفوان حتى قطعه ... وبعث القاسم الى اليمن وبعث ايوب الى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة وعثمان الطويل الى ارمينية) (١٦٣) .

---

(١٥٧) Browne, Literary History of Persia, Vol. I, P. 228

(١٥٨) أحمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٣٢ .

(١٥٩) المصدر السابق : ص ٣٠ .

(١٦٠) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ١٠٩ .

(١٦١) أحمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٣٥ .

(١٦٢) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ج ٢ ص ٤٥ الترجمة العربية .

(١٦٣) أحمد المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٣٢ وأحمد امين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٩٢ .

واشتهر عمرو بن عبيد بقوة الحجة وكان عالما بالاسلام ومطلعا على اراء الغلاة والزنادقة وقال فيه احمد المرتضى (وكان عمرو بن عبيد من اعلم الناس بامر الدين والدنيا) (١٦٤) وقد استعمل علمه في الرد على اعداء الاسلام وابطل حججهم (١٦٥) .

وكان ابو الهذيل العلاف قوي الحجة كثير المناظرة لخصوم الاسلام من الثنوية وغيرهم فيلزمهم الحجة باقل بيان ومن مناقشاته التي تدل على قوة حجته انه ناظر يوما صالح بن عبدالقدوس اثر وفاة ابنه فذهب اليه ابو الهذيل (فرآه حزينا فقال : لا اعرف لجزعك وجها الا اذا كان الانسان عندك كالزرع فقال : انما اجزع لانه لم يقرأ كتاب الشكوك قال : وماكتاب الشكوك؟ قال : كتاب وضعته من قرأ فيه شك في ما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان قال ابو الهذيل : فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات فشك انه قد قرأ ذلك الكتاب وان كان لم يقرأه) (١٦٦) .

ولم يقف ابو الهذيل عند مناقشة خصوم الاسلام بل ألف ستين كتابا رد فيها على الزنادقة والمخالفين في دقيق الكلام وجليله (١٦٧) .

وقد فند النظام بحجج دامغة مقالة الثنوية في الاثنين (١٦٨) ، وقد ألف النظام كتبا كثيرة منها (كتاب الجزء ، كتاب في الرد على الثنوية ، كتاب العالم ... ، كتاب في التوحيد ... كتاب النكت) (١٦٩) .

كما ألف الجاحظ اكثر من كتاب رد فيها على الغلاة منها كتاب فضيلة المعتزلة وكتاب الاخطار واثبات النبوة وكتاب نظام القرآن (١٧٠) ، كما ضمن معظم كتبه الاخرى ردودا وتفنيدا لآراء الغلاة والزنادقة .

---

(١٦٤) أحمد المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٣٦ .
(١٦٥) المصدر السابق : ص ٣٦ .
(١٦٦) المصدر السابق : ص ٤٧ .
(١٦٧) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(١٦٨) انظر كتاب الانتصار ص ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٠ .
(١٦٩) عبدالهادي أبو ريدة : ابراهيم بن سيار النظام ص ٧٥ .
(١٧٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

وكان لعلي الاسواري والخياط المعتزلي وبشر بن المعتمر وابي موسى المردار وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب واحمد بن ابي دؤاد وغيرهم من المعتزلة جهود كبيرة في توضيح وتثبيت مبادىء الاسلام والرد على خصومه ودحض افتراءاتهم (١٧١) وبعد هذه الجهود التي بذلها المعتزلة لنا ان نقول مع الاستاذ احمد امين (ولا يدري الا الله ماذا يكون حال المسلمين لو لم يقف المعتزلة هذا الموقف وقت هجوم خصوم بهذه القوة ، ان الاسلحة التي تسلح بها المسلمون فيما بعد من علم الكلام على النمط الذي وضعه ابو الحسن الاشعري وخلفه هي من غير شك وليدة الاعتزال وترتيب لآراء المعتزلة) (١٧٢) .

واسهم المؤرخون بشكل بارز في الحفاظ على صور الحضارة العربية الاسلامية ودور الانسان العربي الجديد فيها وأثر الاسلام ودولته في مد الحضارة العربية بعوامل الابداع والتجديد ، وان وقفة على المكتبة التاريخية التي ألفها المؤرخون ترينا الجهود الكبيرة في المحافظة على هذه الحضارة التي حاول الخصوم تشويهها .

كما ساهم اللغويون بجهود كبيرة في المحافظة على اللغة وسلامتها على اعتبار ان اللغة هي الوسيلة للحفاظ على الشريعة وتفسيرها وفهمها وكانت جهود هؤلاء قوة اخرى في المحافظة على شخصية هذه الامة وعلى حضارتها وعلى دستورها القرآن .

كما كان للشعراء دورهم الكبير في هذه المعركة ، فقد كان لقصائدهم الكثيرة الدور البارز في هذه المعركة التي دارت رحاها مستهدفة جميع مناحي الحضارة العربية ، فكان للشعر دوره في هذه المعركة وكان له ان رد على شعر الغلاة بما يتناسب وقوة هجومهم .

كل هذه الادوار كانت مشاركة من الجانب العربي في المعركة التي وجهت

---

(١٧١) أنظر كتاب الانتصار ص ٣٠ ـ ١٢٦ وطبقات المعتزلة ص ٦٢ ـ ١١٢ ومروج الذهب ج٣ ص ١٥٢ والملل والنحل ج ١ ص ٥٠ ـ ٥٥ وضحى الاسلام ج ٣ ص ٩٧ ـ ٢٠٨ وتاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(١٧٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٠٦ـ٢٠٧ .

الى الدين ودولته وانسانه فكانت معركة قوية تسببت في تتائج كثيرة كان منها تتائج ايجابية واخرى سلبية ٠

تلك كانت معركة الغلو مع الاسلام ، معركة واسعة عنيفة استفادت من كل العوامل المتصلة بالاسلام والممتدة الى الديانات الاخرى ووضعت تحت تصرفها حضارات الانسان القديم لتكون كلها اسلحة لها في هذه المعركة ٠

والسؤال الذي يلح : هل استطاعت حركة الغلو ان تحقق اغراضها ؟!

نستطيع ان نقول ان هذه الحركة لم تستطع ان تحقق تلك الاغراض فلا زال الاسلام دينا وعقيدة لعشرات الملايين من الناس يمدهم بالايمان وبالجواب عن اكثر من سؤال في حياتهم الخاصة والعامة ٠

ونستطيع أن نقول ان حركة الغلو استطاعت ان تحقق جانبا كبيرا من اغراضها ، فالدولة العربية قد سقطت سواء اكانت دولة الامويين او دولة العباسيين او دولة الامويين في الاندلس ، او الدويلات الاخرى التي قامت هنا وهناك في المنطقة الاسلامية ، وكان لحركة الغلو اثرها المباشر واثرها غير المباشر في عمليات سقوط تلك الدول ٠

كما ونستطيع ان نقول ان حركة الغلو حققت جانبا مهما من اهدافها في معركتها مع الاسلام حينما نجد هذا الدين بمبادئه السامية ومقوماته واركانه قد عاشت فيه آراء وشوائب وزوائد غريبة عنه كان لحركة الغلو اثرها في زرع هذه الآراء الغريبة في ارض الاسلام الطيبة وان هذه الآراء والشوائب كادت ان تخنق الشجرة الام وتأتي عليها الا ان امتداد جذور هذه الشجرة وصلتها بالله سبحانه وتعالى وصلتها بالانسان العربي المسلم الذي آمن بوعي واندفع في المحافظة عليها كان في ذلك رد لعمليات الخنق والتخريب هذه ٠

ان الصراع بين الاسلام وانسانه من جهة وبين الغلاة وحركتهم كان صراعا عنيفا امتد اثره عشرات السنين ، وعلى الرغم من ان الانسان المسلم استطاع ان يرد وان يبدع في مجالات الحضارة المختلفة الا ان شراسة الهجوم الغالي وعنفوانه شغل المسلمين بالرد عليهم وكان انشغالهم هذا قد صرفهم الى حد ليس بالقليل عن نواحي حضارية اخرى كان المؤمل التوجه اليها من اجل تقديم صور حضارية اخرى لخدمة الانسان ٠

ان شدة الصراع بين الحضارة العربية الاسلامية وبين خصومها استنزف الكثير من عناصر قوتها وجعلها تدور في مدار معين لحمته وسداه الصراع مـع اعداء يحاولون هدمها وتخريبها ولا شك ان طول هذه المعركة وعنفها قد تسبب في انضاب كثير من طاقاتها ومن قواها فلم تستطع ان تواصل الابداع ، فكان ان توقفت الحضارة الاسلامية فترة طويلة من الزمن ووقع الانسان العـربي المسلم ضحية كثير من الآراء والمبادىء الغريبة عن الدين والبعيدة عن معـاني حضارتـه الاصلية .

وهكذا تكون حركة الغلو قد حققت جانبا آخر من اهدافها الا ان وعي الانسان العربي عاد بعد طول رقاد متحفزا متحركا من اجل ازالة هذه الشوائب التي علقت في الحضارة وعطلتها والتي امتدت الى الاسلام وارادت خنقه والى ذاته وعملت على شلها انه اليوم يتحرك بوعي من اجل ان يكون الاسـلام على صفائه وعلى حقيقته كما اريد له هداية ورحمة للعالمين ، وان تعود الامـة العربية ثانية تحمل مشعل الحضارة لخدمة الانسانية لتواصل اداء رسالتهـا الخالـدة .

مصادر الكتاب

نورد في هذا الثبت الكامل مصادر الكتاب التي ألمعت الى اغلبها بين دفتيه ولم اشر الى البعض الآخر استكفاء بنصوص المصادر المذكورة ، وقد رتبت اسماء المؤلفين حسب احرف الهجاء مع بيان سنة وفاة بعضهم .

اولا ــ المصادر الاصيلة :

ابن الاثير (٦٣٠/١٢٣٨) : عزالدين علي بن محمد

١ ــ الكامل في التاريخ (١٢) جزءا (ليدن ١٨٥١ــ١٨٧١م) ومطبعة التحرير (القاهرة ١٣٠٣ هـ) .

٢ ــ اللباب في تهذيب الانساب (٣) اجزاء (القاهرة مكتبة القدسي ١٣٥٧هـ)

الاسفراييني (٤٧١/١٠٧٨) : ابو المظفر محمد بن طاهر

٣ ــ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري (القاهرة مكتبة الخانجي ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

الاشعري (٣٢٤/٩٣٦) : ابو الحسن علي بن اسماعيل .

٤ ــ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، جزءان في مجلد واحد تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٠ــ١٩٥٤م).

الاصفهاني (٣٥٦ / ٩٦٧) : أبو الفرج علي بن الحسين

٥ ــ الاغاني (٢١) جزءا (طبعة ساسى القاهرة ١٣٢٢ هـ) و (طبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة ٢٧ ــ ١٩٧٠)

٦ ــ مقاتل الطالبيين (المطبعة الحيدرية النجف ١٣٥٣ هـ)

الاصفهاني (٣٥٠/٩٦١) : حمزة بن الحسن

٧ ــ تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (برلين ١٣٤٠ هـ)

ابن بدرون (من أدباء القرن الخامس للهجرة) : ابو مروان عبدالملك بن عبدالله

٨ ــ كمامة الزهر وفريدة الدهر (القاهرة ١٣٤٠ هـ)

ابن البطريق (٣٢٨/٩٣٩) : سعيد

٩ ــ كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ويعرف بـ ــ نظم الجوهر ــ جزءان (مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٩ م) .

البغدادي (٤٢٩/١٠٣٧) : ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر .

١٠ــ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق محمد زاهد الكوثري، نشر عزت العطار (القاهرة ١٣١٧/١٩٤٨ م) .

البغدادي (١٠٩٣ هـ) : عبد القادر بن عمر

١١ ــ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب (المطبعة الاميرية ــ بولاق ١٢٩٩هـ)

البلاذري (٢٧٩/٨٩٢) : احمد بن يحيى بن جابر

١٢ ــ فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (المطبعة المصرية القاهرة ١٩٣٢ م)

البلخي (٣٢٢ / ٩٣٣) : أبو زيد أحمد بن سهل

١٣ــ البدء والتاريخ (٦) أجزاء باعتناء كليمان هوار (باريس ١٨٩٩) . وينسب الى المطهر بن طاهر المقدسى (٣٨٧/٩٩٧)

البيروني (٤٤٠/١٠٤٨) : أبو الريحان محمد بن احمد

١٤ــ الاثار الباقية عن القرون الخالية تحقيق ادوارد سخاو (ليبزيك ١٩٠٣) .
١٥ــ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ليبزيك ١٩٢٥)
١٦ــ الفلسفة الهندية تحقيق عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف (مطبعة احمد علي مخيمر القاهرة بلا تاريخ) .

التفتازاني (٧٩٣/١٣٩٠) : سعد الدين مسعود بن عمر

١٧ـ شرح مقاصد الطالبين في حكم أصول الدين جزءان (استانبول١٣٠٥هـ)

التوحيدي (٣٨٧/٩٩٧) : أبو حيان

١٨ـ الامتاع والمؤانسة (٣) أجزاء ، تحقيق أحمد امين واحمد الزين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٣ م) .

ابن تيمية (٧٢٨/١٣٢٧) : شيخ الاسلام أبو العباس تقي الدين

١٩ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (مطبوع ضمن مجموعة فتاوى ابن تيمية) مطبعة كردستان القاهرة ١٣٢٩/١٨٩١

٢٠ـ مجموعة الرسائل والمسائل ـ تحقيق محمد رشيد رضا (الطبعة الاولى بمطبعة المنار ـ القاهرة ١٣٤١ هـ)

٢١ـ كتاب الحسبة في الاسلام

٢٢ـ بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول

٢٣ـ السياسة الشرعية .

الثعالبي (٤٢٩/١٠٣٧) : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل

٢٤ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (مطبعة الظاهر القاهرة ١٣٢٦/١٩٠٨)

الجاحظ (٢٥٥/٨٦٨) : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني

٢٥ـ البخلاء تحقيق طه الحاجري (مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٥٨ م) .

٢٦ـ البيان والتبيين (٣) أجزاء تحقيق حسن السندوبي (المطبعة الرحمانية القاهرة ١٣٥١/١٩٣٢) .

٢٧ـ التاج في اخلاق الملوك (المطبعة الاميرية القاهرة ١٣٢٢/١٩١٤) .

٢٨ـ التربيع والتدوير تحقيق شارل بلات (دمشق ١٩٥٥ م) .

٢٩ـ ثلاث رسائل للجاحظ باعتناء يوشع فنكل (المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٤ هـ)

٣٠ـ حجج النبوة (مطبوع ضمن رسائل الجاحظ جمع حسن السندوبي) القاهرة ١٣٥٢/١٩٣٣ .

٣١ـ كتاب الحيوان (٧) أجزاء (طبعة ساسى القاهرة ١٣٢٣ ـ ١٣٢٥ هـ)
وتحقيق عبد السلام هارون (٧) أجزاء (مطبعة مصطفى البابي الحلبي
القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧) .
٣٢ـ المحاسن والاضداد (مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٤ هـ) .

جابر بن حيان (١٦١/٧٧٨)
٣٣ـ الخواص الكبير (مطبوع ضمن رسائل جابر بن حيان تحقيق بول كراوس)
القاهرة ١٣٥٤ هـ .

ابن الجوزي (٥٩٧/١٢٠٠) : الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن
بن علي
٣٤ـ نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس (المطبعة المنيرية القاهرة ١٣٤٧هـ).
و (مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٠ هـ) الناشر محمد أمين الخانجي
ومحمد عبده الدمشقي .
٣٥ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٥ ـ ١٠ (مطبعة دائرة المعارف
العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ ـ ١٣٥٩ هـ) .

الجهشياري (٣٣١/٩٤٢) أبو عبد الله محمد بن عبدوس
٣٦ـ الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وجماعته (مطبعة عيسى البابي
الحلبي وأولاده القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨) .

ابن حجر (٨٥٢/١٤٤٨) : شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني
٣٧ـ فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري ، الجزء الثاني عشر (القاهرة
١٣٢٩ هـ)

ابن أبي الحديد (٦٥٥/١٢٥٧) : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد
بن أبي الحديد
٣٨ـ شرح نهج البلاغة (١٨) جزءا تحقيق محمد أبو الفضل (مطبعة عيسى
البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣ م) .

ابن حزم (١٠٦٣/٤٥٦) : علي بن محمد بن سعيد
٣٩ــ الفصل في الملل والاهواء والنحل (٥) أجزاء (المطبعة الادبية بالقاهرة ١٣١٧ ــ ١٣٢٠ هـ) وبهامشه كتاب الملل والنحل للشهرستاني •

الحميري (١١٧٧/٥٧٣) : أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان
٤٠ــ الحور العين (مطبعة السعادة القاهرة ١٩٤٨ م) تحقيق وضبط كمال مصطفى •

ابن حنبل (٢٤١ــ٨٧٥) : احمد بن محمد
٤١ــ الرد على الجهمية والزنادقة (مطبوع ضمن كتاب شذرات البلاتين) القاهرة ١٩٥٦ م •
٤٢ــ المسند (٦) أجزاء القاهرة ١٢١٣ هـ

ابن حيون (٩٧٣/٣٦٣) : النعمان بن حيون التميمي
٤٣ــ أساس التأويل تحقيق عارف تامر دار الثقافة (بيروت ١٩٦٠ م) •

الخطيب البغدادي (١٠٧٠/٤٦٣) : أبو بكر احمد بن علي
٤٤ــ تاريخ بغداد (١٤) جزءا (مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١ م) •

ابن خلدون (٨٠٨ / ١٤٠٥) : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي
٤٥ــ المقدمة (المطبعة الادبية بيروت ١٩٠٠ م) وطبعة (مطابع دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦ م) : وطبعة (مطبعة مصطفى محمد القاهرة بدون تاريخ)

ابن خلكان (٦٨١ / ١٢٨٣) : شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم
٤٦ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان جزءان (المطبعة الميمنية بولاق ١٣١٠ هـ) وطبعة (مطبعة السعادة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٦٧ / ١٩٤٨) في جزئين أيضا •

الخوارزمي (٣٨٧ / ٩٩٧) : أبو عبد الملك محمد بن احمد بن يوسف
٤٧ــ مفاتيح العلوم (مطبعة الشرق القاهرة بلا تاريخ)

الخياط (عاش في القرن الرابع الهجري) : عبد الرحيم بن محمد بن عثمان

٤٨ــ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، تحقيق البير نادر ــ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧ م

الدارمي (٢٨٠/٨٩٣) : عثمان بن سعيد بن خالد

٤٩ــ الرد على الجهمية ، تحقيق شتروطمان (ليدن ١٩٦٠ م)

ابن دريد (٣٢١ / ٩٣٣) : أبو بكر محمد بن الحسن ،

٥٠ــ جمهرة اللغة (حيدر آباد ١٣٤٥ هـ) .

الدهلوي (١٢٣٩ هـ) : شاه عبد العزيز غلام

٥١ــ مختصر التحفة الاثني عشرية ، نقله من الفارسية الى العربية غلام محمد واختصره محمود شكري الالوسى ، وعلق عليه محب الدين الخطيب (المطبعة السلفية ــ القاهرة ١٣٧٣ هـ)

الديلمي (٧١١/١٣١١) : محمد بن الحسن

٥٢ــ (من كتاب قواعد عقائد آل محمد) تحقيق ر . شترطمان (استانبول ١٩٣٨ م)

الدينوري (٢٨٢/٨٩٥) : احمد بن داود

٥٣ــ الاخبار الطوال تحقيق عبد المنعم عامر (مطبعة عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ١٩٦٠ م) .

الذهبي (٧٤٨ / ١٣٤٧) : شمس الدين بن قايماز

٥٤ــ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام (٥) أجزاء (مطبعة السعادة ــ القاهرة ١٣٦٧ ــ ١٣٦٩ هـ) .

الرازي (٦٠٦ / ١٢٠٩) : فخر الدين

٥٥ــ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيق على سامي النشار (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٣٥٦ / ١٩٣٨) .

ابن رسته (٢٩٠ / ٩٠٢) : أبو علي احمد بن عمر
٥٦ــ الاعلاق النفيسة باعتناء دى خويه (ليدن ١٨٩٢ م) ٠

ابن رشيق (٤٦٣ / ١٠٧٠) : أبو علي الحسن بن علي القيرواني
٥٧ــ العمدة في صناعة الشعر ونقده جزءان (مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٥هـ)

الرسعيني (عاش في القرن السابع للهجرة) : عبدالرزاق بن رزق الله
٥٨ــ مختصر كتاب الفرق بين الفرق ، حرره فليب حتي (مطبعة الهلال القاهرة ١٩٢٤ م)

الزبيري (٢٣٦ / ٨٥٠) : مصعب
٥٩ــ نسب قريش ، تحقيق بروفنسال (دار المعارف للطباعة والنشر القاهرة ١٩٥٣ م)

ابن سعد (٢٣٠ / ٨٤٤) : أبو عبد الله محمد
٦٠ــ الطبقات الكبير (٨) أجزاء طبعة ادوارد سخو (ليدن ١٩٠٥ــ١٩٢١م)٠

ابن سلام (٢٢٤ / ٨٣٨) : أبو عبيد القاسم
٦١ــ كتاب الأموال : تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي (مطبعة حجازي القاهرة ١٣٥٣ هـ)

السمعاني (٥٦٢ / ١١٦٦) : عبد الكريم بن محمد
٦٢ــ كتاب الانساب تحقيق مرغليوث (ليدن ١٩١٢ م) ٠

ابن سيده (٤٥٨ / ١٠٦٥) : أبو الحسن علي بن اسماعيل
٦٣ــ كتاب المخصص (المطبعة الاميرية بولاق ١٣١٩هـ) ٠

ابن سينا (٤٢٨ / ١٠٣٦) : أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي
٦٤ــ رسالة اضحوية في أمر المعاد ، تحقيق سليمان دنيا (مطبعة الاعتماد القاهرة ١٣٦٨ / ١٩٤٩) ٠

السيوطي (٩١١ / ١٥٠٥) : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

٦٥ــ تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٩ م)

الشهرستاني (٥٤٨ / ١١٥٣) : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم

٦٦ــ كتاب الملل والنحل (٥) أجزاء بهامش كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل المطبعة الادبية القاهرة ١٣١٧ ــ ١٣٢٠ هـ) • (طبعة : مطبعة الازهر ــ القاهرة ١٩٤٧ م) تحقيق محمد بن فتح الله بدران •

الصادق (١٤٨ / ٧٦٧) : جعفر بن محمد •

٦٧ــ توحيد المفضل (النجف ١٣٦٩ هـ) •

الطبرسى (توفي في أواخر القرن الخامس الهجري) : أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب

٦٨ــ الاحتجاج على أهل اللجاج (طهران ١٣٠٢ هـ) •

الطبري (٣١٠ / ٩٢٢) : أبو جعفر محمد بن جرير

٦٩ــ تاريخ الأمم والملوك (طبعة ليدن ١٨٧٦ ــ ١٩٠١ م) في (١٣) جزءا والطبعة الحسينية (القاهرة ١٣٢٦ هـ) في (١٣) جزءا ، وطبعة مطبعة الاستقامة (القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٩) في (٨) أجزاء •

ابن الطقطقي (٧٠٩ / ١٣٠٩) : فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا

٧٠ــ الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية (مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة بدون تاريخ) •

العباسى (٩٦٣ / ١٥٥٥) : عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد

٧١ــ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (دار الطباعة المصرية القاهرة ١٢٧٤ هـ)

ابن عبد ربه (٣٢٨ / ٩٣٩) : أبو عمر أحمد بن محمد
٧٢ـ العقد الفريد تحقيق أحمدأمين وجماعته (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣) .

أبو عبيدة (٢١٠ / ٨٢٥) : معمر بن المثنى
٧٣ـ النقائض تحقيق بيفان (ليدن ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩) .

العراقي (٥٠٠/١١٠٦) : ابو محمد عثمان بن عبد الله
٧٤ـ الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة تحقيق بشارة قوتلواي (انقره مطبعي ١٩٦١ م) .

الغزالي (٥٠٥ / ١١١١) : أبو حامد محمد بن محمد
٧٥ـ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة تحقيق سليمان دنيا ـ دار احياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبي وشركاه (القاهرة ١٩٦١)
٧٦ـ فضائح الباطنية تحقيق عبد الرحمن بدوي

الفردوسى (٤١١/١٠٢٠ وقيل ٤١٦/١٠٢٥) : أبو القاسم
٧٧ـ الشاهنامه ترجمة الفتح بن علي البنداري جزآن تصحيح وتعليق عبد الوهاب عزام (مطبعة دار الكتب القاهرة ١٣٥٠ ـ ١٩٣٢) .

الفيروزابادي (٩٦٢ / ١٥٥٤) : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب
٧٨ـ القاموس المحيط (٤) أجزاء (المطبعة المصرية القاهرة ١٣٥٣ / ١٩٣٥)

القاسم بن ابراهيم (٢٤٦ / ٨٦٠)
٧٩ـ كتاب الرد على الزنديق اللعين أبن المقفع (روما ١٩٢٧ م) .

القاضى (٤١٥ / ١٠٢٤) : عبد الجبار
٨٠ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل ج ١٦ ، تحقيق أمين الخولي (مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٣٨٠ / ١٩٦٠) .

ابن القارح (٤٢١ / ١٠٣٠) : أبو الحسن علي بن منصور بن طالب

٨١ـ رسالة ابن القارح مع رسالة الغفران لأبي العلاء المعري تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء دار المعارف (القاهرة ١٩٦٣ م) .

ابن قتيبة (٢٧٦ / ٨٨٩) : عبد الله بن مسلم

٨٢ـ الشعر والشعراء جزآن دار الثقافة (بيروت ١٩٦٤ م) .

٨٣ـ المعارف تحقيق محمد اسماعيل الصاوي (المطبعة الاسلامية القاهرة ١٩٣٤ م) .

القرشي (١٧٠ / ٧٨٧) : أبو زيد محمد بن الخطاب

٨٤ـ جمهرة أشعار العرب (المطبعة الخيرية القاهرة ١٣٠٨ هـ) .

القمي (٣٠١ / ٩١٣) : سعد بن عبد الله بن أبي خلف الاشعري

٨٥ـ كتاب المقالات والفرق تحقيق محمد جواد مشكور (طهران ١٩٦٣م) .

ابن القيم (٧٥١ / ١٣٥٠) : شمس الدين أبو عبد الله ابن القيم الجوزية

٨٦ـ اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان جزآن تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي (القاهرة ١٣٥٧ ـ ١٣٥٨ هـ) .

٨٧ـ اعلام الموقعين

الكتبي (٧٦٤ / ١٣٦٢) : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن

٨٨ـ فوات الوفيات جزآن تحقيق محي الدين عبد الحميد (مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥١ م) .

ابن كثير (٧٧٤ / ١٣٧٢) : اسماعيل بن عمر

٨٩ـ البداية والنهاية في التاريخ (١٤) جزءا (مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨ هـ)

الكردري (١٤٢٣/٨٢٧) : حافظ الدين محمد بن محمد

٩٠ـ مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة (حيدر آباد الدكن ١٣٢١ هـ)

الكشي (٣٤٠ / ٩٥١) : أبو عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز

٩١ـ اخبار الرجال (بومباي ١٣١٧ هـ) .

الكلبي (٦٣٣ / ١٢٤٠) : عمر بن الحسن بن علي بن محمد أبو الخطاب بن دحية .

٩٢ـ كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تحقيق عباس العزاوي مطبعة المعارف (بغداد ١٣٦٥ / ١٩٤٦) .

الكليني (٣٢٩ / ٩٤٠) : ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق

٩٣ـ اصول الكافي تحقيق عبد الحسين المظفر (النجف ١٣٧٧ / ١٩٥٧) .

ابن كمال باشا (٩٤٠ / ١٥٣٣)

٩٤ـ رسالة في تحقيق لفظ زنديق وتوضيح معناه لغة وشرعا وبيان حكمه . تحقيق حسين علي محفوظ ـ مجلة كلية الآداب العدد الخامس بغداد ١٩٦٢ م .

الماوردي (٤٥٠ / ١٠٥٨) : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب

٩٥ـ الاحكام السلطانية مطبعة مصطفى الحلبي (القاهرة ١٣٥٧ هـ) .

المبرد (٢٨٥/٨٩٨) : أبو العباس محمد بن يزيد

٩٦ـ الكامل في اللغة تحقيق الدكتور زكي مبارك (القاهرة ١٣٥٥ هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر مطبعة البابي الحلبي (القاهرة ١٣٥٦ / ١٩٣٧) .

ابن المرتضى (٨٤٠ / ١٤٣٦) : احمد بن يحيى

٩٧ـ طبقات المعتزلة تحقيق سوسنه ـ ريقلد ڤلرز نشر فرانزشتاينرفيسبادن (بيروت ١٩٦١)

المسعودي (٣٤٦ / ٩٥٧) : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي

٩٨ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر (٩) أجزاء (باريس ١٨٦١ ـ ١٨٧١ م) ،

وطبعة المطبعة البهية في جزئين (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، وطبعة مطبعة دار الرجاء (٤) أجزاء تحقيق محي الدين عبدالحميد (القاهرة ١٩٣٨ م) .

٩٩ـ التنبيه والاشراف دار الصاوي للطباعة والنشر (القاهرة ١٩٣٨ م) .

المعري (٤٤٩ / ١٠٢٧) : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان

١٠٠ـ رسالة الغفران تحقيق بنت الشـاطي (القاهرة ١٩٥٠ م) وطبعة دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦١ .

المقريزي (٨٤٥ / ١٤٤١) : تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر

١٠١ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (٤) أجزاء مطبعة النيـل (القاهرة ١٣٢٤ ـ ١٣٢٦ هـ) .

١٠٢ـ السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق محمد مصطفى زيادة مطبعـة دار الكتب المصرية (القاهرة ١٩٣٤ م) .

الملطي (٣٧٧ / ٩٨٧) : أبو الحسن محمد بن أحمد

١٠٣ـ التنبه والرد على أهل الاهواء والبدع تحقيق محمد زاهد الكوثري (القاهرة ١٣٦٩ ـ ١٩٤٩) .

ابن منظور (٧١١ / ١٣١١) : محمد بن عبد الكريم

١٠٤ـ لسان العرب (٢٠) جزءا (بولاق ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧ هـ) : وطبعة دار صادر (بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦) في (١٥) جزءا .

ابن نباته (٧٦٨ / ١٣٦٦) : جمال الدين محمد بن محمد .

١٠٥ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون تحقيق محمـد أبو الفضـل ابراهيم مطبعة المدني (القاهرة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤) .

ابن النديم (٣٨٣ / ٩٩٣) : محمد بن اسحاق

١٠٦ـ الفهرست (مطبعة الاستقامة القاهرة بدون تاريخ) .

النوبختي (٢٠٢/٨١٧) : ابو محمد الحسن بن موسى

١٠٧ ـ كتاب فرق الشيعة تصحيح هـ• ريتر مطبعة الدولة (استانبول١٩٣١م)• وتحقيق محمد صادق آل بحر العلوم المطبعة الحيدرية (النجف ١٣٥٥/١٩٣٦) •

النويري (٧٣٢/١٣٣١) : شهاب‌الدين احمد بن عبدالوهاب

١٠٨ـ نهاية الارب في فنون الادب مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة ١٣٦٩/١٩٤٩) •

ابن هشام (٢١٨/٨٣٣) : محمد بن عبدالملك

١٠٩ـ سيرة النبي (٤) اجزاء تحقيق محي‌الدين عبدالحميد مطبعة حجازي (القاهرة ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧) •

اليافعي (٧٦٨/١٣٦٦) : عبدالله بن اسعد

١١٠ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٤) اجزاء (حيدر آباد ١٣٣٨ـ١٣٣٩هـ)•

ياقوت (٦٢٦/١٢٢٨) : شهاب‌الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي

١١١ـ ارشاد الاريب الى معرفة الأديب ، المعروف بمعجم الادباء (٧) اجزاء تصحيح واعتناء مرجليوث (القاهرة ١٩٢٣ـ١٩٣١) ومطبوعات دار المأمون (٢٠) جزءا (القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨) •

اليعقوبي (٢٨٤/٨٩٧) : احمد

١١٢ـ تاريخ اليعقوبي طبعة النجف (٣) اجزاء (النجف ٣٥٨) وطبعة دار صادر جزآن (بيروت ١٣٧٩ـ١٩٦٠) •

ابو يوسف (١٩٢/٨٠٧ـ٨٠٨) : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب

١١٣ـ كتاب الخراج المطبعة السلفية (القاهرة ١٣٤٦ هـ) •

مؤلف مجهول

١١٤ـ نبذة عن كتاب التاريخ للمؤلف المجهول من القرن الحادي عشر باعتناء بطرس غريازنيويج (موسكو ١٩٦٠) •

الشـــيخ المفيد

١١٥ــ شرح عقائد الصدوق او تصحيح الاعتقاد
١١٦ــ اوائل المقالات

يحيى بن آدم

١١٧ــ الخراج (القاهرة ١٩٧٠)

المجلسي

١١٨ــ بحار الانوار (طبعة حجرية ، طهران ١٣٠٣ــ١٣١٥هـ) •

ثانيا ـ المصادر الحديثة :

اربري أ • ج • واساتذة من المستشرقين

١ ــ تراث فارس ترجمة محمد كفافي وجماعته دار احياء الكتب العربيـــة عيسى البابي الحلبي (القاهرة ١٩٥٩ م) •

آل كاشف الغطاء : محمد الحسين (ت١٣٧٣/١٩٥٤)

٢ ــ اصل الشيعة واصولها (الطبعة التاسعة) •

البير نادر

٣ ــ اهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٩٥٨) •

الآلوسي (١٣٤٢ هـ) : محمود شكري

٤ ــ بلوغ الارب في احوال العرب مطبعة دار السلام بغداد ١٣١٤هـ (في ٣ أجزاء) •

احمد امين

٥ ــ ضحى الاسلام (٣) اجزاء الطبعة الخامسة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٥ــ١٩٥٦) •

٦ ــ فجر الاسلام الطبعة السابعة مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٥٩م)•

اجناس جولدتسيهر
٧ ـ العقيدة والشريعة في الاسلام ترجمة محمد يوسف موسى ، علي حسن عبدالقادر ، عبدالعزيز عبدالحق ، (القاهرة ١٩٤٦) •

بارتولد (ف •) :
٨ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ترجمة حمزة طاهر الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر •

بديع شريف :
٩ ـ الصراع بين العرب والموالي دار الكتاب العربي (القاهرة١٩٥٤م) •

بلات (شارل) :
١٠ـ الجاحظ ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر (دمشق ١٩٦١م) •

بدوي ـ عبدالرحمن :
١١ـ النقد التاريخي تأليف لانجلو اوسينويوس • ترجمة عبدالرحمن بدوي (القاهرة ١٩٦٣) •
١٢ـ التراث اليونانيّ في الحضارة الاسلامية ـ ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي دراسات لكبار المستشرقين •
١٣ـ من تاريخ الالحاد في الاسلام مكتبة النهضة (القاهرة ١٩٤٥م) •

بروكلمان ـ كارل :
١٤ـ تاريخ الشعوب الاسلامية (٥) اجزاء ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي دار العلم للملايين (بيروت ١٩٦٠ م) •
١٥ـ تاريخ الادب العربي (٣) اجزاء ترجمة عبدالحليم النجار مطبعة دار المعارف (القاهرة ١٩٦٢ م) •

بلبغ ـ عبدالحكيم :
١٦ـ أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري مكتبة النهضة (القاهرة ١٩٥٩ م) •

جب :

١٧ــ دراسات في حضارة الاسلام ترجمة احسان عباس وآخرين دار العلم للملايين (بيروت ١٩٦٤م) .

جمال الدين سرور :

١٨ــ الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ــ دار الثقافة العربية للطباعة (القاهرة ١٣٨٠/١٩٦٠) .

الجومرد ــ عبدالجبار :

١٩ــ الاصمعي دار الكشاف (بيروت ١٩٥٥م) .

٢٠ــ يزيد بن مزيد الشيباني دار الطليعة (بيروت ١٩٦١) .

حسن ابراهيم حسن :

٢١ــ تاريخ الاسلام السياسي (٣) اجزاء الطبعة الاولى (القاهرة ١٩٤٥) والطبعة السابعة (القاهرة ١٩٦٤ م) .

٢٢ــ النظم الاسلامية (ط ١) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٣٩م) .

٢٣ــ تاريخ الدولة الفاطمية (ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٤ م) .

٢٤ــ انتشار الاسلام في القارة الافريقية (ط ٢) القاهرة ١٩٦٤م .

٢٥ــ عبيدالله المهدي .

الدجيلي ــ عبدالصاحب :

٢٦ــ الشعوبية (ط٢) مطبعة القضاء (النجف ١٣٨٠/١٩٦٠) .

الدوري ــ عبدالعزيز :

٢٧ــ العصر العباسي الاول مطبعة التفيض الاهلية (بغداد ١٩٤٥م) .

٢٨ــ دراسات في العصور العباسية المتأخرة شركة الرابطة للطباعة والنشر (بغداد ١٩٤٥) .

٢٩ــ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٩ .

٣٠ــ النظم الاسلامية مطبعة نجيب (بغداد ١٩٥٠) .

٣١ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٩٦٠) •

٣٢ـ الجذور التاريخية للشعوبية منشورات دار الطليعة (بيروت ١٩٦٢) •

دينيث ـ دانيل :

٣٣ـ الجزية والاسلام ترجمة الدكتور فوزي فهيم جاد الله مراجعة احسان عباس منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ١٩٦٠) •

ديورانت ـ ول :

٣٤ـ قصة الحضارة الجزء الثاني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٥٠) •

عبدالعال محمد جابر :

٣٥ـ حركات الشيعة المتطرفين واثرهم في الحياة الاجتماعية والادبية مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٤) •

العلي ـ صالح احمد :

٣٦ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة مطبعة المعارف (بغداد ١٩٥٣) •

٣٧ـ محاضرات في تاريخ العرب (ط ٢) مطبعة المعارف (بغداد ١٩٥٩) •

٣٨ ـ المؤلفات العربية في المدينة والحجاز ـ مستل من المجلد الحادي عشر لمجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد ١٣٨٢/١٩٦٤) •

العقاد ـ عباس محمود :

٣٩ـ كتاب الله سلسلة كتاب الهلال (القاهرة بلا تاريخ) •

ابو ريده ـ محمد عبدالهادي :

٤٠ـ ابراهيم بن سيار النظام مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٤٦) •

زكي محمد حسن :

٤١ــ الفنون الايرانية مطبعة دار الكتب العربية (القاهرة ١٩٤٠) .

زيدان ــ جرجي :

٤٢ــ تاريخ التمدن الاسلامي (٥) اجزاء مراجعة حسين مؤنس مطبعة دار الهلال القاهرة .

الزهيري ــ محمود غناوي :

٤٣ــ نقائض جرير والفرزدق مطبعة دار المعرفة (بغداد ١٩٥٤) .

طه حسين :

٤٤ــ حديث الاربعاء مطبعة مصطفى البابى الحلبي (القاهرة ١٣٥٦/١٩٣٧).

فان فلوتن :

٤٥ــ السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم (ط١) مطبعة السعادة (القاهرة ١٩٣٤) .

الفكيكي ــ عبدالهادي :

٤٦ــ الشعوبية والقومية العربية مطبعة دار الكتب (بيروت ١٩٦١) .

فلهاوزن ــ يوليوس :

٤٧ــ الخوارج والشيعة ترجمة عبدالرحمن بدوي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٥٨) .

٤٨ــ الدولة العربية وسقوطها ترجمة يوسف العش مطبعة الجامعة السورية (دمشق ١٣٧٦/١٩٥٦) .

٤٩ــ الدولة العربية وسقوطها ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة ــ سلسلة الالف كتاب ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية .

الفياض ــ عبدالله :

٥٠ــ تاريخ البرامكة مطبعة الرشيد (بغداد ١٣٦٧/١٩٤٨) .

كرستنسن ـ ارثر :

٥١ـ ايران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٥٧) •

محمد عبده :

٥٢ـ رسالة التوحيد (الطبعة السابعة) مطبعة محمد علي صبيح (القاهرة ١٣٧٦/١٩٥٦) •

٥٣ـ الرد على الدهريين ـ تأليف جمال الدين الافغاني ـ ترجمة محمد عبده •

محمد كرد علي :

٥٤ـ رسائل البلغاء (ط٤) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٥٤) •

محمد نبيه حجاب :

٥٥ـ مظاهر الشعوبية في الادب العربي مطبعة الرسالة (القاهرة ١٣٨١/١٩٦١) •

٥٦ـ دائرة المعارف الاسلامية المجلدان العاشر والثالث عشر مطبعة الاعتماد القاهرة •

النشار : علي سامي

٥٧ـ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (القاهرة ١٩٦٢) •

عفيفي

٥٨ـ في التصوف الاسلامي •

٥٩ـ الملامتية والصوفية واهل الفتوة (القاهرة ١٩٤٥) •

شلتوت ـ محمود

٦٠ـ الاسلام عقيدة وشريعة •

رونلدسن :

٦١ـ عقيدة الشيعة (القاهرة ١٩٤٦) •

مصطفى عبدالرازق
٦٢ـ تمهيد لتاريخ الفلسفي الاسلامي (القاهرة ١٩٤٤) •
الريس ـ محمد ضياء الدين
٦٣ـ الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية (القاهرة ١٩٥٧) •
الحسني ـ هاشم
٦٤ـ الشيعة بين المعتزلة والاشاعرة •

ثالثا ـ المصادر الاجنبية :

(1) Browne, E.G., A Literary History of Persia, (Vol. I, Cambridge, 1929).

(2) Bukhsh, Islamic Civilization, (Calcutta, 1929).

(3) Goldziher, Ign: Mohammedanischen Studien, 2 Vols. (Halle, 1889)

(4) Hitti Philip, History of the Arabs, London 1937.

(5) Lewis, Bernard, The Origins of Ismailism, Cambridge, 1940).

(6) McDonald, Shu'ubiyya, Encyclopedia of Islam, Vol. 4.

(7) Nicholson, E.A., A Literary History of the Arabs, (Cambridge, 1930).

(8) O'Leary De Lacy, Arabic Thought and Its Place in History, (New York, 1936).

(9) Wellhausen, J., The Arab Kingdom and Its Fall, (Calcutta, 1927).

كتاب الزينة

في الكلمات الأسلامية العربيـــة

تأليف

الشيخ ابى حاتم احمد بن حمدان الرازى

القسم الثالث

تحقيق

الدكتور عبد الله سلوم السامرائى



الملحق



وقفة عند الكتاب ومؤلفه

ان الحديث عن ابي حاتم احمد بن حمدان الرازي صاحب كتاب الزينة سيكون حديثا مختصرا يتناول اسمه ، واصله ، ومذهبه حيث ان المؤرخين قد اختلفوا في هذه الامور اختلافات كثيرة ، ثم نقف وقفة ليست بالطويلة عند ثقافته ومؤلفاته ، ثم وقفة اخرى تتناول بالتوضيح كتاب الزينة وبخاصة القسم المتعلق بالمذاهب والفرق الذي كان محل اهتمامنا ، وقد حققناه ليكون دعما وسندا لكتابي هذا الذي هو الآخر يدور حول ظاهرة الغلو التي احتوت كثيرا من المذاهب والفرق •

لقد حقق الدكتور حسين الهمداني قسمين من كتاب الزينة كان القسم الاول منهما الذي يعتبر المقدمة التي وضعها المؤلف لكتاب الزينة يشتمل على معاني الاسماء واشتقاقات الالفاظ العربية الموجودة في القرآن ، وقد قسم هذه المقدمة الى جملة فصول في عناوين منها « فضل لغة العرب » ، « امة العرب تامة الحروف » ، « النقصان والزيادة في اللغات » ، « قوام العربية وبنيتها بالحساب » ، « قانون اللغة العربية » ، « بلاغة العربية »، « النحو والاعراب »، « معنى العروض » ، « الشعر ديوان العرب » ، « مزايا الشعر العربي قبل مبعث النبي » ، « الشعر والشعراء عند ظهور الاسلام » ، « تعلم اللغة والشعر الاول» ، «الاغاني القديمة بالفارسية» ، «الفرق بين الشعر والغناء» ، «الاسماء الاسلامية ومعانيها » ، « اسماء الله الحسنى » ، « اسماء الاشياء ومعانيها » ، « الاسماء الاعجمية في القرآن » ، « ظهور الاسماء على عهد النبي » ، « لسان ابراهيم السريانية » ، « تعلم اسماعيل العربية من اليمن » ، « اسماعيل اول من تكلم بالعربية » ، « لغة القرآن هي لغة قريش » ، « اليهودية والنصرانية والمجوسية في العرب » •

اما القسم الثاني الذي حققه الدكتور حسين الهمداني فيشمل اول ما

يشمل باب « ما جاء في : بسم الله الرحمن الرحيم » ويستمر في تعريف اسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم من ص ١ الى ص ١٣٧ ، ومن ص ١٣٨ الى نهاية الجزء الثاني حيث عالج مواضيع منها « القضاء » ، « الدنيا والاخرة » ، « القلم » ، « اللوح » « الكرسي » ، « العرش » ، « الملائكة » ، « الجن والانس » ، « الشيطان وصفاته » ، « ابليس » ، « الجنة وصفاتها » ، « النار وصفاتها » ، « السراط » ، « الاعراف والبرزخ » ، « الثواب » ، « العقاب والعقوبة » ، « الاثم والوزر » ، « القيامة » [١] .

وقد شمل تحقيقنا القسم الثالث من كتاب الزينة وهو المتعلق باصحاب الاهواء والمذاهب والذي اشتمل على معنى المذهب والفرقة ووضح الفرق الاسلامية والفرق التي تفرعت عنها من أهل الاهواء والنحل المختلفة وقد اعتمدنا على مخطوطة مديرية الآثار العامة العراقية وقد امتد هذا القسم في هذه المخطوطة بين الصفحات (١٩٤ ــ ٢٥٥) .

اســـمه :

لقد اختلف المؤرخون في تحديد اسمه ، فذهب الحافظ في كتابه « لسان الميزان » الى ان اسمه (ابو حاتم احمد بن حمدان بن احمد الورسامي الليثي) [٢] . ويتساءل الدكتور حسين الهمداني عن ماهية هاتين النسبتين « الورسامي والليثي » [٣] ومن تساؤله وعدم اجابته على هذا يبدو انالهمداني لم يجد تفسيرا لهاتين النسبتين .

ويرى القاضي عبدالجبار المعتزلي ان اسمه (ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي الكلائي) [٤] . ولم يوضح القاضي عبدالجبار المراد بالكلائي ، كما

---

(١) أنظر حسين الهمداني : كتاب الزينة في الجزئين اللذين حققهما .
(٢) الحافظ : لسان الميزان ج ١ ص ٥٢٣ .
(٣) أنظر حسين الهمداني : كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٦ .
(٤) حسين الهمداني : كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٨ نقلا عن مخطوط في مكتبة شهيد علي باشا باستانبول رقم ١٥٧٥ ورقة ١٥٠ .

وان الدكتور الهمداني لم يوضح المراد بهذه النسبة والذي يبدو لنا ان هذه النسبة الى قبيلة كلاء وهي قبيلة عربية من قبائل العرب الجنوبية •

اما الدكتور حسن ابراهيم حسن فيقول في اسمه (ويسميه الاسماعيلية سيدنا ابا حاتم عبدالرحمن الرازي الورسناني)[٥] ، وقد انفرد الدكتور حسن ابراهيم بهذه التسمية ولم يشر الى المصدر الذي اخذ منه والذي يبدو ان الدكتور حسن قد خلط بين ابي حاتم الرازي موضوع بحثنا وبين شخص آخر يدعى « عبدالرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس » الذي عاش معاصرا لحياة الرازي ولم يكن هناك صلة بين الاسمين الا ان كنيتهما واحدة [٦] •

وذهب مصطفى غالب في تحديد اسمه ولقبه فقال (هو ابو حاتم احمد بن حمدان الليثي الورسناني)[٧] فهو يقدم الليثي على الورسناني خلافا لما ذهب اليه الحافظ في « لسان الميزان » حيث قدم الورسامي على الليثي ، ولم يشر مصطفى غالب الى اصل الورسناني كما لم يوضح معنى النسبة الى الليثي •

والذي يمكن تقريره بخصوص اسمه انه « ابو حاتم احمد بن حمدان بن احمد الرازي » وهذا ما اتفق عليه اكثر من كتب عنه ، اما بقية الاضافات المتعلقة باسمه ونسبته فهي موضع نقاش تبقى موقوفة الى حين التوصل الى رأي نهائي فيها في ضوء معلومات اخرى اكثر شمولا واكثر صلة بهذه الشخصية •

أصـــله :

ان الاختلاف في اسمه ولقبه كان دليلا على اختلاف الباحثين في اصله ، ومما عقد تحديد وتعيين اصله ان ابا حاتم هذا كان (من اكبر الدعاة الـذين انجبتهم الدعوة الاسماعيلية)[٨] ، فكانت مهمته كداعية كبير ان يخفي كثيرا مما يتعلق بشخصيته سواء ما يتعلق باسمه او اصله او مذهبه ، كما وان هذه المهمة تتطلب منه ان يتنقل في اكثر من مكان ، لذلك فنحن نراه قد (ظهر •••

---

(٥) حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٤٥ •
(٦) أنظر كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٩ •
(٧) مصطفى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٩٧ •
(٨) المصدر السابق : ص ٩٧ ـ ٩٨ •

في بلاد المغرب وكان ممن استجاب لدعوة عبيدالله بن الحسين المهدي) [٩] •
ولم يستقر في المغرب طويلا اذ نراه ينتقل الى المشرق فقد (دخل ارض الديلم) [١٠] ، كما وانه اقام في بغداد فترة اتصل خلالها بأبي العباس ثعلب [١١] ، ولم يستقر في هذه الديار طويلا انما رحل الى بلاد ما وراء النهر ويبدو ان اقامته فيها كانت طويلة حيث انسحب عليه لقب هذه المدينة فعرف بالرازي ، والنسبة الى المدينة لا يمكن ان تحدد بشكل قاطع صلة الانسان بالمدينة اذ ان الانتساب الى المدن قد يحصل من انتماء الانسان الى مدينة ما وقد يقع نتيجة اقامة انسان فترة في هذه المدينة دون ان تكون له جذور ممتدة في سكانها •

وعليه فان تنقل ابي حاتم هذا وظهوره في المغرب والمشرق لا يمكن ان يقدم دليلا على انه من هذه المنطقة او تلك ومن هنا جاء امر التعقيد في اصله • فقد حاول البعض اعتباره فارسي الاصل نتيجة تمكنه من اللغة الفارسية• ويرد على هؤلاء الدكتور حسين الهمداني قائلا (واما ••• عن تمكنه في اللغة الفارسية ••• فهذا لا يدل على انه فارسي) [١٢] • وذهب البعض الى اعتباره عربيا من المغرب لانه قد ظهر في هذه المنطقة وليس بين ظهوره في المغرب وبين تعيين اصله من صلة •

والذي نرجحه بخصوص اصله ان ابا حاتم من اصل عربي ، ذلك ان حماسه للعربية وفضل العرب ولغتهم الذي يؤلف القسم الاول من كتابه « الزينة » وتأكيده « ان لغة العرب تامة الحروف » لا يمكن ان يأتي الا من انسان يتصل اصلا بهذه الامة ، كما وان ذهاب اكثر من مؤرخ الى لقبه (الليثي) [١٤] الذي يبدو انه نسبة الى قبيلة ليث العربية او لقبه الكلائي نسبة الى قبيلة كلاء العربية ايضا يشيران الى ان ابا حاتم يعود باصله الى أرومة عربية ، والى جانب هذا فان اهتمامات ابي حاتم اللغوية ومقارنته بين اللغة

---

(٩) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٨٠ •
(١٠) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ •
(١١) حسين الهمداني : كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٦ ــ ٢٧ •
(١٢) المصدر السابق : ص ٢٦
(١٣) المصدر السابق : ص ٢٧ •
(١٤) القلقشندي : قلائد الجمان ص ٤٩ •

العربية وغيرها من اللغات الاخرى في فترة كان النزاع بين العربية وخصومها عنيفا وهي الفترة التي عاش فيها ابو حاتم فان هذا الحماس منه وتفضيل لغة العرب على اللغات الاخرى يدل دلالة واضحة على انه يمتد في اصولـــه الى الامة العربية •

مذهبـــه :

لقد اختلف الباحثون في مذهبه مثلما اختلفوا في اصله وفي اسمه وكان الاختلاف في مذهبه اكثر تعقيدا واكثر تباعدا ، فقد حكـم عليه البغـدادي (بالزندقة وباعتناق مبادىء الثنوية والدهرية) (١٥) ، وحكم عليه آخـرون باحكام اخرى ، وكان هذا الاختلاف مرجعه المذهب الباطني الذي كان عليه ابو حاتم حيث انه كان اكبر داعية للاسماعيلية وهذا يحتم عليه اخفاء مذهبـه والظهور بمذاهب تتناسب ومصلحة الدعوة ولهذا نرى ان فريقا من الباحثين يرى فيه انه سني من أهل الحديث ويرى آخرون انه لم يكن على مذهب معين انما اشتهر بسعرفته فحكم عليه السيوطي بانه ابو حاتم اللغوي دون الحديث عن ماهية مذهبه وقال فيه مرتضى بن الداعي الحسني الرازي صاحب كتاب تبصرة العوام (ان ابا حاتم كان من الشافعية) كما ظن صاحب الروضـات (انه امامي جعفري) (١٦) •

لقد عمل ابو حاتم الرازي على اخفاء مذهبه والتظاهر بالمذهب الـذي يتناسب مع السلطة الحاكمة ، ولما كان مذهب الدولة العباسية في الفترة التـي عاش فيها الرازي هو مذهب اهل السنة والجماعة ، فاننا نجد صاحبنا الرازي يقول في اهل السنة والجماعة (الذين قد اجتمعوا على امام هاد جامع لهم وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه قال افترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية وسائرها هالكـة قيل يارسول الله ومن الفرقة الناجية قال اهل السنة والجماعة قيل فمن اهل السنة والجماعة قال : ما انا واصحابي عليه اليوم) (١٧) •

---

(١٥) أنظر البغدادي : الفـرق بين الفـرق ص ٢٦٧ وابن النـديم : الفهرست ص ٢٦٦ •

(١٦) الهمداني : كتاب الزينة ص ٢٢ •

(١٧) المخطوطة : ص ١٩٩ من كتاب الزينة •

ونتيجة لهذا التستر والتخفي لم يشر قسم من الباحثين الى ميول ابي حاتم ولم يحدد مذهبه ، وفي هذا يقول الهمداني ان عددا ممن كتب عن الرازي لم يذكر شيئا عن مذهبه امثال (البطليوسى وياقوت الحموي والعيني والبقاعي والسيوطي) [١٨] .

وعلى الرغم من هذا التستر فان المتأخرين من الكتاب اكدوا انه كان على المذهب الاسماعيلي ويعلق الهمداني بهذا الصدد فيقول (وعلى الرغم من انه حاول جاهدا اخفاء آرائه وميوله فقد كان من المتعذر عليه التزام المنهج اللغوي البحت والواقع ان الخلاف الديني كان قد تغلغل بين المسلمين منذ الصدر الاول لدرجة تعذر معها عدم تحيزه والكشف عن ميوله ومحاباته ... وكان ابو حاتم حذرا كل الحذر في معالجة موضوع الملل والنحل الاسلامية فقد سلك فيها مسلك اللغوي ... ومع ذلك فان فاطمية ابي حاتم كانت من الشهرة والذيوع بحيث لا تترك مجالا لمناقشتها ، كما ان ميوله للمذهب الفاطمي لا تخفى على من له المام بمبادىء هذه الدعوة) [١٩] .

ويؤكد پول كراوس اسماعيليته قائلا (وكان ابو حاتم من كبار دعاة الاسماعيلية واشتهر بدعوته الى المذهب الفاطمي ولعب دورا عظيما في الشؤون السياسية في طبرستان والديلم ولا سيما في اصفهان والري) [٢٠] .

ويؤكد القاضي عبدالجبار المعتزلي انه من الدعاة (ان ابا حاتم وغيره من الدعاة كانوا في حالة قلق واضطراب من جراء تصرفات ابى طاهر الجنابي القرمطي وتسليمه امر الدعوة الى زكريا الاصفهاني) [٢١] ، ان اشارة القاضي عبدالجبار الى انه من الدعاة وتكرار الاشارة بقوله « وتسليمه امر الدعوة » فان كلمة الدعوة في هذه المرحلة التي يتحدث عنها القاضي عبدالجبار يراد بها الدعوة الفاطمية .

ويقول عنه الدكتور حسن ابراهيم حسن (... وكان داعي الاسماعيلية

---

(١٨) الهمداني : كتاب الزينة القسم الاول ص ٢٢ .
(١٩) المصدر السابق : ص ٢٢ ــ ٢٣
(٢٠) بول كراوس : رسائل فلسفية ص ٢٩١ .
(٢١) الهمداني : كتاب الزينة ص ٢٧ نقلا عن مخطوطة من مكتبة شهيد علي باشا باستانبول رقم ١٥٧٥ ورقة ١٥٠ .

في بلاد الري [٢٢] ، ويؤكد مصطفى غالب ذلك فيقول (... من اكبر الدعاة الذين انجبتهم الدعوة الاسماعيلية) [٢٣] ، ويؤكد الدكتور حسين الهمداني فاطميته ولتأكيده هذا اهمية خاصة لانه هو الآخر فاطمي المذهب ويستطيع ان يتلمس ويقف على ميول من يدين بهذا المذهب بشكل دقيق اكثر من غيره فقد قال فيه « ان فاطمية ابي حاتم كانت من الشهرة والذيوع » واضاف بخصوص علاقته برئيس الدعوة الفاطمية قوله (واما المغرب حيث كان ابو حاتم بتوجه اليه بميوله الدينية والسياسية فكانت تسيطر عليه دولة اهل البيت برياسة المهدي عبيدالله بن الحسين الفاطمي ... وفي هذه الاحوال السياسية برز ابو حاتم) [٢٤] .

كما وان ابا حاتم نفسه قد كشف بشكل او بآخر عن ميوله ومذهبه الاسماعيلي في كتابه الزينة فقد جاء في الصفحة ٢٣٢ من المخطوطة عند حديثه عن الامامية ما يشير الى معارضته في ضوء عقيدته الاسماعيلية فقد جاء (... وكذلك جعفر بن محمد بقى خمسا وعشرين سنة ليس له ولد غير اسماعيل وعبدالله وانه دل على اسماعيل واشار اليه حتى قال بامامته خلق كثير في حياة جعفر ... وهو لا ينكر عليهم حتى قال قوم ان اسماعيل لم يمت في حياته وان جعفرا غيبه حذرا عليه ، وقال كيف يجوز هذا وقد قلدناه امره وامرنا بطاعته واحتجوا بان جعفر لم يكن يتزوج غير امهما باحد من النساء ولا تسرى بجارية) [٢٥] . ففي هذا النص جملة صريحة تؤكد مذهبه الاسماعيلي فقوله في ام اسماعيل (... لم يتزوج على ام اسماعيل ... اذ عرف الحجة في ولدها) [٢٦] وجاء في ذات الصفحة بشأن اسماعيل (وقد كان الله اعطى اسماعيل هذه المنزلة في حياة ابيه فلما حضرته الوفاة كان ابنه محمد احق بميراثه من اعمامه وهو اكبر سنا من اعمامه الا عبدالله ولا يكون هذا الامر في اخوين بعد الحسن والحسين لما رويت من الاخبار في ذلك قالوا ونظرنا في دعاوى

(٢٢) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٤٥ .
(٢٣) مصطفى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٩٧ ـ ٩٨ .
(٢٤) الهمداني : كتاب الزينة ص ٢٩ .
(٢٥) المخطوطة : ص ٢٣٢ .
(٢٦) المخطوطة : ص ٢٣٢ .

من ادعى لعبدالله ومحمد فرأينا عبدالله قد مضى ولا عقب له واما محمد فانه خرج بمكة وشهر بسيفه في الشهر الحرام وفي البلد الحرام الذي اجتمعت الامة على تحريم ذلك فلو تم امره لبطلت الدعاوى منهم من هذه الجهة مع انقراضهم وتلاشى امرهم واما من ادعى لموسى فاختلفوا فيه ايضا بعد موته وشكوا)[٢٧]، ان حديثه عن عبدالله ومحمد كما ذكرناه تأكيد على تشكيكه بامامة محمد حيث اعلن الحرب في الشهر الحرام وفي البلد الحرام وهذا خلاف لما تنص عليه الشريعة والتقاليد العربية والاسلامية مما يؤكد عدم اخذه بالتسلسل الامامي الاثنى عشرى لصالح مذهبه الاسماعيلي •

ويعود ابو حاتم ثانية مشككا في التسلسل الاثنى عشرى فيقول (••• ثم ان علي بن موسى ايضا مات وليس له ولد بالغ وانما كان له ابن واحد وهو محمد بن علي وهو ابن سبع سنين لا تجوز الامامة به ولا تحل الصلاة خلفه ولا تحل ذبيحته ولا تقبل شهادته ولا يؤتمن على ماله ولا يقام عليه حد ومع ذلك فاختلافهم في عقبه وانقراض نسل من ادعى له الامامة من ولده باتفاق من الامامية الا" دعاوى لاتصح ولا برهان عليها ولا بيّنة فيها)[٢٨] •

ان حديثه عن محمد بن علي بن موسى بهذا الشكل حيث لا يعترف بامامته لانه لم يبلغ السن القانوني التي تسمح له بهذه الامامة يمتد الى الامام الثاني عشر محمد بن الحسن المنتظر الذي تؤكد الروايات ان اباه قد توفي ولا زال صغيرا يتراوح عمره بين الخامسة او يزيد قليلا • كل هذه تؤكد ان ابا حاتم كان فاطمي المذهب •

ثقافته ومؤلفاته :

لقد أكد أكثر من مؤلف أن آبا حاتم الرازي كان داعية اسماعيليا وذهب بعضهم الى أنه من أكبر دعاة هذه الحركة ، وان مهمة الدعاة لهذه الفرقة تقتضى أن يلم الداعي بصنوف المعرفة الدينية واللغوية والفلسفية والتاريخية وأحوال الناس وميولهم وكيفية الاتصال بهم وكسبهم وضرورة معرفة أكثر من لغة

(٢٧) المخطوطة : ص ٢٣٢ •
(٢٨) المخطوطة : ص ٢٣٣ •

ليكون قادرا على التحدث وقادرا على اختيار المواقف المناسبة لكسب الانصار .

وقد أشار أكثر من مؤلف الى شهرة أبي حاتم العلمية ، فقال فيه الحافظ (ان أبا حاتم ... كان من أهل الفضل والادب والمعرفة باللغة وسمع الحديث كثيرا وله تصانيف)[٢٩] . وقد اشتهر في اللغة شهرة كبيرة حتى وصفه السيوطي (... بأبى حاتم اللغوي وقد أصبح كتاب الزينة عند السيوطي مرجعا للالفاظ الدخيلة في القرآن)[٣٠] وقد أشار الدكتور ابراهيم أنيس الى أهمية القسم المتعلق بألفاظ اللغة ومعانيها بقوله (... كتاب في البحث الدلالي اعتبر عمدة الباحثين في العصور التي جاءت بعده ورغم ان ما اشتمل عليه من ألفاظ اعدت للشرح والتفسير في حدود اربع مئة لفظ فان هذا الكتاب لاصالة بحثه وقدم عهده يعد خير مرجع لشرح هذه الالفاظ)[٣١] .

ولم تكن اللغة هي المجال الذي برز فيه ابو حاتم انما كان قد برز في مجالات المعرفة الاخرى ، وتنهض اسماء الكتب التيألفها دليلا على تفرع معرفته وعمقها ومن هذه المؤلفات (١ ـ كتاب اعلام النبوة ، ٢ ـ كتاب الاصلاح ، ٣ ـ كتاب الرجعة ، ٤ ـ كتاب الجامع ، ٥ ـ كتاب الزينة)[٣٢] .

ويعلق الدكتور حسين الهمداني على هذه الكتب قائلا (أما كتاب أعلام النبوة وكتاب الاصلاح وكتاب الزينة ... توجد مخطوطات هذه الكتب في مكتبتنا المحمدية الهمدانية وأما كتاب الرجعة فقد ذكره المؤلف في كتاب الزينة ولم نعثر عليه وكذلك كتاب الجامع فاننا لم نعثر عليه)[٣٣] .

ان هذه المؤلفات تشير عناوينها الى اهتمامات أبي حاتم الدينية والفلسفية وقد يكون هناك عدد آخر من مؤلفاته قد فقد في حومة النزاع المذهبي بين الفرق الاسلامية ولم نعثر عليها .

---

(٢٩) الحافظ : لسان الميزان ج١ / ص ٥٢٣ .
(٣٠) كتاب الزينة : ص ٢٣ .
(٣١) الهمداني : كتاب الزينة ص ٨ ـ ٩ مقدمة بقلم الدكتور ابراهيم أنيس .
(٣٢) المصدر السابق : ص ٣١ .
(٣٣) المصدر السابق : ص ٣١ .

ومما يشير الى سعة معرفته مناقشته الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي المتوفى عام ٣١١ هـ والتي برز فيها اسلوب أبي حاتم العلمي وامكانيتـه في الحجة ودحض حجج خصمه[٣٤] وقد فصّل في كتابه أعلام النبوة الحجج الاساسية في اثبات النبوة بشكل يدل على سعة وعمق معرفته ، ولاشـك أن موضوع النبوة يعتبر من أعقد المواضيع التي عالجها الفلاسفة فسقط من سقط منهم وضل من ضل الا" أن أبا حاتم كان قد خرج في كتابه هذا مـن الامتحان ناجحا ٠

ويعلق الكرماني على مناقشات أبي حاتم وكتابه اعلام النبوة هذا بقوله (ان ابا حاتم الرازي في مقدمة العلماء الذين يجب ان تقرأ كتبهم قبل النظـر في كتابه)[٣٥] ٠

كتـاب الزينـة :

يعتبر كتاب الزينة من أهم كتب ابي حاتم الرازي ، وقد اختلف الباحثون في عدد أوراق هذا الكتاب ، فقد ذكر ابن النديم (٠٠٠ وله كتاب الزينة كبير نحو أربع مائة ورقة)[٣٦] ، ويذهب مصطفى غالب الى رقم آخر فيقول (من أهم مؤلفات الرازي ويحتوي على ١٢٠٠ صفحة)[٣٧] ٠ وهناك فرق كبـير بين ما ذهب اليه ابن النديم وبين ما ذهب اليه مصطفى غالب ، والذي يبدو أن الكتاب يتراوح بين أربع مائة وقد يزيد وقد ينقص وذلك بحسب طريقة الكتابة وحسب خط الناسخ ٠

لقد أكد الكتّاب أهمية كتاب الزينة فقديما قال فيه ابن النديم (كتاب جامع فيه فقه وغير ذلك)[٣٨] ، ويعلق الدكتور ابراهيم أنيس على القسـم المتعلق باللغة والكلمات ومعانيها فيقول فيه (ان ما اشتمل عليـه من ألفـاظ اعدت للشرح والتفسير في حدود أربع مئة لفظ فان هذا الكتاب لاصالة بحثه

---

(٣٤) أنظر كتاب الزينة ص ٣٠ ٠
(٣٥) المصدر السابق : الهامش ص ٣٠ ٠
(٣٦) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٢ ٠
(٣٧) مصطفى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٩٧ ـ ٩٨ ٠
(٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٢ ٠

وقدم عهده يعد خير مرجع لشرح هذه الالفاظ)[٣٩] ، وقد أكد الدكتور حسين الهمداني ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم أنيس في أهمية هذا القسم بقوله (وهذا الاتجاه ••• في منهج اللغويين واضح كل الوضوح في معالجة مسألة الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية ••• جمع المؤلف في كتابه بعض الاسماء التي وردت في القرآن والالفاظ التي اصطلح عليها المسلمون وذكر معانيها ومدلولاتها الجاهلية والاسلامية ، واستشهد على ذلك بالشعر المعروف وأورد فيها ما روى عن علماء العربية وأهل التفسير في تفسير كل كلمة)[٤٠] •

أما القسم الثالث من كتاب الزينة فهو المتعلق بأصحاب الاهواء والمذاهب وقد شمل من المخطوطة التي اعتمدنا عليها وهي مخطوطة المتحف العراقي الصفحات (١٩٤ ـ ٢٥٥) وهذا القسم يعتبر من أهم أقسام المخطوطة وقد اشار الدكتور حسين الهمداني الى أهميته بقوله (ان هذا القسم من الكتاب من أقدم المصادر لموضوع المذاهب الاسلامية)[٤١] ، ويذهب السيد عباس الهمداني الى اعتبار ما جاء بهذا القسم من معلومات وآراء متعلقة بالفرق والمذاهب الاسلامية من أقدم الكتب التي كتبت في هذا الحقل ، كما انه يذهب الى اعتباره أقدم من كتاب فرق الشيعة للنوبختي فيقول (وينقل الكشي والطوسى في كتبهما عبارات للقمي وهذه العبارات لا تختلف عما جاء في كتاب فرق الشيعة للنوبختي • وقد أشار بروكلمان ••• ان هذه العبارات التي نقلها الكشي والطوسي من روايات القمي تدل على أن القمي والنوبختي كلاهما يستند الى « الاصل المشترك » • ونحن نرى ان هذا الاصل المشترك ما هو الا كتاب الزينة)[٤٢] •

ان وقفة ملية على هذا القسم المتعلق بالفرق الاسلامية مع مقارنته بكتب الفرق الاخرى تعطي الملاحظات والنتائج الآتية :

١ ـ قدم معلومات دقيقة وصادقة عن جميع الفرق الاسلامية التي كانت قد ظهرت في أيامه وقبل أيامه ، كما بيّن الفرق والمذاهب الاخرى التي

---

(٣٩) الهمداني : كتاب الزينة ـ المقدمة بقلم الدكتور ابراهيم انيس ص ٨ـ٩ •
(٤٠) المصدر السابق : ص ١٨ ـ ١٩ •
(٤١) المصدر السابق : ص ٢٣ •
(٤٢) المصدر السابق : ص ٢٣ ـ ٢٤ •

انشعبت عن تلك الفرق الاسلامية الاصلية وبيّن خصائصها والمبادىء الأساسية التي اعتمدتها •

٢ ـ لقد أكد بشكل دقيق كيف انشعبت هذه المذاهب والفرق والاهواء عن الفرق الاصلية ووضح الفروق الأساسية بين آراء ومذاهب هذه الفرق والاهواء عن الفرق الاسلامية •

٣ ـ قدم معلومات دقيقة عن كل فرقة ودعم هذه المعلومات بما كان لديه من معرفة واسعة في اللغة ساعدته في تفسير أساس كل فرقة وامتدادها اللغوي وصلتها بالقرآن والحديث وعلاقتها بالرسالة الاسلامية من جميع زوايا هذه العلاقة •

٤ ـ قدم معلومات دقيقة حول الفرق والمذاهب التي انشعبت عن الفرق الاصلية فهو في حديثه عن أهل السنة والجماعة يأتي بمعلومات يغني فيها القارىء عن الزيادة وكذلك الأمر بالنسبة للخوارج والشيعة وان كان بحثه في المعتزلة جاء مختصرا ، كما قدم معلومات عن الفرق التي تفرعت عن هذه الفرق بشكل واسع وشامل •

٥ ـ ان المعلومات الدقيقة التي قدمها عن الغلو والفرق الغالية تعتبر من أقدم المعلومات واصدقها واشملها فكان لمعنى الغلو وامتداده اللغوي وتفسير الآيات القرآنية بهذا الخصوص والاحاديث النبوية والتطبيقات العملية على الاشخاص والمواقف والفرق يدل دلالة أكيدة على طول باعه في هذا الميدان •

٦ ـ ان ما قدمه في موضوع التناسخ واقسامه يجعله من أقدم الباحثين الذين كتبوا في هذا المجال ، فهو بذلك أقدم من أبن سينا الذي كتب رسالته الاضحوية في أمر المعاد ، كما ان المعلومات الدقيقة التي قدمها ابو حاتم الرازي كانت الاساس للذين كتبوا من بعده في هذا الموضوع •

٧ ـ لقد حاول ابو حاتم الرازي أن يكون حياديا الى حد كبير في تقديمه المعلومات المتعلقة بالفرق الاسلامية وبالمذاهب والاهواء التي تفرعت عنها وكان حياده هذا و ـحا من اختلاف المفسرين لمذهبه فكل ذهب الى اعتباره من مذهب معين على اختلاف هذه الاحكام مما يشير الى

حياده هذا ، وقد حاول ان يستعين بخبرته اللغوية ومعرفته في هذا الحقل الى جانب معرفته بأحوال الفرق وأحوال أصحابها ان يقدم صورة تكاد تكون كاملة في المعلومات وفي عدم التعصب والانحياز الى هذه الفرقة أو تلك مما يؤلف مصدرا من أهم المصادر في معرفة ودراسة أحوال الفرق الاسلامية ٠

٨ ــ وبالرغم من حياده هذا لم ينس مهمته كواحد من كبار المذهب الاسماعيلي فحاول بشكل دقيق وباسلوب غاية في الدقة والبراعة كي يقدم لمذهبه الصور التي أرادها ودفع بشكل غير مباشر أكثر من رأي وصورة اسماعيلية في ثنايا كتابه هذا فكان أمينا على مهمته مخلصا لرسالته ، وقد عرض لهذه الصور الاسماعيلية بشكل خالص وصاف وحاول ان يقلم ويزيل كثيرا مما علق في الصور الاسماعيلية من شوائب وزوائد جاءتها عن القرامطة وعن الغلاة الذين دفعوا بها الى طريقها المغالي المضاد ٠ وقد توضح موقفه هذا في دعم المذهب الاسماعيلي في الصفحات (٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٦ و ٢٣٧) من المخطوطة التي اعتمدناها « مخطوطة المتحف العراقي » ٠

لقد شمل هذا القسم المواضيع الآتية :

معنى أصحاب الاهواء والمذاهب ، أصحاب البدع وقد قدم معلومات دقيقة في معنى البدعة وعلاقة أصحاب الاهواء والنحل في ذلك ، وتحدث عن معنى السنة والجماعة وقدم في هذا الباب معلومات دقيقة وشاملة بحيث ظن الكثير انه واحد من أهل السنة اذ جاء بجميع حججهم وجميع ما يدعم موقفهم من أحاديث وتفسيرات لها ٠

وتحدث عن معنى المناصب وربط بين المرجئة وبين المناصبة وقدم معلومات دقيقة وجديدة في معنى المرجئة وقد اعتبر المرجئة هم المخالفون والمناقضون للشيعة والذين رفضوا امامة الامام علي ٠ ويتبين من حديثه عنهم انه يحاول ان يحملهم مسؤولية هذه المناصبة ويعتبر موقفهم موقفا يبعدهم عن جانب من جوانب العقيدة الاسلامية ٠

وتحدث عن ألقاب الفرق في الاسلام فأشار الى معنى الشيعة وفصّل في

ذلك تفصيلا واسعا كما فصّل في معنى المرجئة واطنب في ذلك وتحدث عن أصحاب الحديث وفرقهم واعتبر فرقا من المشبهة من أهل الحديث والسنة خلافا لما ذهب اليه أصحاب الفرق أمثال البغدادي والشهرستاني وابن حزم والاشعري ، واعتبر الجهمية من أصحاب الرأي ضمن أهل السنة والجماعة ثم تحدث عن الرافضة وأصل هذه الكلمة وتطبيقاتها العملية ، كما تحدث عن معنى القدرية وعلاقاتها بالمعتزلة وتحدث باختصار عن حركة الاعتزال ، ثم تناول الخوارج واطلق عليهم اسم « المارقة » كما تحدث بتفصيل واسع عن اسماء هذه الفرقة وعن أشخاصها وعن كثير من آرائها ومواقفها بشكل يشير الى المامه من ناحية والى رغبته في تقديم صورة باهتة عنهم ، كما تحدث عن الفرق التي توزعت اليها حركة الخوارج الا انه لم يقدم جميع هذه الفرق انما ذكر الفرق الرئيسية منها .

وتحدث بشكل مفصل ودقيق عن ألقاب فرق الشيعة واستعرض بشكل شامل الفرق التي انشعبت عن فرق الشيعة ، فذكر منها : الناووسية والشمطية والفطحية والاسماعيلية ، وقد فصل فيها ، المباركية والخطابية والواقفة والممطورة والقطعية والطاحنية ، ثم وقف عند الفرق التي قالت بأمامة الحسن ، ثم استعرض بتفصيل فرقة الكيسانية والكربية والبيانية والهاشمية والحارثية والعباسية والرزامية والهريرية والراوندية .

ثم وقف عند الزيدية وقفة ليست بالقصيرة وأشار الى فرقها ومنها الجارودية والسرحوبيه كما تحدث عن فرقة العجلية والمغيرية .

ووقف وقفة دقيقة عند معنى الغلاة وقدم توضيحا لهذه الكلمة وتطبيقاتها ثم ذكر الفرق الغالية فاعتبر السبأية والمعمرية والعلبائية والعينية والميمية والمخمسة من الفرق الغالية ، ثم تكلم بدقة عن معنى التناسخ واصنافه وقدم في هذا المجال معلومات وافية ، ثم تحدث عن أصحاب الرجعة وأساس هذه العقيدة بشكل دقيق ومفصل .

من كل هذه المواضيع التي عالجها بالدقة والشمول الذي يراه القارىء لهذه المخطوطة ، يكون مصداقا لما ذهبنا اليه في أهمية القسم المتعلق بالمذاهب والفرق من كتاب الزينة ، كما يؤكد ما ذهب اليه الاستاذ عباس الهمداني من

ان هذا القسم يعتبر من أقدم ما كتب في موضوع الفرق الاسلامية وان من جاء بعده أو من عاصره قد أخذ من هذا الكتاب واستفاد منه .

لقد كان لكتاب الزينة الذي أصدره الدكتور حسين الهمداني الفضل الاول في تنبيهنا الى ما في كتاب الزينة الاصلي من معلومات حول الفرق والمذاهب الاسلامية ، ولما كان كتابي يتعلق بموضوع الفرق الغالية وجدت ان ما في كتاب الزينة من معلومات وآراء حول المذاهب والنحل والفرق الاسلامية يكون مادة جديدة الى جانب الكتاب ، حيث ان المعلومات التي ثبتها ابو حاتم الرازي تعتبر من أقدم وأوسع المعلومات في هذا الحقل ، ولما كان الدكتور الهمداني قد وقف عند القسم الاول والثاني من هذه المخطوطة فقد وجدت من المفيد الوقوف عند القسم الثالث وتحقيقه واخراجه لعلّ في ذلك خدمة للمعرفة ، ولعل في ذلك توضيحا للبحث الذي أتقدم به .

لقد أشار ابن النديم الى كتاب الزينة ، كما اشار غيره اليه ، وقد عمل الدكتور حسين الهمداني مشكورا على توضيح المخطوطات المختلفة لكتاب الزينة وأماكنها بشكل أعطى صورة دقيقة حول مناطق وجود هذه المخطوطات وما يتعلق بها من أوصاف ومن أشكال .

ومن هذه النسخ التي أشار الهمداني اليها (١ ـ نسخة محفوظة في المكتبة الهمدانية « بسورت الهند » ، كتبت بخطوط مختلفة من أصل يمني ... وهي تقع في ٣٩٥ صفحة وعدد الاسطر فيها يختلف باختلاف الخطوط ومتوسط الاسطر ٢٥ سطرا في الصفحة الواحدة ، ٢ ـ نسخة اخرى محفوظة بخزانة الامير ... عبد الله حكيم الدين بمدينة سورت الهند ... ويبدو ان هذه النسخة والنسخة السابقة استنسختا من أصل يمني مشترك ... ٣ ـ ونسخة محفوظة بمكتبة الامام يحيى المتوكل على الله بصنعاء اليمن تحت رقم ٦٣ آداب ... وهي تقع في مئة وخمس عشرة ورقة ، ٤ ـ نسخة محفوظة بمكتبة الجامع الكبير المقدس بصنعاء تحت رقم ٤٥ لغة ، وتوجد منها بدار الكتب المصرية نسخة مصوّرة تحت رقم ٣٣٣٦ ج وهي ناقصة من أولها ومن آخرها ، ٥ ـ نسخة محفوظة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء

تحت رقم ٤٦ لغة ، وبدار الكتب المصرية نسخة مصورة منها تحت رقم ٤٣٣٧ ج ٦ ، ٦ ـ نسخة محفوظة بالمتحف العراقي ببغداد تحت رقم ١٣٠٦ ، وتوجد بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية نسخة منها مصورة على الشريط المصغر « الميكرو فيلم » كبّرت منها نسخة لمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦٤٠١. وهذه النسخة ناقصة من أولها ومن آخرها)[٤٣] .

ولقد اعتمدت نسخة المتحف العراقي وهي مكتوبة بخط واضح حينا وغير واضح أحيانا ، وتقع هذه النسخة في أربع مئة وخمس وثمانين صفحة ناقصة من أولها ومن آخرها ، وقد كان معدل الاسطر في الصفحة الواحدة يتراوح بين ٢١ الى ٢٢ ، ويبدو انها مكتوبة بخط يعود الى خطوط القرن السادس الهجري ، وقد استعنت في تفسير وتوضيح بعض الكلمات الغير الواضحة بنسخة دار الكتب المصرية .

وقد بذلت جهدا خاصا في القضايا المتعلقة بالفرق والمذاهب ، أما ما كان متعلقا بالاشعار والكلمات التي ليست لها علاقة بموضوع الفرق فقد كان اهتمامي بها اهتماما قليلا حيث ان كتابي والمخطوطة متعلقان بموضوع الفرق أكثر من المواضيع الاخرى ، فرأيت الاهتمام بهذا الجانب أكثر من بقية الجوانب .

---

(٤٣) أنظر كتاب الزينة : القسم الاول ص ٣٣ ـ ٣٦ .

نص المخطوط



أصحاب الأهواء والمذاهب

قال أبو عبيد في قول الله عزّ وجل « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل »[٤٤] قال يروى عن الشعبي قال (مـا)[٤٥] ذكر الله هوى في القرآن الا ّ ذمّه • يعني مثل قوله «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله[٤٦]» وقوله « واتبع هواه وكان أمره فرطا » [٤٧] ••• ومثله كثير في القرآن ، ولم نجد الهوى يوضع الا ّ موضع الشر ، ليس هو بهذا الخير ، انما يقال في الخير بأنه الارادة والنية ، وفي الشر بالهوى ••• وذلك بيّن في غير حديث •

وروى باسناد له عن ميمون بن مهران قال « اياكم وكل هوى يسمّى بغير الاسلام » وفي حديث آخر قال : قال رجل لابن عباس : « الحمد لله الذي جعل هواي على هواك » • قال ابن عباس : كل هوى ضلالة •

وعن أبي ولابة قال : ما وجدت مثل الأهواء الا ّ مثل النفاق ، فان الله عزّ وجل ذكر النفاق بقول مختلف الا ّ ان جماع ذلك ضلال •

وقال بعض العلماء : الهوى اله معبود ، وذكر الآية « أرأيت من اتخذ إلاهه هواه »[٤٨] وكل من عبد غير الله فقد عبد هواه ، لأن عبادته لا تغني عنه شيئا • ويقال لأن عبادته تهوى به في جهنم •

وقال آخر : أصحاب الاهواء سمّوا بذلك لان الأهواء تهوى بهم في جهنم • وانما قيل له هوى ، لأن صاحبه يجيل فكره فيه ولا يستقر على شيء

---

(٤٤) الآية ٧٧ من سورة المائدة •

(٤٥) في الاصل بياض وسياق الكلام يدل على أن الكلمة هي « ما » •

(٤٦) الآية ٥٠ من سورة القصص •

(٤٧) الآية ٢٨ من سورة الكهف •

(٤٨) الآية ٤٣ من سورة الفرقان •

ولا يعتمد على أصل ثابت ،فهو يتقلد أبدا لانه لم يجد الحق ، فاذا وجد الحق وطريق النجاة استقر وثبت عليه فلا يهوى .

وروى عن محمد بن علي[٤٩] عليه السلام انه قال « ان النفس لا تـزال تتردد بين الحلق والتراقي حتى تجد الحق ، فاذا وجـدت الحـق اطمـأنت وسكنت » فهكذا سبيل أصحاب الأهواء لايزالون يتنقلون من فرقة الى فرقة لا يستقرون ، فهم يهوون أبدا لا يستقرون على شيء ... فقيل : هو صاحب هوى ، أي : صاحب لاشيء .

والهواء ، في كلام العرب ، هو لاشيء . قال الله عزّ وجل « وأفئدتهـم هواء[٥٠] » .. أي : لا تعي شيئا . قال زهير :

كأنّ الرّحل منها فوق صعـل[٥١] من الظّلمان جؤجؤه[٥٢] هـواء[٥٣]

ولذلك يقال : هوى الرجل المرأة يهواها .. لأن قلبه يهوى أبدا لا يستقر الاّ عليها ، فاذا وجدها وتمكن منها سكن واطمأن . قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبـا فارغـا فتمـكنا

يعني انه لم يعرف حبا قبل أن يعلّق قلبه بحبها ، فكان يهوى أبدا ثـم استقر على محبتها . ولم يزل لأنه لم يهو غيرها ، فكان يجول في هواه الأول .

والهوى ، في الدين ، مقصور .. والهواء الذي بين السـماء والأرض ممدود .

قال الله عزّ وجل : « واتبعوا أهواءهم » [٥٤] .. وهما جميعا مشتقان من معنى واحد ، ففرّق بينهما بالمدّ ليدل كل اسم على معناه .

---

(٤٩) هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية .
(٥٠) آية ٤٣ سورة ابراهيم .
(٥١) صعل : الدقيق الراس من النعام (المنجد ، مادة : صعل) المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٤
(٥٢) الجؤجؤ : الصدر من السفينة والطير (المنجد مادة جأجأ) .
(٥٣) ديوانه : دار الكتب ١٩٤٤م .
(٥٤) الآية ١٤ من سورة محمد .

والهوى ضد الرأي ، لأن صاحب الهوى لا رأي له • وكل من عمل عملا بلا مشورة قيل : يعمل بهواه لا يعتمد على رأي غيره ومشورته •• فاذا قلت في الدين فان الهوى ضد السنّة وانه اتبع هواه ولم يعتمد على سنّة تقدمت من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ولا استقر على أصل ثابت فهو يهوى في الضلالات ويتردد في الشبهات لا يحصل على شيء ولا ينتفع بعمل ، وتكون عاقبة أمره أن يهوى في النار •

وأما أهل المذاهب ، فواحد المذاهب مذهب ، وهو مشتق من ذهب يذهب اذا أخذ في وجه من الوجوه ، وذهب فيه • والمذهب : الوجه الذي تأخذ فيه وتمضي وتتجنب سواه • قال علقمة :

ذهبت من الهجران في غير مذهب(٥٥)
ولم يك حقا كل هذا التجنب

وقال آخر :

قال الغواني ما ذهبت مذهبا
وعبنني ولم أكن معيّبا

فمن اختار بهواه شيئا وشذّ عن الجماعة فقد أخذ في مذهب •

والمذاهب : الفرق ، والمذهب مذموم ، والفرقة مذمومة ، ولا يجوز أن يقال اني على مذهب كذا ، وأنا من فرقة كذا الا على المجاز • يقال أنا على مذهب الحق ومن فرقة الحق ••• لأن الحق يجمع المذاهب والفرق كلّها ••• فصاحب الحق ثابت على الجماعة ، لم يأخذ برأيه في مذهب ولم يختر فرقة ولكنه ثبت على الجماعة •

أصحاب البدع

البدع ابتداء احداث ما لم يكن له من قبل ذكر ، ولا جرت به سنّة • وأبدع الشيء اذا أحدثه من غير مثال تقدّمه ، ومنه بديع السموات

(٥٥) ديوانه •

والارض[٥٦] ... معناه : مبدعهما . هو فعيل بمعنى مفعل وفي معنى فاعل ، لأنه عزّ وجل أبدع الخلق من غير مثال سبقه أو تقدمه .. فكذلك من أبدع شيئا لم يتقدمه فيه امام فهو مبدع ومبتدع . قال الله عز وجل « قل ما كنت بدعا من الرسل »[٥٧] ... يعني : لست اول من بعثه الله من الانبياء ، قد خلت من قبلي انبياء ورسل . تصديقه قول الله عز وجل « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل[٥٨] » . قال الله عز وجل « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم»[٥٩] أي : لم تجر بها من الله سنة ولا توقيت ، بل ابتدعوها من عند انفسهم .

وتقدير البدعة من الفعل : الفعلة ... مثل الركبة والجلسة والجهة ، التي منها يركب ومنها يجلس . ويقال : جاءنا من بديع ، وأتانا بالبدائع ... اذا جاءنا من محدث عجيب لم يعرف قبل ذلك . قال الشاعر :

غوى أشعثي يبتغي فيك بدعة

سقى الله من اصحاب تلك البدائع

يعني : عبدالرحمن بن محمد الاشعث ، وكان خرج على الحجاج . والبدعة كل محدثة . وقال آخر :

ما زال طعن الاعادي والوشاة بنا

والطعن امر من الواشين لابدع

وقال القطامي :[٦٠]

اذن لهلكت لو كانت صغارا

من الاخلاق تبتدع ابتداعا

---

(٥٦) الآية ١١٧ من سورة البقرة .

(٥٧) الآية ٩ من سورة الاحقاف .

(٥٨) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران .

(٥٩) الآية ٢٧ من سورة الحديد .

(٦٠) ديوانه ٣٧ طبع بيروت ١٩٦٠ بتحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب .

تبدع : تستحدث . يقال : سقاء بديع اذا كان جديدا . والبدعة ، في الدين ، كل محدث يحدث بعد رسول الله صلى الله عليه مما ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله .. وانما قيل لها بدعة لانه ليس لها مثال من الرسول ولا سيرته ، فهو مخترع مبتدع مبتدأ به . يقال : ابدع الرجل بدعة ، وابتدع فهو مبدع ومبتدع . وقوم مبدعون ومبتدعون ... والابداع المصدر، والبدعة الاسم لما ابدع من الدين وغيره . والبدعة ضد السنة لان السنة ما تقدم به امام .

قال الشاعر :

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها

فكل امر من امور الدين تقدمت به سنة وامام ومثال يقال له سنة ، وما احدثه الناس من غير امام ولا مثال بعد رسول الله صلى عليه فهو بدعة . وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله « كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ، وفي حديث علي عليه السلام ان رجلا قال له : يا أمير المؤمنين ! .. اخبرنا عن البدعة والسنة ، فقال : السنة ما سن رسول الله صلى الله عليه ، والبدعة ما احدث من بعده . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أدنى الشرك ان يبتدع الرجل رأيا فيحب عليه ويبغض » وقال « من رد على صاحب بدعة بدعته فهو في سبيل الله » وقال « ان عند كل بدعة تكون بعدي يكايدها الايمان ، ولنا من أهل بيتي موكلا يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق ، وبنوره يذب كيد الكائدين » يعبر عن الضعفاء ، فاعتبروا يا أولي الألباب وتوكلوا على الله ، فالمبتدع في الدين ضال هالك استوجب اسم الشرك لقول رسول الله صلى الله عليه « ادنى الشرك ان يبتدع الرجل رأيا فيحب عليه ويبغض » ولانه ضاد الله في فعله وتحلى بصفته ، والله عز وجل مبدع ... لانه ابدع الخلق بغير مثال ، فمن ابتدع في الدين امرا من غير مثال فقد ضاد الله وناوأه وضل عن سنة رسول الله صلى الله عليه لتركه سنته وابتداعه البدعة واحداثه ما لم ينطق به كتاب ولا جرت به سنة ، فهو مشرك ، ضال ، هالك في النار .

معنى السنّة والجماعة

الجماعة : مأخوذ من الاجتماع والمجامعة على أمر واحد ورأي واحد وشكل للسنة وقرين لها • يقال : فلان من أهل السنة والجماعة اذا كان متمسكا بسنة رسول الله صلى الله عليه تاركا لما ابتدعه المبتدعون بعده ثابتا مع اهل الجماعة الذين اجتمعوا على امام هاد جامع لهم •

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه قال « افترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية وسائرها هالكة » • قيل : يارسول الله ومن الفرقة الناجية ؟ • قال : اهل السنة والجماعة • قيل : فمن اهل السنة والجماعة ؟ • قال : ما انا واصحابي عليه اليوم •

وضد الجماعة : الفرقة ••• لان الجماعة نعت لقوم مجتمعين على امام واحد لا يتفرقون عن امره ولا يختلفون عليه في رأيه متمسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه •

وأهل الفرقة متفرقون في اهواء شتى وآراء مختلفة متبددون متلاعنون يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا • والفرقة نعت لهم • وفي حديث علي صلوات الله عليه ان رجلا سأله ، فقال : اخبرنا عن أهل الجماعة ، ومن اهل الفرقة ، ومن اهل السنة ، ومن اهل البدعة ؟ • قال : اما اهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني وان كثروا ، واما اهل البدعة فالمخالفون لامر الله عز وجل وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه ، العاملون بآرائهم واهوائهم وان كثروا ، واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وان قلوا •

وقال بعض العلماء : لا تكون الجماعة الا بجامع موفق مسدد بتأييد من الله عز وجل ونصر منه وخلافة من رسول الله صلى الله عليه ، وان لم يكن له من الله عز وجل نصر وتأييد ومن رسوله خلافة فهو رأس الفتنة لمن اتبعه من اهل الفرقة والبدعة والاختلاف ••• لان الله عز وجل قال « واعتصموا بحبل الله

جميعا (٦١) » فحبل الله أمانه وعهده وكتابه . قال النبي صلى الله عليه وسلم « كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض طرف منه بيد الله وطرف منه بايديكم » فالحبل : العهد والامان . قال الله عز وجل « الا بحبـل من الله وحبل من الناس (٦٢) » قال المفسرون : عهد من الله وعهد من المؤمنين . واهل الفرقة والاختلاف خارجون عن الجماعة والسنة وان كثروا لانهم لم يجتمعوا على مؤلف جامع مؤيد من الله ، فقولهم باطل وعملهم ضائع وامرهم منتشر . واهل السنة والجماعة مجتمعون على امام واحد مؤيد جامع لامورهم ... فهم على نظام واحد متسقون ، متصلون ، متآخون في الله . لان الا[illegible] لهم بمنزلة النظام الذي قد نظمهم ، والامام في كلام العرب : النظام ، والمثال الذي يؤلف بين المختلفين ويجمع شمل المتفرقين ، وهو لهم مثال وقدوة . قال لبيد (٦٣) :

وكنت امامنا ولنا نظامـا وكان الجزع يحفظ بالنظـام

فكما يحفظ النظام الخرز والجزع ان ينتثر ، فكذلك الامام يحفظ اهل الجماعة ويضمهم على سنة رسول الله صلى الله عليه من ان ينتثروا ويتبددوا ويتفرقوا لا يستغنون عنه طرفه عين والا تفرقوا والاضاعوا وهلكوا وتفرقوا تفرق الجزع والجواهر اذا انقطع نظامها . وقد وصف الله اهل الجماعة فـي كتابه انهم مؤتلفون مجتمعون على كلمة واحدة قد الّف بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم . فهذا في اصحاب رسول الله صلى الله عليه الذين قال فيهم انهم اهل السنة والجماعة حيث يقول : ما انا واصحابي عليه اليوم . واما اهل الفرقة فهم اضداد لاهل الجماعة فهم وان اجتمعوا بابدانهم فانهم متفرقون بآرائهم . متبددون في مذاهبهم واهوائهم ... وبهذا وصفهم الله عز وجل ، فقـال « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » (٦٤) فهذا في من خالف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله .. فلما جرت السنة من هذه في اهل الجماعة الذين ثبتوا على الجماعة وتمسكوا بالسنة فكذلك جرت السنة في من كان مخالفا لاهل الجماعة

---

(٦١) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .
(٦٢) الآية ١١٢ من سورة آل عمران .
(٦٣) ديوانه بشرح احسان عباس ص ٢٠٩ طبع وزارة الارشاد في الكويت ١٩٦٢م .
(٦٤) الآية ١٤ من سورة الحشر .

والسنة ، فانهم وان كانوا في ظاهر امرهم مجتمعين على امر واحد فانهم متباينون متباغضون متشتتون يتبرأ بعضهم من بعض ويكفر بعضهم بعضا لانهم يتأولون الكتاب بآرائهم ويقيسون الدين بمذاهبهم ، فمن استحسن رأيا اخذ به ، لا يرجعون الى امام مؤيد ، ولا يفزعون الى عالم موفق ، بل اعتمدوا على عقولهم، وعولوا على اختياراتهم ، فان اصابوا خافوا ان يكونوا قد اخطأوا ، وان اخطأوا ظنوا انهم قد اصابوا ... كما وصفهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لم يلجأوا الى حصن منيع فيمتنعوا ، ولم يأووا الى ركن وثيق فيحترزوا ، ولا قائد لهم فيهديهم ، ولا هادي لهم فيرشدهم ... فهم سدى مهملون كأنهم لم يسمعوا قول الله عز وجل حيث يقول « ايحسب الانسان ان يترك سدى » [٦٥] ولا قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله حيث يقول « من مات ولا يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ، نعوذ بالله ممن هذه حاله ، فهذه صفة اهل القرية الذين لا راعي لهم ، ولا امام عليهم . واما اهل الجماعة فقلوبهم مؤتلفة وآراؤهم مجتمعة ... قد تمسكوا بامام مؤيد مسدد مطهر يرجعون اليه فيما يلتبس عليهم من امر دينهم فيخرجهم من ظلم العمايات ، ويزيل عنهم الشكوك والشبهات عاملا بكتاب الله آخذا بسنة رسول الله صلى الله عليه .. بنوره يستضيؤون ومن علمه يقتبسون وبه يقتدون ، يعيشون علماء ، ويموتون هادين مؤمنين ، ابصروا نور الهدى فاهتدوا ، وعرفوا الضلال فنجوا ، يعرفون في دنياهم بهاديهم ، ويدعون في الآخرة بامامهم ، فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ، ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ، لو انصفوا لنجوا ولو تركوا العناد لاستراحوا ، ولو تدبروا لعلموا ان الناس لا يصلحون بلا هاد ولا يستقيمون بلا امام ولا قائد الا من اهتدى وعرف الطريق فهدى ، ولا امام الا لمن علم به وائتم به المسترشد فسلم ، وقد قال الأفوه [٦٦] :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

---

(٦٥) الآية ٣٦ من سورة القيامة .

(٦٦) هو الأفوه الأودي : أنظر : ديوان الافوه ص ١٠ بتحقيق عبدالعزيز الميمني القاهرة ١٩٣٧ .

ومن تبع الاهمال هو اعذر ممن يأتم بالجهال ... بل هما جميعا ملومان، والمعذور من وجد الامام العادل فاهتدى ، وتعلم فوعى ، وتعلق بحجزة هـاد فنجا ... فان الارض لا تخلو من امام عالم حجة لله على خلقه : كلما مضـى سلف قام مقامه خلف ، هم الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الجاهلـين وتأويل الغالين وانتحال المبطلين » ، وهم الذين وصفهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه حيث يقول : « لا تخلو الارض من قائم بحجة : اما ظاهر ناطق واما خائف مغمور لكي لا تبطل حجج الله وبيناته ، فهم ائمة الهدى ومصابيح الدجى » ، وهم كما قال الاول :

كواكب دجن (٦٧) كلما انقـض كـوكب
بدا ــ وانجلت عنه الدجنـة ــ كـوكب

وكما قال الآخر :

اذا مقـرم منـا ذرا حـد نابـه
تخمـط فينـا نـاب آخـر مقـرم(٦٨)

واما الجماعة التي تدعيها العامة من الناس فأصل ذلك اجتماعهم علـى أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وعلى آله ، ثم على عمر ، ثم على عثمان ، ثم على علي ... فقيل لهم : اهل الجماعة . وكان هذا الاسم لان مآلهم بعدخروج علي عليه السلام واصحاب الجمل واهل الشام حتى قتل علي عليه السلام ، فلما قتل وكثرت الفتن بخروج الحسن ، ثم بخروج الحسين ، ثم بعد ذلك ايام ابن الزبير والخوارج ... كان السواد الاعظم وعامة الناس مجتمعين على بني امية ايام معاوية ، وبعده على ولده ، ثم بعد ذلك على بني مروان ... فادعـت العوام من التابعين هذا الاسم ،وقالوا نحن اهل الجماعة .. من خالفنا فقـد شق العصا ، وخالف الامة ، وترك السنة . ونحن اهل السنة والجماعة ، يعنون انهم مجتمعون على امام واحد مع اختلافهم في المذاهب والآراء ، وابتداعهـم الاهواء الكثيرة ، واقامتهم على التنازع والتشاجر بينهم في الاحكام والفرائض،

---

(٦٧) دجن : بمعنى الظلام .
(٦٨) مقرم : المقرم هو الكبير العظيم .

وتكفير بعضهم لبعض ، وتبرؤ بعضهم من بعض ... يعنون بذلك اجتماعهم على ولاية من وليهم من الولاة برا كان ام فاجرا ، ومعاونتهم من غلب وقام بالامر من غير معنى اجتماع على دين ، بل معناهم التفرق في المذاهب،والابتداع في الاهواء ... الا ان الاكثر والاغلب الذين يقال لهم السواد الاعظم فرقتان يقال لهما : اصحاب الحديث ، واصحاب الرأي ثم لهم ـ بعد ذلك ـ ألقاب كثيرة لكثرة آرائهم قد لقبوها بعضهم بعضا ، ونسبوا الى رؤسائهم . ونحن نذكر ألقابهم ، بعد ذلك ، ان شاء الله .

معنى المناصب

يقال : مناصب وناصب ، واكثر ما يلزم هذا اللقب المرجئة الذين يبغضون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقال لهم : هؤلاء مناصبون ونواصب ، ورجل مناصب ، ورجل ناصب . وهو مشتق من « نصب ينصب » . فاما المناصب فهو المفاعل ؛ والمفاعلة لا تكون الا بين اثنين . ويقال ان رسول الله صلى الله عليه نصب عليا واشار اليه ، وامر الناس بموالاته يوم غدير خمّ . كما روى في الحديث انه حين انصرف من حجة الوداع ، وترك الجحفة على الغدير ... جمع اليه اصحابه ثم مال الى جنب دوحة ، فخطب الناس وقال « ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم » قالوا : اللهم .. نعم . فأخذ بيد علي ، فرفعها ، وأقامه للناس ، ثم قال « من كنت مولاه فعلي مولاه ... اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ... اللهم ، اني قد بلّغت » .

وروت الشيعة عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه قال « ان الله اوحى الى نبيه صلى الله عليه ، وامره ان ينصب لهم عليا اماما يقتدون به من بعده . فخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول الناس انه جاء بابن عمه ، فأوحى الله اليه تبارك وتعالى : « يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس » [٦٩] . فقام يوم الغدير ، فنصب

---

(٦٩) الآية ٦٧ من سورة المائدة .

لهم عليًا ، وذكر الحديث . قال، فانزل الله : «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » [٧٠] قال «فطاعة علي آخر فريضة نزلت من فرائض الاسلام ، وبها أتم الله النعمة وأكمل بها الاسلام » .

ورووا في ذلك اخبارا كثيرة ، وقال فيه [٧١] شعراؤهم .

وقال السيد [٧٢] بن محمد في ذلك :

ثـم أتتـه بعد ذا عزمـة [٧٣]
من ربـه ليـس لهـا مدفـع
فقـام في النـاس النبي الـذي
كـان بمـا قيـل لـه يصـدع
مقـام مأمـون وفـي كفّـه
كـفّ علـيّ لهـم يلمـع
كفّ لـه أكـرم بكفّ الـذي
يرفـع والـكفّ الـذي يرفـع
من كنت مـولاه فهـذا لـه
مولى فلم يرضوا ولـم يقنعـوا

وقال في ذلك أيضا :

وبخمّ إذ قال الامـين بعـزمه :
قم يا محمد بالولايـة فاخـطب
وانصب أبا حسن لقومك انـه
هاد ومـا بلّغت ان لم تنصـب
فدعاه ثـم دعاهـم فأقامـه
فيهم فبين مصـدّق ومكـذب
جعـل الـولاية بعـده لمهـذب
ما كـان يجعلها لغـير مهـذب

---

(٧٠) الآية ٣ من سورة المائدة .
(٧١) في الاصل : وقال فيهم ـ والصحيح من السياق « وقال فيه » .
(٧٢) السيد بن محمد : هو السيد الحميري .
(٧٣) في الاصل : حتى اذا اتته عزمة تتله . والصحيح ثم أتته بعد ذا عزمة .

والحديث مشهور قد رواه الخاصة والعامة ، وروت الشيعة في قراءتهم ان جعفر بن محمد رضي الله عنه قرأ الآية في « ألم نشرح » : فاذا فرغت فانصب . بكسر الصاد ، وقالوا : اذا فرغت من اكمال الشريعة فانصب لهم عليا اماما . واما القراءة المشهورة التي عليها الامة « فانصب » بفتح الصاد ، وفسروها : اذا فرغت من الصلاة فانتصب للدعاء . فقالت الشيعة : لما امر الله عزوجل بذلك نصب النبي صلى الله عليه عليا واشار اليه وأهله للامامة، وقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ، فمن نازعه في الامامة ، ودعا الى مخالفته ، ونصب اماما بازائه غيره فقد ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله لانه نصب عليا ، وهذا نصب غيره وخذل عليا وعاداه وترك نصرته ، وصار مع عدوه حربا عليه ، فهو له مناصب .. لانه ناصب النبي صلى الله عليه ، ففعل مثل فعله .

ونصبت الشيء معناه : اقمته ورفعته ودعوت اليه ، ومنه اشتق النصب الذي كان ينصب في الجاهلية ، لانه كان يرفع ويقام ويدعى اليه .

والمناصب المفاعل في غير هذا الموضع ، فاما الناصب فهو ايضا قريب المعنى من ذلك ... ان هذا ينصب غير محاك فعل غيره ولكنه لما لم يجد اماما يقتدي به نصب اماما اختاره برأيه من غير ان تقدمت به سنّة او جرت فيه من امام عدل اشارة .. بل نصبه اماما اختاره واطاعه بهواه .

ويقال : نصب ، فهو ناصب ، وتكون المناصبة في العداوة ايضا . يقال : ناصبه في العداوة ، ونصب له العداوة .. لان احدهما ينتصب لصاحبه بالخصومة والمنازعة يقال : نصب لي فلان نفسه اذا برز لي (٧٤) وانتصب لخصومتي (٧٥) . واصوله مأخوذة ايضا مما تقدم ذكره من امر النصب . وقال الكميت :

واحمل احقاد الاقارب فيكم ... وينصب لي في الابعدين وانصب

وقال ايضا في هذا المعنى :

فيهم كنت للبعيد ابن عم ... واتهمت القريب ايّ اتهام
وتناولت من تناول بالغيـ ... ـبة اعراضهم وقلّ احتشامي

(٧٤) في الاصل اذا برز له : والسياق اذا برز لي .
(٧٥) في الاصل : وانتصب لخصومته والسياق : وانتصب لخصومتي .

ذكر ألقاب الفرق في الاسلام

اما الالقاب القديمة التي ذكرت على عهد رسول الله صلى الله عليه «و»[٧٦] جاءت «فيها»[٧٧] الاخبار عن النبي صلى الله عليه وعن الصحابة والتابعين فخمسة ألقاب هي : الشيعة والمرجئة والرافضة والقدرية والمارقة ... فهذه خمسة قديمة جاءت فيها الاخبار ، وسائر الالقاب حدثت من بعد ، وهي كلها ألقاب فرق انشعبت من هذه الفرق الخمس ومرجعها الى هذه الفرق . اولها الشيعة .

معنى الشيعة

يقال ان الشيعة لقب لقوم كانوا قد ألفوا امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفوا به مثل سلمان الفارسي و « أبي » [٧٨] ذر الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وغيرهم ... كان يقال لهم شيعة علي واصحاب علي ، وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه « اشتاقت الجنة الى اربعة سلمان وابي ذر والمقداد وعمار » ثم لزم هذا اللقب كل من قال بتفضيله بعده الى يومنا .

وانشعبت من هذه «الفرقة» فرق كثيرة سميت باسماء متفرقة والقاب شتى مثل : الرافضة والزيدية والكيسانية ... وغير ذلك من الالقاب ، وهم كلهم داخلون في جملة هذا اللقب الواحد الذي يسمى الشيعة على تباينهم في المذاهب وتفرقهم في الآراء . وشهر كل فريق بما ينتحله من المذهب وينسب اليه ، كما ان جميع فرق الاسلام قد عمهم اسم الاسلام ، وان كانوا مختلفين في مذاهبهم .

---

(٧٦) في الاصل بياض والسياق يقتضي اضافة « و » .
(٧٧) في الاصل : جاءت فيه ــ والسياق « جاءت فيها » .
(٧٨) في الاصل : وابو ذر والصحيح : ابى ذر .

قد عرفت كل فرقة بما تنتحله من المذهب ، فكذلك كل فرقة من فرق الشيعة مخصوصون بلقبهم وقد عمهم اسم التشيع . ولم يرو في ذم اللقب شيء من الاخبار اعني في التشيع ... كما روى في المرجئة والرافضة والمارقة والقدرية .

ولم يلقّب أحد من المسلمين بشيء من الألقاب في حياة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا اشتهروا به الا" اللقب الواحد ، وانما حدثت الألقاب بعد وفاته صلى الله عليه حين أبدعوا البدع وتفرقوا في الأهواء ، وقد كان لها ذكر قبل ذلك .

فأما الشيعة في اللغة فمعناه الفرقة . قال الله عزّ وجل « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا »[٧٩] قال أبو عبيدة : معناه فرقا وأحزابا « كل حزب بما لديهم فرحون ... أي : كل شيعة وفرقة . ويقال : شاع الخبر في الناس .. اذا ذاع وتفرق . ويقال الشيعة : الأمة . قال مجاهد في قول الله تعالى « من كل شيعة » [٨٠] قال : من كل امة . يقال : هو من شيعة فلان ... اذا مشى معه ، وانما قيل شيعة فلان ... أي الفرقة التي تبعته . قال الكسائي : التشايع ـ عندهم ـ التعاون ، وقال في قوله « من كل شيعة » من كل متشايعين ، تشايعوا : تعاونوا . قال أبو عبيد : ومنه قيل للرجل الشجاع مشيع . وقد يكون التشيع التفريق . قال : ومنه الحديث قيل لابن مسعود أو لسعد : ما يمنعك من كذا وكذا ؟ . قال : اني لأكره أن آتي نبي الله صلى الله عليه ، فيقول لي : شيّعت بين أمتي . قال : ومنه قوله « كانوا شيعا » قال : تفسيره فرقا : وقال في قوله « ثم لننزعن من كل شيعة » قال : معناه من كل من تشايع ، والمتشايع المتعاون . وقوله « أشد على الرحمن عتيا » قال : الأكابر فالأكابر . رواه باسناد له عن الاحوص عن عبدالرحمن . وقال أبو عبيدة في قوله « شيع الأولين[٨١] » في أمم الاولين ، واحدتها شيعة ، وأولياء

---

(٧٩) الآية ١٥٩ من سورة الانعام .

(٨٠) الآية ٦٩ من سورة مريم .

(٨١) الآية ١٠ من سورة الحجر .

أيضا شيع . وقال في قوله « وجعل أهلها شيعا »[82] ... أي : فرقا ، وأنشد للأعشى[83] :

وبلدة يكره الجوّاب دلجتها   حتى تراه عليها يبتغي الشّيعا

أي الأصحاب والجماعات . وقال في قوله « أو يلبسكم شيعا » [84] من الالتباس . شيعة وشيع : فرق . فهذا ما جاء في معنى الشيعة والتشيع . وكان الذين سمّوا شيعة علي ... لأنهم الفرقة «التي»[85] تابعته وعاونته ، وكانت أمة معه . قالوا : وكان يقال لأنصار علي الشيعة ، ولأنصار معاوية الاحزاب . وقال الكميت في ذلك :

أقبّل أيدي الأحزاب اني   الى الدنيا لمنقطع القرين

وقالوا في قول الله عزّ وجل « كل حزب بما لديهم فرحون »[86] أي : كل فرقة . قالوا : والاحزاب : الذين تحزبوا[87] على الباطل ، وصاروا مع المبطل على المحق . قال الله عزّ وجل « ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله[88] » وقال أبو عبيدة في قول الله عزّ وجل « فان حزب الله هم الغالبون[89] » أي : أنصار الله ... وأنشد لرؤبة :

وكيف أضوى وبلال حزبي

أضوى : استضعف . رواه أبو عبيدة أضوى بفتح الألف ، ورواه الاصمعي أضوى بضم الألف . فالشيعة تكون معرفة ونكرة . يقال : هؤلاء الشيعة اذا أردت به شيعة علي ، واردت به القوم المعروفين بالتشيّع . ويقال أيضا : هؤلاء شيعة فلان لمن أردت من الناس ، فيعرّف بالاضافة . فأما الحزب

---

(٨٢) الآية ٤ من سورة القصص .
(٨٣) ديوانه ص ٨٣ بتحقيق جاير ، لندن ١٩٢٨م .
(٨٤) الآية ٦٥ من سورة الانعام .
(٨٥) في الاصل « الذين » والصحيح « التي » .
(٨٦) الآية ٣٢ من سورة الروم .
(٨٧) في الاصل يحزبوا والاصح تحزبوا .
(٨٨) الآية ٢٢ من سورة الأحزاب .
(٨٩) الآية ٥٦ من سورة المائدة .

فانه لا يجيىء الا ّ نكرة • لا يقال : هؤلاء الحزب حتى تعرّفه بالاضافة ، فتقول : حزب فلان ، واذا تكلست به على الجماعة فان الاحزاب قد تجيء معرفة ونكرة • قال الله عزّ وجل « ولما رأى المؤمنون الاحزاب » فجاء به على معرفة • والشيع اذا جمعته لا يجيء الا ّ نكرة ولا يكون معرفة • قال الله عزّ وجل « شيع الأولين »[٩٠] فعرّفه بالاضافة • ولا يقال : هؤلاء الشيع ••• كما يقال : هؤلاء الاحزاب • والعلة في هذا أن أهل الحق لا يكونون متفرقين ••• انما تكون فرقة واحدة في اسم الشيعة اذا كان واحدا معرفة ، لأن أصحاب علي عليه السلام كانوا فرقة واحدة غير مختلفين ، فقيل لهم الشيعة ، ولم يقل لهم شيع ••• فكأنّ أصحاب معاوية على الباطل فقيل لهم الاحزاب ، ولم يقل لهم الحزب • وهذا دليل على أن أصحاب علي هم أهل الجماعة ، وأصحاب معاوية هم أهل الفرقة •

معنى المرجئة

واما المرجئة فقد روى فيهم عن النبي صلى الله عليه أنه قال « المرجئة يهود هذه الأمة » • وروي عن محمد بن علي عليه السلام أنه قال « المرجئة بدّلوا سنّة الله ظاهرها وباطنها ، وهم يهود هذه الامة ، وهم أشدّ لنا عداوة من اليهود والنصارى » •

وقد تأول الناس في هذا اللقب تأويلات كثيرة ، فكل فريق يتنصل منه ويلزمه غيره ويتأول فيه تأويلا ينتفي به عنه • قال قوم من العامة ـ وهم الذين قالوا : الايمان قول بلا عمل ، ويزعمون ان من شهد الشهادتين فهو مؤمن حقا وان ارتكب الكبائر وترك الصلاة والصيام وسائر الفرائض ـ زعموا ان المرجيء هو الذي يزعم ان الايمان قول وعمل ، ولا يبنون الشهادة على من شهد الشهادتين انه مؤمن حقا ، ويشكّون في أمره ، ويقولون نرجو أن يكون مؤمنا • قالوا : واستوجب[٩١] هؤلاء اسم الارجاء من أجل قولهم « نرجو أن يكون مؤمنا » ، وألزموهم هذا اللقب لهذه العلة ••• وهذا جهل باللغة

---

(٩٠) الآية ١٠ من سورة الحجر •

(٩١) في الاصل : « استوجبوا » والصحيح « واستوجب » •

وتصريف كلام العرب ، لأن المرجيء هو من أرجأ يرجيء فهو مرجيء ، وهو من باب أفعل • و « نرجو » هو من رجا يرجو فهو راج ، وهو من باب فعل • وهذا قول عامي يدل على خطأ المتأول ، وذكرناه[92] على رثاثته لأني سمعت قوما يقولون به ، فبيّنا غلط المتأولين فيه •

وزعم قوم من أهل الكلام ان المرجئة هم الذين تركوا القطع على أهل الكبائر اذا ماتوا غير تائبين بعذاب أو مغفرة ، وأرجأوا أمرهم والحكم عليهم الى الله عزّ وجل ، وقالوا : ان الله تبارك وتعالى ان غفر لواحد غفر لكل من هو على مثل حاله ، وقالوا : ان الله تبارك وتعالى لا يدخل النار أحدا بارتكاب الكبائر ، وانه يعفو عما دون الكفر ••• مثل أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهم من أهل الفقه ، وجهم بن صفوان وغيلان بن مروان وأبى شمر[93] والفضل الرقاشي وغيرهم من أهل الكلام ، ومن العامة اتباعهم الذين يعرفون بأصحاب الرأي الذين يقولون « الايمان قول بلا عمل » • قالوا : وانما استحقوا اسم الارجاء لقولهم « نرجيء أمرهم الى الله والحكم عليهم »[94] فلذلك قيل لهم المرجئة ••• فهؤلاء قد أصابوا من جهة اللغة ، وأخطأوا من جهة التأويل • وقال قوم آخرون من أصحاب الحديث من أهل المعرفة باللغة مثل عبد الله بن مسلم بن قتيبة وغيره ان المرجئة استحقوا هذا الاسم لأنهم قالوا : « الايمان قول بلا عمل » ، فقدّموا القول وأخّروا العمل •• فلذلك استحقوا هذا اللقب •

وهذه التأويلات اذا تدبرتها وجدتها متناقضة : أما القول الأول الذي ادعاه أبو حنيفة وأصحابه أنه لزمهم اللقب لأرجاء أمرهم الى الله ، فان هذا قول قد قال به قوم من المعتزلة ، وقوم مالوا الى التشيع ••• وان كان الأمر على هذا فقد لزم الفرقتين جميعا اسم الارجاء ••• أعني : المعتزلة والشيعة • واذا كان هكذا فقد جاز أن يقال هذا شيعي مرجيء ، وهذا قول غير مشهور ولا تعرفه الأمة • والذي قاله ابن قتيبة أيضا فهو خطأ ، لأن هؤلاء قالوا « الايمان قول مجرد والعمل ليس هو من الايمان » فثبتوا القول وأسقطوا

---

(٩٢) في الاصل : « واذكرناه » والصحيح « وذكرناه » •
(٩٣) في الاصل : « وابو شمر » والصحيح « وأبى شمر » •
(٩٤) في الاصل : « والحكم عليه » والصحيح « الحكم عليهم » •

العمل عن شريطة الايمان . وانما يقال : أرجأت الشيء ... اذا أخرته ، ولايقال أرجأته بمعنى أسقطته . فاذا كان كذلك فان الذين زعموا « أن »[٩٥] الايمان قول مجرد وان العمل ليس هو من الايمان ... قد اسقطوا العمل عن شريطة الايمان ، فلا يقال أرجأوا .

وقال بعض أهل المعرفة : ان الارجاء ، في اللغة ، هو التأخير . قال الله عزّ وجل (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء[٩٦]) يعني تقرب من تشاء وتؤخر من تشاء . وقال أبو عبيدة في قول الله عزّ وجل « وآخرون مرجون[٩٧] لأمر الله » . يقال : ارجأتك ... أي : أخّرتك . وقال في قوله « ارجه وأخاه[٩٨] » يعني أخّره . ويقال أرجيت الشيء وأرجأته ... أي : أخرته . وهذا الحرف يهمز ولا يهمز ، وقد قرأ قوم بالهمز « ترجيء من تشاء » أي تؤخر « وتؤوي اليك من تشاء » أي تضم ، وهما جميعا بمعنى واحد . وقال الكسائي في قوله « ارجه » أخره[٩٩] يقولون أرجيته في الأمر ، أي أخرته ، قال : وناس من قيس يهمزونها « أرجأته » واما تميم وأسد فلا يهمزونها ، وكان الكسائي لا يهمز في القراءة . « ارجه واخاه » ويكسرون الهاء ، وهي قراءة أهل المدينة . وكان أبو عمرو يهمزها « ارجئه واخاه »... فأصل الارجاء التأخير .

والمرجئة هو لقب قد لزم كل من فضّل أبا بكر وعمر على علي بن أبي طالب ، كما أن التشيع هو لقب قد لزم كل من فضّل عليّا على أبي بكر وعمر . هذا ما يتعارفه الناس بينهم ظاهرا ، واتفقت الامة عليه . وقيل فلان مرجيء قدري ، وفلان شيعي قدري : قد قيل ذلك لجماعة من المشهورين من المذاهب ورأينا قوما كثيرين من الشيعة يقولون بالقدر ، فهم الشيعة القدرية .. وقوما كثيرين ممن يقولون بتفضيل أبي بكر وعمر على عليّ يقولون بالقدر ، فهم المرجئة القدرية . ولم نر أحدا يقال له هذا مرجيء شيعي أو مرجيء رافضي .

---

(٩٥) « ان » كانت ساقطة والسياق يقتضيها .
(٩٦) الآية ٥١ من سورة الاحزاب .
(٩٧) الآية ١٠٦ من سورة التوبة .
(٩٨) الآية ١١١ من سورة الاعراف .
(٩٩) في الاصل « آخاه » والصحيح آخره ليستقيم المعنى .

هذا محال جدا ، كما أنه محال ان يقال هذا ثوب أبيض أسود ، وهذا شيء حلو مرّ ... لا تجتمع صفتان متضادتان في شيء واحد وهذا حكم بيّن عند الامامية ان المرجيء لا يكون شيعيا والشيعي لا يكون مرجئيا ، فالارجاء ــ على ما قلنا ــ هو نعت قد لزم كل من فضّل أبا بكر وعمر على علي ، كما أن التشيع قد لزم بتفضيل عليّ على أبي بكر وعمر ... وانما سمّوا مرجئة لأنهم ارجأوا عليا ... أي : أخّروه ، وقدّموا أبا بكر عليه ، فهذا اللقب لازم لكل من ذهب هذا المذهب من أي الفرق كان . وقد قال في ذلك محارب بن دثار شعرا وهو رجل مشهور المنزلة ومن رواة الحديث بتحقيق ما قلنا ... ويعترف في شعره باسم الارجاء ويستصوبه . ويتبجح به وهو قوله :

يعيب علي أقوام سفاها	بأن ارجي أبا حسن عليّا
وارجائي أبا حسن صواب	على القطرين بر¹ أو شقيّا
وعثمان وماج الناس«فيه»[(١٠٠)]	فقالت فرقة قولا بذيّا
وقال الآخرون امام صدق	وقد قتلوه مظلوما بريّا
وليس علي في الارجاء «بأس»	ولا شين ولست أخاف شيّا

فهذا يصحح أن الارجاء هو تأخير عليّ وتقديم أبي بكر ، وثبت اسم الارجاء لكل من قال بذلك ... كما ان التشيع هو لازم لكل من قال بتفضيل عليّ على أبي بكر . وقد قال بعض شعراء الشيعة وهو السيّد بن محمد[(١٠١)] :

خليليّ لا ترجيا وأعلما	بأن الهدى غير ما تزعمان
فارجاء ذي الشك بعد اليقين	وضعف البصيرة بعد البيان
ضلال أزيلاهما عنكما	فبئست لعمركما الخصلتان
أيرجى علي امام الهدى	وعثمان ما أعتدل المرجيان

---

(١٠٠) في الاصل كلمة « فيه » محذوفة وسياق الوزن ومعناه يقتضى وضعها .

(١٠١) وهو المشهور بالسيد الحميري . وهو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ١٠٥ ــ ١٧٣هـ وقال المرزباني انه اسماعيل بن محمد بن وداع الحميري . انظر فوات الوفيات ج ١/ص ٣٢-٣٣ .

ويرجي ابن هند وأحزابه وهوج[١٠٢] الخوارج بالنهروان
ويرجى الألى نصروا نعثلا بأعلى الخريبة والسامران

ويقال ان أول ما وضع اسم الارجاء وظهر وشاع لما افترق أصحاب عليّ بعد الحكمين ، فصار الناس ثلاث فرق : فرقة مع علي سمّوا الشيعة فظهر اسم التشيع ظهورا شائعا ، وفرقة خرجت عليه فسمّوا المارقة وظهر هذا اللقب عليهم ، وفرقة كانوا مع معاوية فسمّوا المرجئة وظهر اللقب واعلن اعلانا ، وسمعت من يذكر ان النبي صلى الله عليه انما شبّه المرجئة باليهود وشبّه الرافضة بالنصارى ، فقال : المرجئة يهود هذه الامة ، والرافضة نصارى هذه الامة ... لأن الارجاء لقب وقع في هذه الامة قبل الرفض ، كما ان اليهودية قبل النصرانية . قالت الرافضة سمّوا المرجئة بذلك لأن المرجئة ضاهوا اليهود في فعلهم ... لأن عليا قام مقام رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله ، فأول من عاداه المرجئة ، وكتموا فضائله ومناقبه ، وجهلوا حقه ، وتركوا ما أمروا به من تفضيله وتقديمه ... كما أن اليهود كانوا أول من عادى رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الكتاب ، وكتموا ذكره الذي وجدوه عندهم مكتوبا في التوراة ، ومحوه منها ، وجهلوا حقه ، وكفروا به ... فكان فعل المرجئة بعلي مثل فعل اليهود برسول الله صلى الله عليه ، فمن أجل ذلك شبّهوا باليهود .

★ ★ ★

ومن ألقاب فرقهم ، أي أصحاب هذه المقالة الذين لزمهم اسم الارجاء فانهم فرق كثيرة ، لقّبوا بعضهم بعضا عند اختلافهم في المذاهب مع اجتماعهم على ولاية من تولاهم من الولاة ، واقامتهم على الأصل الأول بعد قتل علي عليه السلام وثبوتهم على دعواهم ... انهم أهل السنّة والجماعة ، وهم على أصلين يقال لهما : أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأي .

---

(١٠٢) في الاصل : « يهود » والوزن لا يصح وسياق المعنى يقتضى ان تكون الكلمة الصحيحة « وهوج » كما اثبتناه .

أصحاب الحديث :

أما أصحاب الحديث فسمّوا بذلك ... لأنهم انكروا الرأي والقياس ، وقالوا علينا أن نتبع ما روى لنا عن رسول الله صلى الله عليه ، وعن الصحابة والتابعين وما جاء عنهم من الحديث في الفقه والحلال والحرام ، ولا يجوز لنا أن نقيس بآرائنا ... فقيل لهم أصحاب الحديث وأصحاب الأثر ، وهم مجتمعون على أن الايمان قول وعمل والقرآن غير مخلوق ، وكفّروا من قال بخلق القرآن .

الحشويّة :

ومن ألقابهم الحشوية ، لقّبوا بذلك لاحتمالهم كل حشو روى من الاحاديث المختلفة المتناقضة ... حتى قال فيهم بعض الملحدين : يروون(١٠٣) أحاديث ثم يروون(١٠٤) نقيضها . ولروايتهم أحاديث كثيرة مما أنكره عليهم أصحاب الرأي وغيرهم من الفرق في التشبيه وغير ذلك ... فلقّبوهم الحشوية بذلك .

معنى المشبّهة :

ويقال لهم أيضا المشبّهة لروايتهم الأحاديث الكثيرة في التشبيه واحتمالهم الأخبار المنكرة عند غيرهم ... مثل قولهم : ان الله عزّ وجل ينزل الى السماء الدنيا في قفص من الملائكة ، وان العرش يئط من تحته كأطيط الرحل الحديد ، وانه ليفضل من كل جانب أربع أصابع . ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : « لقيني ربي فصافحني وصافحته وكافحني وكافحته ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله » ومثل قوله « اشتكت عينا الرب فعادته الملائكة » وأمثال ذلك مما يطول شرحه ، فسمّوا المشبهة لذلك ، وقد دخل في جملة هذا اللقب قوم من أهل الكلام ممن قالوا بالصورة . لقّبوا بذلك لأنهم شبّهوا الله بخلقه .

---

(١٠٣) في الاصل « يروى » والاصح يروون .
(١٠٤) في الاصل يروى : والاصح والسياق « يروون » .

الشكاك :

ويقال لهم : الشكاك ، لقبوهم بذلك لقولهم ان الايمان يزيد وينقص ، وانهم لم يثبتوا الشهادة على من شهد الشهادتين انه مؤمن حقا وشكّوا في أمره ويقولون : نرجو أن يكون مؤمنا • وانما الواجب عليهم أن يقولوا ان ايمانه مثل ايمان محمد صلى الله عليه وايمان جبريل ، وأن يشهدوا عليه انه مؤمن حقا وان لا يشكّوا فيه •

المالكية والشافعية :

ويقال لقوم منهم المالكية ، ولقوم الشافعية • فالمالكية هم الذين قالوا بقول مالك بن أنس في الفقه وخالفوا الشافعي وأصحابه • وكان الشافعي من اصحاب مالك وتلميذا له ، فخالفه في أشياء كثيرة وخطأه فيها ، فسمّى من قال بقول مالك مالكية ، ومن قال بقول الشافعي الشافعية •

أصحاب الرأي :

وأصحاب الرأي سمّوا بذلك لأنهم أجازوا الرأي والقياس في الفقه ، وقالوا يجوز لنا اجتهاد الرأي فيما اشتبه علينا مما لم نجده في الكتاب والسنّة فسمّوا بذلك أهل الرأي •

الجهمية :

يقال لقوم منهم الجهمية • نسبوا الى جهم بن صفوان ، ويقال لهم مرجئة أهل خراسان • وكان جهم يكفّر أهل التشبيه تكفيرا[١٠٥] صراحا ، ويقول بنفي التشبيه ، ويظهر القول بخلق القرآن ••• ويكفّر من خالفه في ذلك ، ويسميه مشركا •

الغيلانية :

ومنهم الغيلانية ، نسبوا الى غيلان بن مروان ، ويقال لهم مرجئة أهل الشام ، وكان يخالف جهم بن صفوان وأبا حنيفة في أشياء كثيرة من الاصول

---

(١٠٥) في الاصل « اكفارا » والصحيح « تكفيرا » •

والفروع ، فمنها أنه كان يقول : الامامة تصلح في غير قريش لمـن[١٠٦] كان قائما بالكتاب والسنـّة •• فمن كان قائما بالكتاب والسنـّة فهو مستحق لها الا" انها لا تثبت الا باجماع من الأمة •

الماضـرية :

ومنهم الماضرية ، نسبوا الى قيس بن عمرو الماضري ، ويقال لهم مرجئة أهل العراق وهم أبو حنيفة ونظراؤه ، وكانوا يخالفون جهم بن صفـوان في القول بخلق القرآن ويقفون فيه ، ويخالفون غيلان في الامامة ويزعمون انهـا لا تصلح الا" في قريش للحديث عن النبي صلى الله عليه وآله : الأئمـة من قريش ويخالفونهم في كثير من الاصول والفروع •

الشـمرية :

ومنهم الشمرية ، ينسبون الى أبي شمر ، وكان أيضا يوافق غيلان في القول بالامامة وانها تصلح في أفياء الناس ممن كان قائما بالكتاب والسنـّة ، ويخالفه في أشياء كثيرة •

الضـرارية :

ومنهم الضرارية ، ينسبون الى ضرار بن عمرو [١٠٧] ، وكان من المعتزلة الا انه كان يخالف المعتزلة في القول بالامامة • يقول انها تصلح في افياء الناس في قريش وغيرها ، فاذا اجتمع قرشي ونبطي ولينا النبطي وتركنا القرشي لانه اقل عددا وأهون شوكة واذا عصى الله خلعناه • وهذا عنده احتياط الاستلام• وقال بعض المعتزلة : هي تصلح في افياء الناس من قريش وغيرها ، فاذا اجتمع قرشي ونبطي اخترنا القرشي وتركنا النبطي • وخالفهم ضرار في ذلك في اشياء غيرهـا •

---

(١٠٦) في الاصل « من » والاصح « لمن » •

(١٠٧) في الاصل غير موجودة والتوضيح يقتضى تكملة الاسم وهو « ضرار بن عمرو » •

الرافضـة

قال ابن قتيبة بلغني عن الاصمعي انه قال سميت الرافضة ... لانهـم رفضوا زيد بن علي ، وتركوه . ثم لزم هذا الاسم كل من غلا منهم في مذهبه، ويبغض السلف . وقال بعض اصحاب الكلام انما سموا رافضة لرفضهم زيد بن علي وتركهم الخروج معه . وقال قوم ان المغيرة بن سعيد هو الذي سماهم الرافضة لما رفضوه . وكان المغيرة بن سعيد يزعم ان ابا جعفر رضوان الله عليه اوصى اليه ، وقالت فرقة بامامته يقال لها (١٠٨) المغيرية . وسنذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله .

وقال غيرهم : كانت طائفة من الشيعة قبل ظهور زيد بن علي مجتمعين على امر واحد ، فلما قتل (١٠٩) زيد انحازت منهم طائفة الى جعفر بن محمد ، وقالوا بامامته ، فسماهم اصحاب زيد الرافضة لرفضهم زيدا ، فمنهم اصناف الرافضة. وخرجت فرقة مع زيد فسموا الزيدية ، فمنهم اصناف الزيدية .

والرفض ــ في اللغة ــ معناه : الترك . يقال : رفض فلان موضع كـذا اذا تركه . ورفض الاجير العمل اذا تركه.والرفض ايضا التفرق.(يقال)(١١٠) : ارفض القوم اذا تفرقوا ، وارفض النظام اذا تفرق عنه الخرز . قال الكميت :

فألحقنا روافضهم ببصرى ... حفاة كالرعال وني علينا

انما يريد قوما منهزمين .. اي : بلغت هزيمتهم اوائل الشام كالرعال ... أي : يعدون جماعات متفرقين . ولم يعن بهذا البيت الرافضة ، انما عني قومـا تفرقوا كالرعال . والرعال : جمع رعيل ، وهي الجماعة . قال الحطيئة :

تذكرتها فارفض دمعي صبابـة (١١١)

ارفض .. اي : تفرق .

---

(١٠٨) في الاصل غير موجودة والسياق يقتضي اضافتها .

(١٠٩) في الاصل غير موجودة والسيـاق والواقع التـاريخي يقتضي اضـافة كلمة « قتل » .

(١١٠) في الاصل غير موجود والاصح أن تضاف هنا كلمة « يقال » .

(١١١) ديوانه بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ص ٣٦٣ وفيه كأنه بدلا من صبابه تحقيق نعمـان أمين طـه طبع مصـطفى الحلبي ١٩٥٨م القاهرة .

قالت المرجئة : انما شبه رسول الله صلى الله عليه الرافضة ، فقال « الرافضة نصارى هذه الامة » لانهم ضاهوا النصارى في القول في امير المؤمنين علي عليه السلام ، فقالوا فيه مثل قول النصارى في المسيح عليه السلام ، فقالت الغلاة منهم بالوهيته كما قالت النصارى بالوهية المسيح صلوات الله عليه .. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وقالت طائفة بنبوته ، وقال آخرون بامامته ... وهم اول من غلا في القول في هذه الامة وقالوا بالهية البشر . ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله خبر لا ينكره الرافضة ولا غيرهم انه قال صلى الله عليه لعلي عليه السلام « لولا ان تقول فيك طائفة من امتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولا لا تمر بملأ من المسلمين الا اخذوا من تراب قدميك ومن فضل طهورك » فهذا الذي يلحقهم بشبه النصارى . ورووا فيهم اخبارا كثيرة ، منها قولهم ان رسول الله صلى الله عليه قال « يخرج في آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة ... فاذا لقيتموهم فاقتلوهم ، فانهم مشركون » .

والرافضة لا تنكر هذا اللقب ، ويزعمون انهم رفضوا الباطل وتبعوا الحق ، ويريدون ان ينفوا عن انفسهم ذم هذا اللقب كما قالت القدرية ان المجبرة هم القدرية ... وارادوا ان يتنصلوا من ذم هذا اللقب . وفي ذلك يقول السيد ابن محمد وكان يهجو سوار بن عبدالله العنبري قاضي ابي جعفر في أمر كان بينهما ، فقال في شعر له فيه :

ابوك ابن سارق عنز النبي ... وانت ابن بنت أبى جحدر
ونحن على زعمك الرافضون ... لاهل الضلالة والمنكر

وروت الرافضة عن بعض الائمة انه قال : كان في امة موسى قوم كانوا على الحق ، وكانوا يلقبون بالرافضة ، وان سنّة اولئك جرت فيهم لقول رسول الله صلى الله عليه كان في امتي ما كان في بني اسرائيل . وهذا قول بيّن الخطأ لان تلك الشريعة كانت بالعبرانية ، وهذا لقب عربي ، ولم تكن تلك الامة تعرف بهذا اللقب .

معنى القدرية

قالوا : سميت القدرية بهذا اللقب ... لانهم قالوا ان العباد يفعلون ما لا يريده الله عز وجل ولم يقدره من افعال الشر مثل القتل والزنا وغير ذلك . وقالوا : هذا ليس بقدر الله ، وقد قدر العباد على ما لا يريده الله من هذه الاعمال . فهذا القول هو الاصل الذي يجمعهم . ثم لهم ــ بعد ذلك ــ فروع كثيرة قد اختلفوا فيها ، وهذا لقب قديم قد زويت فيه الاخبار ، منها ما روى « القدرية مجوس هذه الامة » . قالت المجبرة : انما شبّهوا بالمجوس لانهم ضاهوا المجوس في قولهم حين قالت : ان الله خلق الخير ولم يخلق الشر ، ولم يرووه ، وان الشيطان يخلق الشر ... تعالى الله خالق كل شيء .

ورووا في الخبر ان رجلا قام الى علي صلوات الله « عليه » [112] عند منصرفه من صفين ، فقال : يا امير المؤمنين ... اخبرنا عن مصيرنا الى الشام ، ابقضاء من الله وقدر ؟

فقال : والله ما هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر . فقال الرجل : عند الله يحتسب عنائي ... اذن ، مالي من اجر . فقال : ويحك : لعلك ظننت قدرا لازما وقضاء حتما ، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، وما كانت تأتي من الله محمدةلمحسن ولا مذمة لمسيء .. (تلك) [113] مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمان واولياء الشيطان قدرية هذه الامة ومجوسها . ان الله امر تخييرا ونهى تحذيرا ، لم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها . فقال الرجل : فما هذا القضاء والقدر (اللذان) [114] ما علونا تلعة ولا هبطنا واديا الا بهما ؟ قال : هو الامر من الله ، ثم تلا « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه » [115] فنهض الشيخ مسرورا ، وانشد يقول :

انت الامام الذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن رضوانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا ... جزاك ربك عنا فيه احسانا

---

(١١٢) ناقصة : والتكملة اضافة كلمة عليه .
(١١٣) في الاصل : ذلك والصحيح « تلك » .
(١١٤) في الاصل : « اللذين » والصحيح اللذان .
(١١٥) آية ٢٣ من سورة الاسراء .

وزعمت القدرية ان المجبرة هم القدرية ... وذلك انهم قالوا : الخير والشر بقدر من الله ، وقلنا ان الشر ليس بقدر من الله ونفينا ان الشر بقدر ، فهم اولى بان ينسبوا الى القدر ، وانما ارادوا ان يخرجوا انفسهم من اللقب المذموم . واحتجت عليهم المجبرة فقالت : لو كان (الامر) [116] كما تزعمون لكنا مشتهرين بهذا اللقب لا انتم ، وقالوا : لو ان رجلا دخل مدينة فسأل عن القدرية لارشد اليكم لا الينا لاشتهاركم بهذا اللقب عند الامة . ومما يؤكد حجة المجبرة في هذا ان كل من عرف بهذا المذهب في قديم الدهر من المعارف سمي قدريا . وقد قرأت كتابا ألفه رئيس من رؤساء هذه المقالة المعروفة بالقدرية يعرف بالبلخي ، وذكر هذا القول واحتج به على المجبرة وألزمهم هذا اللقب واتنفى منه بما قدمنا ذكره من الحجة ، ثم نقض قوله بان عدّد بعد ذلك رجالا من المعارف يذكرهم في كتابه هذا ويتبجح بهم (على) [117] انهم من اهل مذهبه ، وذكر قوما من آل الرسول صلى الله عليه ، وقوما من التابعين ، وقوما من رواة الحديث ، وقال في حكاياته ان فلانا كان قدريا ، وفلانا كان يقول بالقدر ... فان كان الامر على ما يدعيه ان المجبرة هم القدرية ، فما بال هؤلاء « القوم » [118] المذكورين قد عرفوا بالقدر وشهروا به وسموا قدريين ؟ .. وان كانوا سموا قدريين وشهروا بالقدرية لانهم كانوا مجبرة .. فما باله يعددهم ويتبجح بهم ويشيد بنيانه بذكرهم ؟؟

المعتزلة

وللقدرية لقب يقال لهم المعتزلة ، وهم الى هذا اللقب اميل وبه ارضى . ويقال ان اول ما وقع اسم الاعتزال ايام امير المؤمنين علي صلوات الله عليه حين اعتزل عنه جماعة مثل سعد بن مالك ـ وهو سعد بن ابي وقاص ـ وعبدالله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة الانصاري ، واسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه ... ثم بعد ذلك الاحنف بن قيس وغيرهم ، فسموا

(١١٦) في الاصل : غير موجودة والسياق يقتضيها .
(١١٧) في الاصل « أو انهم » والسياق يستلزم « على انهم » .
(١١٨) في الاصل : « القول » والصحيح « القوم » ليستقيم المعنى .

معتزلة • على ان هؤلاء لم يعرفوا بالقول بالقدر • ويقال ان اول من لقب بالاعتزال ممن كان يقول بالقدر عمرو بن عبيد • قالوا : وكان السبب في ذلك انه كان يجالس الحسن البصري ويغشى مجلسه ويجالس اصحابه ، فلما مات الحسن اعتزل عن تلك الحلقة واتخذ لنفسه مجلسا ، فقيل صار عمرو معتزليا• وكان عمرو مشتهرا بالقول بالقدر ، فلقب بعد ذلك كل من قال بالقدر بالاعتزال، ولزمهم هذا اللقب دون غيرهم ، ودرس الذكر الاول الذي جرى في اولئك الذين اعتزلوا عليا عليه السلام •

وقد لقبت المعتزلة نفسها بلقب آخر ، فقالوا نحن اهل العدل والتوحيد• يعنون بالتوحيد انهم خرجوا من شرط التشبيه • ولعمري انهم خرجوا من شرط التشبيه ولكنهم سقطوا عن حكم التنزيل ••• لان ظاهر التنزيل يدل على التشبيه والتمثيل ، ولا يصح تحريف التوحيد الا بالتأويل ومن خرج عن حكم ظاهر التنزيل من غير معرفة التأويل دخل في التعطيل • وتأول هؤلاء القوم في آيات من القرآن التي يحتج بها اهل التشبيه وتأويلات مثل قول الله عز وجل « الرحمن على العرش استوى [١١٩] » قالوا معناه استولى • يقال استوى فلان على الامر استولى عليه • وانشدوا :

حتى استوى بشر على العراق

فقال الذين ردوا عليهم : انما يقال استولى فلان على كذا وكذا لمن لم يكن قبل ذلك مستوليا ثم استولى ، وهو ايضا تشبيه • وتأولوا في قوله عز وجل « ان تسجد لما خلقت بيدي » [١٢٠] • قالوا اليد القوة ، وقال الذين ردوا عليهم: انما قال يدي وهما يدان ولو كان بيدي لاحتمل ما تأولتم فيه فما معنى قوتي ••• هذا الى تأويلات كثيرة لو ذكرناها طال بها الكتاب وانطلقت الاخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه في ذلك ابطالا ولو وجدوا السبيل الى ابطال الآيات من القرآن ولكن لا سبيل لهم الى ذلك ما داموا مقيمين على الملة • ويعنون بقولهم اهل العدل انهم خرجوا من حد الاجبار ، والاجبار عندهم جور • فان كان الاجبار عندهم جورا وكذلك القول بالقدر عند المجبرة جور

(١١٩) الآية ٥ من سورة طه •
(١٢٠) الآية ٧٥ من سورة ص •

وان جاز لهم ان ينسبوا الى العدل لخروجهم عن حد الاجبار فقد جاز للمجبرة ان ينسبوا الى العدل لخروجهم عن حد القدر ، لان القدر عندهم جور (كعمى العين) لان كلا المقالتين عدل للاخرى ، والطائفتان جميعا عدلان متكافئان فهؤلاء هم اهل العدل لا اهل العدل (لان) [121] الجور هو الميل الى (احد) [122] الطرفين ... يقال جار الحاكم في الحكم اذا مال الى احد الخصمين . والعدل مشتق من الاعتدال وهو الاستواء . يقال : عدل الحاكم في الحكم اذا سوى بين الخصمين وانصفهما ولم يمل الى احد دون الآخر . فمن قال بالاجبار فهو جائر ومن قال بالقدر فهر جائر ، والعدل ان لا تقول باجبار ولا قدر كما روى عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه : وسأله رجل ، فقال : العباد مجبورون . قال : ان الله هو اعدل من ان يجبر خلقه (على) [123] المعاصي ثم يعاقبهم (عليها) [124] . قال : فمفوض اليهم . قال : هو اعز من ان يكون لاحد في ملكه سلطان . قال : وكيف هو . قال : هو امر بين امرين ،لاجبرولاتفويض . فهذا هو العدل ... لان القائل بهذا القول لا يميل الى احد الطرفين دون الآخر بل يعدل بينهما . والعدل في كلام العرب هو الانصاف والتسوية بين الشيئين المتكافئين كما يعدل القاضي بين الخصمين ولا يميل الى احد دون الآخر ، فاذا مال (الى) [125] احدهما قيل قد جار وقال (ابن الزبعري) [126] في العدل انه الانصاف :

فقتلنا النصف من ساداتهم وعدلنا مثل بدر فاعتدل

والاجبار هو مأخوذ من اجبرت فلانا على الامر اذا قهرته واكرهته عليه ، ويقال : اجبرته اجبارا فهو مجبر والفاعل مجبر . ويقال رجل مجبر من قوم مجبرة ، وانما جمع على هذا الوزن لانهم ارادوا به الفرقة المجبرة ، ويقال ايضا قوم جبرية بفتح الجيم وسكون الباء وهم خلاف القدرية فاذا فتحت الباء وقلت

---

(١٢١) في الاصل « الا ان » والصحيح المتساوق مع الجملة هو « لأن » .
(١٢٢) في الاصل « احدى » والصحيح « أحد » .
(١٢٣) في الاصل « عن » والسياق يقتضى أن تكون « على » .
(١٢٤) في الاصل « عليه » والصحيح « عليها » .
(١٢٥) في الاصل ناقصة والسياق يقتضى اضافتها .
(١٢٦) في الاصل وقال « أبو الزبعر » والصحيح وقال « ابن الزبعرى » .

جبرية (فانما) [١٢٧] معناه التجبر والتكبر • ويقال : جبرت العظم فهو مجبور والفاعل جابر وهو الذي يقال له مجبر • وللقدرية آراء مختلفة ومذاهب كثيرة وقد نسبوا اليها ••• نذكرها في موضعها ان شاء الله •

المارقة

المارقة خمسة ألقاب يقال لهم المارقة والشراة والخوارج والحرورية والمحكمة ، فاما اللقب القديم الذي جاءت فيه الاخبار عن النبي صلوات الله عليه وآله فهو المارقة • قال : حدثني ابراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة باسناد له ان عليا صلوات الله عليه وجه هدية من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه ، فقسمها ارباعا ، فاعطى الاقرع بن حابس المجاشعي ربعا ، وزيد الخيل الطائي ربعا ، وعلقمة بن علاثة الكلابي ربعا ، وعيينة بن حصن الفزاري ربعا • فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتىء الجبهة فقال : لقد رأيت قسمة ما اريد بها وجه الله • فغضب النبي صلى الله عليه وآله حتى تورد خداه •• ، ثم قال : يأتمنني الله على اهل الارض ولا تأتمنونني ، فقام عمر فقال : الا نقتله يارسول الله • فقال : انه يكون من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل اسود احد ثدييه مثل ثدي المرأة مثل البضعة تدردر •

قال اهل اللغة في تفسير هذا الحديث : الرمية معناه المرمية وهي الطريدة انثوها لذلك وهي فعيلة في معنى مفعولة ، وهي بمنزلة الضحية • وفي المثل : بئس الرمية الارنب • ويقال هذه ذبيحتك بمنزلة الضحية • ويقال : مرق السهم اذا اصاب الرمية وخرج الى الجانب الآخر لحدة نصله نفوذا سريعا فلم يعلق به دم ولا فرث يعنى انهم دخلوا في الدين ثم خرجوا منه خروجا سريعا كسرعة نفوذ السهم في الرمية • وشبه تجردهم عن الدين وقلة ما نالوا منه بتجرد هذا السهم وقلة ما نال من الرمية من الفرث والدم • والقذذ هو ريش السهم واحدها

---

(١٢٧) في الاصل « وانما » والاصح « فانما » •

قذة • والاقذ : السهم الذي لا ريش عليه • وفي الحديث حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة • والنضى : قال ابو عمرو الشيباني هو نصل السهم • وقال الاصمعي لانه ذكر النصل بعد النضى • والنصل : هي الحديدة شبه الزج يكون في السهم • والبضعة : القطعة من اللحم • وتدردر وتقلقل وتدلدل بمعنى واحد اي تضطرب وتجيء وتذهب • وروى هذا الحديث من وجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله كان يقسم غنائم هوازن يوم حنين للمؤلفة قلوبهم يتألفهم ليدخلوا في الاسلام ، فقال رجل من تميم يقال له ذو الخويصرة او ذو الخنيصرة ان هذه لقسمة ما يراد بها (وجه [١٢٨]) الله • فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه ، فقال : من يعدل ان لم يعدل الله ورسوله ؟ فقال عمر بن الخطاب ائذن لي يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه انه يكون له عقب يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون (اليه) [١٢٩] ابدا • وفي حديث آخر : هم وقود النار وان قتلهم اجر لمن قتلهم • وقال : طوبى لمن قتلهم وقتلوه • وفي حديث آخر : ستقتتل طائفتان من امتي عظيمتان ، فتمرق منهم طائفة تقتلهم اولى الطائفتين • [١٣٠] وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وآله لما وصفهم قال : سيماهم التحليق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، علامتهم رجل مخدج اليد • ويروى من وجه آخر ان النبي صلى الله عليه نظر الى رجل ساجد الى ان صلى النبي صلى الله عليه ، فقال : الا رجل يقتله ، فحسر ابو بكر عن ذراعيه وقصد نحوه ، ثم رجع الى النبي صلى الله عليه ، فقال : اقتل رجلا يقول لا اله الا الله • فقال : ألا رجل يقتله ، ففعل عمر مثل ذلك ، فلما كان في الثالثة قصد له علي بن ابى طالب صلوات الله عليه ، فلم يره ، فقال رسول الله صلى الله عليه : لو قتل لكان اول فتنة وآخرها • وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه ذكر المقتول بالنهروان ، فقال : هو شيطان الردهة • قال ابن قتيبة : الردهة نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء • وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وعلى آله قال لعلي عليه السلام : انك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين ، فتأولوا في الناكثين اصحاب الجمل ، وذلك ان طلحة والزبير بايعاه

---

(١٢٨) في الاصل لم تكن موجودة والسياق يقتضيها •

(١٢٩) « اليه » ليست موجودة في الاصل وسياق الجملة يقتضيها •

(١٣٠) وبعد الطائفتين كلمة « الله » حذفتها لانها ليست ذات علاقة في سياق الجملة •

ثم نكثا البيعة وخالفاه وحارباه فسميا ناكثين ، وسمى من تبعهما باسميهما • قال : نكث البيعة اذا نقضها • قال الله عز وجل « ومن نكث فانما ينكث على نفسه (١٣١) » • وقال « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم (١٣٢) »
واما القاسطون فانهم تأولوا انهم اهل صفين معاوية واصحابه • والقاسط الجائر يقال : قسط ، اذا جار • قال الله عز وجل « واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (١٣٣) » ويقال : قسط قسوطا ، اذا جار • فاذا ادخلت فيه الالف ، فقلت: اقسط يقسط اقساطا ، فمعناه : عدل • والاسم منه القسط • قال الله عز وجل (ان) (١٣٤) حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، ان الله يحب المقسطين (١٣٥) وقال : « قائما بالقسط (١٣٦) » • فكلما جاء على وزن فعل يفعل فهو من الجور ، وما كان على وزن افعل يفعل فهو من العدل • وقد تقدم تفسير المارقين ، وانما سموا بذلك لخروجهم عن الدين • وخرج تأويل الحديث موافقا لقول النبي صلى الله عليه وآله • لان امير المؤمنين صلوات الله عليه لم يقاتل بعده الا هذه الفرق الثلاث • ويقال انه لما فرغ من قتال المارقين امر ان يفتش القتلى ، وقال : اطلبوا المخدج ، فطلبوه فلم يجدوه حتى ساءه ذلك • وقال رجل : والله ما هو فيهم يا امير المؤمنين • فقال : والله ما كذبت ولا كذبت • فجاء رجل وقال : قد اصبناه يا امير المؤمنين • فخرّ علي ساجدا • وكان اذا اتاه امر يسر به من الفتوح سجد وقال لو علمت شيئا افضل منه لفعلت ، ثم قال : سيماه ان يده كالثدي عليه شعرات كشارب السنور ، ائتوني بيده المخدجة • فأتوه بها ، فنصبها • ويقال انه اخرج من بين القتلى وله ثدي كثدي المرأة • فهذا هو اللقب القديم الذي جاءت فيه الاخبار عن النبي صلى الله عليه ، وسائر القابهم حدثت من بعد ، وهم يكرهون هذا اللقب ، وينتفون منه ، لما جاء فيه من الاخبار ، ولقبح المعنى فيه ، وانى لهم بالانتفاء منه ولا ينتفون من سائر الالقاب •

(١٣١) الآية ١٠ من سورة الفتح •
(١٣٢) الآية ١٢ من سورة التوبة •
(١٣٣) الآية ١٥ من سورة الجن •
(١٣٤) الآية ٤٢ من سورة المائدة •
(١٣٥) الآية : ان حكمت فاحكم •• وفي الاصل واذا حكمت والصحيح ان حكمت كما هي في القرآن الكريم •
(١٣٦) الآية ١٨ من سورة آل عمران •

الحرورية

ويقال لهم الحرورية ، لانهم نزلوا بحروراء ، وهو موضع بالنهروان ، واجتمعوا هناك ، فناظرهم امير المؤمنين صلوات الله عليه ، فرجع منهم ألفان ، فقال امير المؤمنين : ما اسميكم ، انتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء • وقال السيد في ذلك في مخاطبته الشيعة :

انتم قليل من كثير فاقصدوا ... ودعوا التعمق واحذروا ان تمرقوا
ان الذين بنهروان انما ... مرقوا من الاسلام حين تعمقوا
نزعوا غداتئذ لحكم واقع ... عند الحكومة جاهلين فاغرقوا

ويقال : نهروان (بضم النون والراء) • قال الطرماح[١٣٧] :

قل في شط نهروان اغتماضي

رواه ابو بكر بضم النون والراء • وقال ثعلب : نهروان بفتح النون والراء• ويقال في النسب الى حروراء حروراوي ، وكذلك كل ما جاء في آخره ألف التأنيث الممدودة ، ولكنه نسب الى البلد فحذفت الزوائد فقيل حروري • وقال الشاعر :

اكر على الحروريين مهري ... لاحملهم على وضح الطريق

المحكمة

واما المحكمة فانما سموا بذلك لانه لما جرى امر الحكمين بصفين اجتمع قوم من جملة اصحاب امير المؤمنين صلوات الله عليه فيما ذكر انهم عبدالله بن الكواء ، وعروة بن جرير ، ويزيد بن عاصم المحاربي ، وجماعة معهم ،فاعتزلوا وبايعوا عبدالله بن وهب الراسبي في منزل زيد بن حصين بعد ان امتنع عليهم، واومىء الى غيره ، فلم يقنعوا الا به ، فكان امام القوم ، وكان يوصف بالرأي• وتبرأوا من الحكمين وممن رضي بهما وصوب امرهما ، وكفروا امير المؤمنين عليه السلام ، وقالوا لا حكم الا لله ، وان الله قد حكم في التنزيل وقال :

---

(١٣٧) ديوانه ص ٢٦٢ بتحقيق الدكتور عزت حسن طبعة دمشق ١٩٦٨ •

« فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله (١٣٨) » وقالوا ان عليا ترك حكم الله وحكم الحكمين ، فلا حكم الا لله .

وقالوا : اول من لفظ بهذا رجل من بني سعد بن زيد بن مناة يقال له الحجاج بن عبدالله يلقب بالبرك ، وهو الذي ضرب معاوية على اليته لما سمع بذكر الحكمين ، وقال (اتحكم (١٣٩)) في دين الله ، لا حكم الا لله نحكم بما حكم به القرآن ، فسمعها رجل ، فقال : طعن والله فانفذ . فسموا المحكمة بذلك . ويقال انه لما سمع علي بن ابي طالب قولهم لا حكم الا لله قال : كلمة عدل يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولابد من امارة برة او فاجرة . ويقال ان اول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عروة بن اذينة وذلك انه اقبل على الاشعث ، فقال له : ما هذه الدنية يا اشعث وما هذا التحكم ... اشرط اوثق من شرط الله عز وجل ، ثم شهر السيف والاشعث مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فتفرق اليمانية ، وكانوا اجل اصحاب علي عليه السلام . فلما رأى ذلك الاحنف مشى هو وجماعة الى (الاشعث) (١٤٠) فسألوه الصفح ، ففعل . وعروة بن أذينة هذا نجا بعد ذلك من حرب النهروان فبقي الى ايام معاوية ثم اتي به الى زياد ومعه مولى له فسأله زياد عن ابي بكر وعمر فقال خيرا ، فقال له : ما تقول في امير المؤمنين عثمان وابي تراب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر ، وفعل في امر علي مثل ذلك الى ان حكم ثم شهد عليه بالكفر ، فسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا وسأله عن نفسه ، فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة ، وانت بعد عاص لربك ، فأمر به فضربت عنقه ، ثم دعا مولاه فقال : صف لي امره . فقال : اطنب ام اختصر ، فقال : بل اختصر ، فقال : ما اتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط .

معنى الشراة

وسموا شراة لانهم قالوا شرينا انفسنا من الله ، نقاتل في سبيل الله فنقتل ونقتل . وذهبوا في ذلك الى قول الله عز وجل (ان الله اشترى من

---

(١٣٨) الآية ٩ من سورة الحجرات .
(١٣٩) في الاصل : وقال الحكم في دين الله ، والاصح « اتحكم في دين الله » .
(١٤٠) في الاصل الاحنف والصحيح الاشعث ليستقيم المعنى .

المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون)[١٤١] • وقوله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله)[١٤٢] • ويقال ان اول من شرى رجل من بني يشكر جاء منكرا للتحكيم فقتل رجلا من اصحاب امير المؤمنين صلوات الله عليه غيلة فوثب عليه قوم من همدان فقتلوه وفي ذلك يقول شاعر همدان :

ما كان اغنى اليشكري عن التي   تصلى بها جمرا من النار حاميا
غداة ينادي والرماح تنوشه   جعلت عليا ماديا ومعاويا

وواحد الشراة شاري • ومعنى شرى نفسه من الله اي باعها • يقال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت وكذلك بعت الشيء بمعنى اشتريت وبمعنى بعت • قال ابو عبيدة في قول الله عز وجل : «وشروه بثمن بخس[١٤٣]» اي باعوه واذا ابتعته انت قلت اشتريته • وانشد ليزيد بن مفرغ :

وشريت بردا ليتنني   من بعد برد كنت هامه

شريت بردا معناه بعته • وبرد اسم غلام له • وقال اوس [١٤٤] في بعت بمعنى اشتريت :

وقارفَتْ وهي لم تَجْرَب وباع لها   من الفصافص بالنّمّي سِفْسيرُ

باع لها أي اشترى لها • ويقال : شاري وشراة مثل قاضي وقضاة ورامي ورماة • وتجمع ايضا على هجاءين من شار وشارون • قال السيد :

أمين في مثلهم في مثل حالهم   في عصبة هاجروا في الله شارينا

ولم يكن السيد من الشراة ، ولكنه جعل كل من قاتل في الله شاريا فقد شرى نفسه أي باعها من الله • وهذا تأويل قول الخوارج : « نحن الشراة »

---

(١٤١) الآية ١١١ من سورة التوبة •
(١٤٢) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة •
(١٤٣) الآية ٣٠ من سورة يوسف •
(١٤٤) ديوانه ص ٤١ بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم • بيروت ١٩٦٠م •

وهم يتبجحون بهذا اللقب ، وقد قالوا في ذلك شعرا كثيرا . قال قطرى بن الفجاءة في يوم دولاب وهو من رؤسائهم :

رأوا فتية باعوا الاله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وقال الطرماح ، وكان يرى رأي الشراة[145] :

لقد شَقِيتُ شَقَاءً لاانقطاع لَهُ انلم أَفُزْ فَوزَةً تُنْجي من النار
والنار لم ينج من روعاتها أحد الاالمُنيبُ بقلب المُخْلِصِ الشاري

الخوارج

واما الخوارج فسموا بذلك لخروجهم على كل امام ، واعتقادهم ان ذلك فريضة عليهم لا يسعهم المقام في طاعته حتى يخرجوا ويتخذوا لانفسهم دار هجرة وحتى يكونوا منابذين لمن خالفهم من المسلمين حربا لهم ، والمسلمون عندهم كفار مشركون الا من رافقهم وبايعهم واستجار بهم حتى يسمع كلام الله . فهذه خمسة ألقاب تجمع جميع فرق المارقة و « الذي »[146] اجتمعوا عليه ، وهو أصل مقالتهم ... القول بالبراءة من عليّ وعثمان واكفارهما واكفار كل امام بعد أبي بكر وعمر والبراءة منهم ، واجماعهم على امام يختارونه من أفياء الناس ممن كان قائما بالكتاب والسنّة . والامام عندهم يثبت بعقد رجلين . وقولهم : انا نحكم بما حكم به القرآن ، والخروج على كل امام جائر ، والاكفار بارتكاب الكبائر . فهذا أصلهم الذي قد اجمعوا (عليه)[147] . ثم لهم فروع مختلفون فيها ، ولهم أئمة قد نسبوا اليهم ولقّبوا بهم وهم يسمون كل أمام لهم أمير المؤمنين ، ولهم في ذلك أشعار كثيرة . قال ابن جدلة الخارجي :

لا ضيرَ ان كانت قريش عداتنا يصيبون منا مرة ونصيب
فلا صلحَ إنْ كانت منابرُ أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

---

(١٤٥) ديوانه ص ٢٥٣ .
(١٤٦) في الاصل الذين والصحيح الذي .
(١٤٧) في الاصل : قد اجمعوا « عليهم » والصحيح « قد اجمعوا عليه » .

فان «يكُ»[148] منكم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنّا سويد والبطين وقعنب ومنّا أمير المؤمنين شبيب
ومنّا سنان الموت و(ابن) عويسر ومرّة فانظر أي ذاك تعيب

ويقال انه لما بلغ هذا الشعر عبد الملك قال أعيبهم كلهم . قال : وأخذ قائل هذا الشعر فقدم الى عبد الملك بن مروان ، فقال : أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب . فقال له : لم أقله هكذا ، انما قلت : ومنا أميرَ المؤمنين شبيب ، فنقله الى معنى النداء . يريد يا أمير المؤمنين منا شبيب .

وقال رجل منهم يرثي نافع بن الازرق[149] :

شمت ابن[150] زيد والحوادث جمة والجائرون بنافع بن الازرق
والموت حتم لا محالة واقع من لا تصبحه نهارا يطرق
فلئن أمير المؤمنين أصابه ريب المنون ومن يصبْهُ يعلق

ومن ألقاب فرقهم الاباضية .

والاباضية سمّوا بذلك لأنهم « ينسبون »[151] الى عبد الله بن اباض ، وكانت له مقالة . يقول : ان اعداءنا كأعداء رسول صلى الله عليه ، لا احرم مناكحتهم ومواريثهم لأن معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام ودعوة الاسلام تجمعهم وهم ككفار النعم .

الصفرية

سموا بذلك لانهم نسبوا الى ابن صفار رئيس لهم . وقال قوم : هم قوم نهكتهم العبادة ، فاصفرت وجوههم . وقال ابو عاصم التيمي ، وكان خارجا ثم صار مرجئا :

فارقت نجدة والذين تزرّقوا وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصُفْرِ اللونِ الذين تخيروا دينا بلا ثقةٍ ولا بكتاب

---

(١٤٨) في الاصل « يكن » والصحيح « يك » .
(١٤٩) شعر الخوارج ص ١٠٤ جمع احسان عباس . بيروت دون تاريخ .
(١٥٠) ابن زيد هو المهلب بن أبى صفرة .
(١٥١) كلمة (ينسبون) غير موجودة في الاصل والسياق يقتضيها .

البيهسية

سموا بذلك لانهم نسبوا الى « أبي »[152] بيهس وكان يخالف الازارقة . يقول : الدار دار كفر ، والاستعراض فيها جائز ، وان أصيب من الاطفال ولا حرج . والازارقة لا تقبل أحدا من غير أهل مقالتهم في دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلما فانهم يقولون المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة .

الازارقة

نسبوا الى نافع بن الازرق الحنفي ، وكان رئيس الخوارج في البصرة والأهوازومن فقهائهم وفرسانهم وشجعانهم مقدما عندهم وله مع ابن عباس مسائل كثيرة .

وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل ذبائحهم ومناكحتهم ومواريثهم ، وهم ككفار العرب لا يقبل منهم الا الاسلام (أو)[153] السيف ولا يحل القعود عن الجهاد . والقعدة كفار . والازارقة هم الذين أحاطوا بالبصرة حتى رحل أكثر أهلها ثم حاربهم المهلب فأخرجهم الى الاهواز ثم الى كرمان وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

ونحن رددنا أهلَها إذْ ترجلوا ... وقد نظمت خيل الازارق بالجسر

وقال ابن الرقيات :[154]

ألا طرقت من آل نذرة طارقة ... على انها معشوقة الدل عاشقه
نبيتُ وأرض السوس بيني وبينها ... وسولاف رستاق حمته الازارقه
اذا نحن شئنا صادفتنا عصابةٌ ... حرورية" أضحت من الدين مارقه

وقال الصلتان العبدي :

أرى أمةً شهرتْ سيفَها ... وقد زِيْدَ في سوطها الأصبحي
فنجديةٌ وحرورية ... وازرق يدعو الى أزرقي

---

(١٥٢) في الأصل : ابو .
(١٥٣) في الاصل : « الاسلام والسيف » والصحيح « أو » السيف .
(١٥٤) أنظر ديوان ابن الرقيات ص ١٦٢ – تحقيق محمد يوسف نجم . بيروت .

النجدات والقعدة

والنجدات يقال لهم القعدة وانما سموا النجدات لأنهم نسبوا الى نجدة بن عامر الحنفي وكان من رؤسائهم ، وكان يصلي بالناس بمكة في الجمعة بحذاء عبدالله بن الزبير ، وعبد الله بن الزبير من جانب . وعبد الله يطلب الخلافة وأمسكا عن القتال من أجل الحرم ، وفي ذلك يقول الراعى :

ما ان اتيتُ أبا خبيب وافداً (حتى)[155] اريد ببيعتي تبديلا
ولقد اتيت لنجدة بن عويمر أبغي الهوى فيزيد بي تضليلا

أبو خبيب هو ابن الزبير . وكان نجدة بن عامر ونافع بن الازرق قد اجتمعا بمكة مع الخوارج على ابن الزبير ثم تفرقوا عنه . واختلف نافع ونجدة وصار نافع الى البصرة ونجدة الى اليمامة وكان سبب اختلافهم أن نافعا قال التقية لا تحل والقعود عن الجهاد كفر واحتج بقول الله « اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية »[156] وقوله « يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم[157] » وخالفه نجدة وقال التقية جائزة واحتج بقول الله « الا أن تتقوا منهم تقاة »[158] وبقوله « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه[159] » وقال القعود جائز والجهاد اذا أمكن أفضل . « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »[160] وقال : لولا أن القعود جائز والجهاد اذا أمكن هكذا فقال نافع ان هذا (في)[161] أصحاب رسول الله حين كانوا مقهورين بمكة . وقال القعد كفر واحتج بقول الله « وقعد الذين كذبوا الله ورسوله[162] » .. فهذه ألقاب فرق الخوارج ولهم مقالات كثيرة ليس هذا موضعها .

---

(١٥٥) في الاصل فراغ والسياق والوزن يقتضيان وضع «حتى» ليستقيم الوزن والمعنى .
(١٥٦) الآية ٧٧ من سورة النساء .
(١٥٧) الآية ٥٤ من سورة المائدة .
(١٥٨) الآية ٢٨ من سورة آل عمران .
(١٥٩) الآية ٢٨ من سورة غافر .
(١٦٠) الآية ٩٥ من سورة النساء .
(١٦١) في الاصل غير موجودة وسياق الكلام يقتضى وضع « في » .
(١٦٢) الآية ٩٠ من سورة التوبة .

ألقاب فرق الشيعة

افترقت الشيعة فرقا كثيرة ، وهي كلها متشعبة من ثلاث فرق وهم الكيسانية والرافضة والزيدية . والى هذه الثلاثة مرجعها كلها . ولها ألقاب كثيرة . أما الرافضة فهو اللقب القديم الذي رويت فيه الأخبار وقد ذكرنا سببه ومعناه . ثم تفرقت الرافضة فرقا كثيرة ، وذلك انهم كانوا مجتمعين على القول بامامة علي ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ... فهذا ما اجتمعت عليه الرافضة وهو أصل لجميعهم ، ثم بعد مضى جعفر عليه السلام (تفرقوا)[١٦٣] فرقا كثيرة ، وسمّوا بألقاب شتى ، فمنهم من قد ثبت على أصل مقالته ويقول (بها)[١٦٤] الى يومنا هذا ، ومنهم من قد انقرضوا وبطل أصل مقالتهم حتى لا يوجد أحد يقول (بها)[١٦٥] ونحن نذكر العلة فيه ان شاء الله .

الناووسية

فرقة منهم كانوا يسمون الناووسية . سموا بذلك لأن رجلا من أهل البصرة كان يقال له ابن الناووس زعم ان جعفر بن محمد لم يمت وهو حي لا يموت حتى يظهر ويلي الأمر ، وهو القائم المهدي . وزعم هو ومن قال بقوله انهم رووا عنه انه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فاني صاحبكم صاحب السيف . وقد انقرضت هذه الفرقة ، ولايوجد اليوم أحد يقول بهذا القول .

الشمطية

فرقة يقال لهم الشمطية ، نسبوا الى رئيس لهم كان يقال له يحيى بن أبي شمط وكانوا يقولون بامامة محمد بن جعفر بن محمد أخي موسى واسحق ابني جعفر لامهم . وامهم ام ولد اسمها حميدة . ورووا أن محمد بن جعفر دخل على أبيه وهو صبي صغير فكبا في قميصه لحرّ وجهه ، فقام اليه جعفر

---

(١٦٣) في الاصل غير موجودة وسياق الكلام يقتضي وجودها .
(١٦٤) « بها » غير موجودة واضيفت ليستقيم المعنى .
(١٦٥) « بها » غير موجودة واضيفت ليستقيم المعنى .

فقبّله ومسح التراب عن وجهه وضمه الى صدره ، وقال : سمعت أبي يقول : اذا ولد لك ولد فسمه باسمي فهو شبيه رسول الله صلى الله عليه وعلى سنته يجعل هؤلاء الامامة فيه وفي ولده من بعده • وقالوا : ان جعفرا قال : ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم واسم ابيه اسم أبي نبيكم عليه السلام ، ولم يكن له ولد اسمه محمد بن جعفر صاحبنا • وقد انقرض هؤلاء حتى لا يعرف أحد يقول بهذا القول •

الفطحية

وفرقة يقال لهم الفطحية نسبوا الى ذلك لأنهم قالوا بامامة عبد الله بن جعفر وهو أخو اسماعيل بن جعفر وأمهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب وامها اسماء بنت عقيل بن أبي طالب • وزعمت هذه الفرقة ان الامام عبدالله بن جعفر بعد أبيه وذلك انه كان أسن أولاده وزعموا ان جعفرا قال ان الامامة في الاكبر من ولد الامام وانه قال الامامة في من يجلس مجلسي ، فجلس عبد الله مجلس أبيه وانه قال الامام لا يغسله الا الامام ولا يصلي عليه الا الامام وانه هو الذي تولى غسله والصلاة عليه • وهو أخذ خاتمه وصار اكثر أصحاب جعفر اليه وقالوا به وروى بعض اصحابه أن جعفرا دفع اليه وديعة وأمره أن يدفعها الى من يطلبها منه وأن يتخذه اماما وانه لم يطلب ذلك منه أحد غير عبد الله مع روايات كثيرة رواها أصحابه فيه • وسموا فطحية لأن عبد الله كان أفطح الرأس وقال قوم سموا بذلك لأنهم نسبوا الى رئيس لهم من أهل الكوفة ، ويقال له عبدالله بن فطيح • وقد انقرضت هذه الفرقة فليس أحد يقول بهذا القول • وعاش عبد الله بعد أبيه سبعين يوما ولم يخلف ولدا ذكرا •

الاسماعيلية

وفرقة يقال لهم الاسماعيلية ، لأنهم قالوا : الامام بعد جعفر اسماعيل بن جعفر وادعوا ان جعفراً أشار اليه في حياته ودل الشيعة عليه فكانوا مجمعين كلهم انه الامام بعد أبيه وان جعفرا قلدهم ذلك في حياته وأمرهم به ثم قالوا بامامة محمد بن اسماعيل من بعده وانكروا امامة سائر ولد جعفر وقالوا لم يكن نبي ولا رسول الا كان له خليفة في حياته وبعد موته ، وان الله أمر

أولياءه بذلك ، وان ابراهيم قبل أن كان له ولد قد اتخذ لوطا خليفة له ثم لما ولد له اسماعيل كان خليفته ، وكذلك موسى اتخذ هارون خليفة لنفسه فتوفي في حياة موسى فأقام يوشع بن نون مقامه ، وكذلك داود كان سليمان خليفته في حياته ووصيّه بعد موته ، وكذلك المسيح كان شمعون خليفته ووصيه بعد موته ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه كان علي بن أبي طالب صلوات الله عليه خليفته في حياته في أهله واموره ووصيه بعد موته ، وكذلك جعفر بن محمد بقي خمسة وعشرين سنة ليس له ولد غير اسماعيل وعبد الله وانه دلّ على اسماعيل وأشار اليه حتى قال بامامته خلق كثير في حياة جعفر من أصحاب جعفر وهو لا ينكر عليهم حتى قال قوم ان اسماعيل لم يمت في حياته وان جعفرا غيّبه حذرا عليه ، وقالوا : كيف يجوز هذا وقد قلدنا أمره وأمرنا بطاعته ، واحتجوا بأن جعفراً لم يكن متزوجا غير أمهما بأحد من النساء ولا (تسرّى)[١٦٦] بجارية كرسول الله صلى الله عليه لم يتزوج على خديجة ولا تسرى عليها حتى ماتت رضي الله عنها . وهكذا فعل جعفر رضوان الله عليه لم يتزوج على ام اسماعيل وهي فاطمة بنت عمه حتى ماتت اذ عرف ان الحجة من ولدها . قالوا : والامامة والوصية من الله عزّ وجل ، وقد كان الله أعطى اسماعيل هذه المنزلة في حياة أبيه فلما حضرته الوفاة كان ابنه محمد أحق بميراثه من أعمامه ، وهو أكبر سنا من أعمامه الا عبد الله ولا يكون هذا الأمر في أخوين بعد الحسن والحسين لما رويت من الاخبار في ذلك . قالوا : ونظرنا في دعاوى من أدعى لعبد الله ومحمد فرأينا عبد الله قد مضى ولا عقب له ، واما محمد فانه خرج بمكة وشهر سيفه في الشهر الحرام وفي البلد الحرام الذي اجتمعت الامة على تحريم ذلك فلو تم أمره لبطلت الدعاوى منهم من هذه الجهة مع انقراضهم ولأنتهى أمرهم . واما من ادّعى لموسى فاختلفوا فيه أيضا بعد موته في علي حتى وقف قوم على موسى وأدعوا انه حي لم يمت وان عليا لا يصلح للامامة ثم ان علي بن موسى أيضا مات وليس له ولد بالغ وانما كان له ابن واحد وهو محمدبن علي وهو ابن سبع سنين لا تجوز الامامة به ولا تحل الصلاة خلفه ولا تحل ذبيحته ولا تقبل شهادته ولا يؤتمن على ماله ولا يقام عليه حد ومع ذلك فاختلافهم في عقبه وانقراض نسل من ادعى له

---

(١٦٦) في الاصل « اسرى » ولا يستقيم المعنى والصحيح « تسرى » .

لامامة من ولده باتفاق من الامة الا دعاوى لا تصح ولا برهان عليها ولا بينة فيها ولهم مع ذلك حجج غيرها فمنها ما يبدونها ومنها ما يخفونها يطول بشرحها الكتاب وخلق كثير من الناس قد اقاموا على المقالة وهم يزدادون في كل يوم •

المباركية

وفرقة كانوا يسمون المباركية نسبوا الى رئيس لهم كان اسمه مبارك وكان مولى لاسماعيل بن جعفر وقالوا بامامة محمد بن اسماعيل في حياة جعفر وأظهروا الأمر له وادعوا أن جعفراً أمرهم بذلك ، وثبتوا عليه حتى دخلوا في جملة الاسماعيلية •

الخطابية

نسبوا الى أبي الخطاب واسمه محمد بن زينب الأسدي الاجدع وكان يقول بامامة اسماعيل بن جعفر في حياة أبيه جعفر فلما مات اسماعيل رجعوا الى القول بامامة جعفر وغلوا في القول غلوا شديدا وخرج أبو الخطاب في حياة جعفر بالكوفة في المسجد في « زمن »[١٦٧] عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس وأظهر الدعوة الى جعفر ، فتبرأ منه جعفر ولعنه ودعا عليه ، وقتل هو وأصحابه كلهم • ويقال انه لم يفلت منهم الارجل واحد اسمه سالم بن مكرم الجمال ويكنى بأبي سلمة ويلقب بأبي خديجة • وكان أبو الخطاب يقول بالوهية جعفر ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وثبت قوم من اهل مقالته بعده على القول بذلك وقالوا في الأئمة كلهم بالغلو الشديد • وخرجت فرقة منهم الى القول بامامة محمد بن اسماعيل بعد ابيه اسماعيل ، وزعموا أن أبا الخطاب أمرهم بذلك ودلهم عليه ، وقالوا فيه مثل ما قالوا في سائر الأئمة من القول الكبير والكفر العظيم ثم تفرقوا بعد ذلك فرقا كثيرة نذكر ألقابهم بعد ذلك عند ذكر الغلاة ان شاء الله •

الواقفة والمطورة

وفرقة يقال لهم الواقفة ، ويقال المطورة ، وانما سموا بذلك لأنهم قالوا

(١٦٧) كلمة « زمن » لم تكن موجودة في الاصل وسياق المعنى يقتضي تثبيتها •

الامام موسى بن جعفر بعد أبيه جعفر ، وزعموا انه حي لا يموت وانه القائم الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا • وقفوا على القول بامامته وانكروا امامة علي بن موسى بعده ، ورووا أن جعفرا قال ان القائم اسمه اسم صاحب التوراة ، ورووا عنه انه قال لبعض أصحابه عدّ الايام فعدّها من الأحـــد « حتى »[١٦٨] بلغ السبت ، فقال له كم عددت ، فقال ســبعة ، فقال جعفـــر : سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور ومن لا يلهو ولا يلعب وهـــو سابعكم قائمكم ، وأشار الى موسى • قالوا : فموسى هو السابع وهو القائم فثبتوا على الوقف عليه ، فمنهم من ادعى انه حي لم يمت • ورووا أن جعفرا قال : لو رأيتم رأسه « يدهده »[١٦٩] عليكم من الجبل فلا تصدقوا فانـــه القائم • وقال بعضهم : قد مات ولا تكون الامامة « لغيره »[١٧٠] حتى يرجع فيقوم • ورووا عن جعفر انه قال وبه شبه من عيسى ، فهم جميعا الواقفة لهم بالوقف عليه ، وقيل لهم المطورة لأن علي بن اســماعيل « التميمـــي »[١٧١] ويونس بن عبد الرحمن وغيرهم حين خرجوا الى المشافهة ، قال لهم علي بن اسماعيل : ما أنتم الا كلاب ممطورة فلزمهم هذا اللقب ، ويقال ان الكلاب اذا مطرت صارت في غاية النتن وقد ثبت على هذا القول جماعة الى يومنا هذا •

القطعيـــة

وفرقة يقال لهم القطعية وهم الذين قالوا بامامة علي بن موسى بعد موت موسى بن جعفر وقطعوا على وفاة موسى وعلى امامة علي بن موسى بعـــده ورضوا به وسموه الرضا • وزعموا ان موسى بن جعفر حمله هارون الرشيد من المدينة الى البصرة فحبسه عند عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، ثم أشخصه الى بغداد فحبسه عند السندي « بن شاهك »[١٧٢] ، وان يحيى بن خالد بن

(١٦٨) « حتى » ساقطة في النسخ على ما يظهر والسياق يقتضيها •
(١٦٩) في الاصل « بهذا هذا » وليست لهذه الـكلمات علاقة بسياق الجملة والصحيح « يدهده » أي يلقى بها ـ والمعنى مع هذه الكلمة يستقيم •
(١٧٠) في الاصل لغيرهم والصحيح « لغيره » •
(١٧١) في الاصل « المتيمي » وهذا غير صحيح ، والصحيح « التميمي » •
(١٧٢) في الاصل السـندي بن شـاهد : والمعروف انه السنـدي بن شـاهك فاقتضى التصحيح •

برمك سمّه في رطب وعنب فقتله ، وكان في الحبس ، ثم اخرج فدفن في مقبرة قريش فسمت هذه الفرقة القطعية لقطعهم على موته • والقول بامامة علي بن موسى من بعده ثم بواحد بعد الواحد من ولد علي بن موسى حتى انتهى الامر بهم الى علي بن محمد العسكري فلم يزالوا على ذلك الا قوم منهم شذّوا فشكوا في محمد بن علي ورجعوا عن القول به ، وقالوا مات ابوه وهو صغير غير مستحق الامامة ولا علم عنده وثبت قوم على القول بامامته واختلفوا بعد موته وقال قوم « بامامة »[١٧٣] موسى بن محمد ، وثبت قوم على القول بامامة علي بن محمد وهو العسكري • فلما مات افترقوا وقال قوم بامامة محمد بن علي بن محمد وكان مات في حياة أبيه وقال قوم بامامة جعفر بن علي العسكري وقال قوم بامامة الحسن بن علي العسكري وهم كلهم في الجملة الملقبة بالقطعية على اختلافهم وتشتتهم ولم يكن لفرقهم ألقاب الا بعد موت علي بن محمد فان الذين قالوا بامامة جعفر سموا الطاحنية •

الطاحنية

وانما قيل لهم الطاحنية لانهم نسبوا الى رئيس لهم كان يقال له علي بن فلان الطاحن وكان من أهل الكلام وهو الذي قوّى سبب جعفر وأمال الناس اليه وأعانه فارس بن حاتم بن باهويه واخت لفارس • فهذه الفرقة قالت بامامة جعفر في حياة الحسن وقالوا قد امتحنا الحسن ولم نجد عنده علما ولقبوا من اتبع الحسن وقال بامامته الحمارية وقالوا انما تبعوا الحسن على غير علم ولا معرفة ومرقوا من جعفر بعد موت الحسن واحتجوا بأن الحسن بلا خلف وقالوا انما بطلت امامته وبطل قول من قال به لانه لم يعقب والامام لا يكون الا وله خلف وعقب • وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعاوى ادعاها من قال بامامة الحسن من حل في جواره ومنع من قسمة ميراثه حتى بطلت دعاويهم وانكشف أمرهم عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة من قال بامامة الحسن وتفرقوا فرقا كثيرة، فثبتت هذه الفرقة على القول بامامة جعفر ورجع اليه قوم كثيرون ممن كان يقول بامامة الحسن منهم الحسن بن علي بن فضال وهو من أجلة أصحابهم ومن فقهائهم ورواة الحديث مقدما فيهم •

---

(١٧٣) في الاصل « أمة » والصحيح « أمامة » كما جرى التصحيح •

دون كثيرا « من »[174] الحديث والفقه ثم قالوا بعد جعفر بعلي بن جعفر وفاطمة ، ثم اختلفوا بعد موت علي وفاطمة اختلافا كثيرا ومنهم قوم غلوا في القول غلوا كبيرا وقالوا في الأئمة مثل قول أبي الخطاب وأصحابه .

الفرقة التي قالت بامامة الحسن ولقبهم اصحاب جعفر الحمارية

كما أن هؤلاء لقبوا أولئك الطاحنية لما قد ذكرنا من العلة في اللقبين وافترقت هذه الفرقة التي قالت بامامة الحسن بعده احدى عشرة فرقة وليست لهم ألقاب مشهورة ولكنا نذكر أقاويلهم . فرقة قالت ان الحسن حي لم يمت وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهرا لأن الارض لا تخلو من امام وقد روينا ان القائم له غيبتان فهذه احدى الغيبتين وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة اخرى . وقالت الفرقة الثانية ان الحسن مات ولكنه يحيا أو هو حي وهو القائم ولأنا رأينا ان معنى القائم هو القيام بعد الموت . وقالت الفرقة الثالثة ان الحسن قد مات وأوصى الى جعفر ورجعت الى القول بامامة جعفر . وقالت الفرقة الرابعة ان الحسن قد مات والامام جعفر وانا كنا مخطئين في الأئتمام « به »[175] لانه لم يكن اماما فلما مات ولا خلف له علمنا ان جعفر كان محقا في دعواه وان الحسن كان مبطلا . وقالت الفرقة الخامسة ان الحسن قد مات ولم يكن اماما وانا مخطئون في القول به وان الامام كان محمد بن علي أخو الحسن وجعفر وهو المتوفي في حياة أبيه وذلك ان امامة الحسن بطلت عندهم لانه مات ولا عقب له . وجعفر لا يستحق الامامة لما وجدناه فيه من الفسق الظاهر والاعلان به وانا وجدنا في الحسن مثل ما وجدنا في جعفر ولكنه كان يتستر فلما بطلت الامامة فيهما جميعا علمنا ان الامام محمد اذ « كان »[176] له عقب وكانت من أبيه اليه اشارة وهو القائم المهدي ولا يجوز غيره أو القول ببطلان الامامة . وقالت السادسة ان للحسن بن علي

---

(١٧٤) دون كثيرا « من » الحديث والفقه ، وكانت « من » ساقطة والسياق يوجبها .

(١٧٥) « به » غير موجودة في الاصل وسياق المعنى يوجبها .

(١٧٦) في الاصل « اذ له عقب » والاصح اذ « كان » له عقب .

ابنا وليس الأمر على ما ذكر انه مات ولا عقب له واسمه محمد ولد قبل وفاة ابيه بسنتين وانه مستور خائف من جعفر وغيره من اعدائه وهو الامام القائم • وقالت السابعة : بل له ابن ولد بعد موته بثمانية أشهر وان الولد الذي يدعيه من زعم انه مات وله ابن لسنتين باطل لأن ذلك لم يخف ولا يجوز أن يكابر العيان والمعقول وقد كان « الحبل »[177] ولما مضى وادعى ذلك • وقالت الثامنة لا ولد للحسن أصلا لأنّا قد أمتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم نجده ولو جاز أن يدعى ذلك لجاز مثل هذه الدعوى في غيره ولجاز أن يقال ان النبي صلى الله عليه كان له خلف نبيا أو اماما وكذلك جاز أن يدعي في غيره ولكن هناك حبل قد صح وعرف في سرية له وستلد ذكرا اماما وهو القائم • وقالت التاسعة : قد صحت وفاة الحسن وصح أن لا ولد له وبطل ما ادعى من أمر الحبل ، وثبت أن لا امام بعد الحسن وهو جائز في المعقول أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض بمعاصيهم وهي فترة وزمان لا امام فيه والارض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة قبل ظهور النبي صلى الله عليه • وقالت العاشرة أن الحسن مات وصح موته وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ولا يدرى كيف هو ولكنا نشك ان له ولدا ولا ندري ولد قبل موته أو بعده الا انا نعلم ان الارض لا تخلو من حجة واسمه محمد وهو الخلف الغائب المستور ونحن متمسكون بهذا حتى يظهر • وقالت الحادية عشرة : نعلم ان الحسن مات ولابد للناس من امام ولا تخلو الارض من حجة ولا ندري من ولده أم من ولد غيره فهذه جملة « فروع »[178] القطعية وليست لها ألقاب مشهورة الا ما ذكرناها وهم اليوم متنازعون في دعاويهم قد بطلت تلك الاصول كلها فهم مقيمون لجملتهم على فرقتين منهم من يقول بامامة ولد الحسن ومنهم من يقول بامامة ولد جعفر ، حيارى متشتتون متفرقون غير ثابتين على قول واحد ولا راجعين على أصل يعتمدون عليه •

---

(١٧٧) يراد بكلمة « الحبل » ان الحمل كان بعد مضيه وهذا لا يجوز الا بزواج زوجته من شخص غيره ذلك من أجل اثبات عدم وجود عقب للامام الحسن ! ! وان هذا الحبل كان في سرية من سراياه — كما هو واضح من بقية النص •

(١٧٨) في الاصل « فروق » والصحيح « فروع » ليستقيم المعنى •

الكيسانية

هم فرق كثيرة مختلفة يجمعهم كلهم هذا اللقب ، وانما « لقبوا »[١٧٩] بذلك لأنهم زعموا ان محمد بن الحنفية هو الامام المهدي وهو القائم المنتظر الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، وزعموا انه استعمل المختار على شيعته وأمره بطلب ثأر الحسين وسماه كيسان ، وقال قوم ان كيسان كان مولى لأمير المؤمنين عليه السلام وعنه أخذ المختار هذه المقالة ، وقال قوم : كيسان هو مولى « علي »[١٨٠] وهو صاحب المختار وكيسان كنيته أبو عمرة وفيه يقول الشاعر :

وقد حل بها بعـ ـدك كيسان أبو عمره

وذلك ان كيسان هذا كان مع المختار ، وكان المختار يتبع قتلة الحسين فيقتل من كان يتهم بقتله ويخرب بيوتهم . قال : وكان المختار لا يوقف له على رأي صحيح ولا عقيدة ولا مذهب . كان خارجا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا في ظاهر أمره وكان يدعي انه يلهم ضربا في الشجاعة لأمر يكون ثم يحتال فيوقع ذلك ويقول للناس هذا من عند الله . وكان صاحب دعاوى ونيرنجات وشبه ومخاريق ، وكان يكنى بأبي اسحق . وقال ذات يوم : لتنزلن من السماء نار دهماء فلتحرقن دار أسماء . فذكر ذلك لأسماء (بن خارجة) فقال : سجع بي أبو اسحق ، هو والله محرق داري . فترك الدار وهرب . وله في مثل ذلك كلام كثير ومخاريق كثيرة . وله يقول « ابن الرقيات »[١٨١] :

والذي نغص ابن دومة مايو حي الشياطين والسيوف ظما

ابن دومة هو المختار والذي نغصه مصعب بن الزبير ، وكان المختار واليا لابن الزبير على الكوفة فعزله ، وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر نفرا من بني هاشم في حبس يقال له عارم فبعث المختار قوما

---

(١٧٩) في الاصل « لقبوه » والاصح « لقبوا » .

(١٨٠) في الاصل كلمة « عرينة » والمعنى غير دقيق ولما كانت الروايات تشير الى أن كيسان هذا كان مولى لعلي بن أبي طالب – فيبدو لي أن الاصح ان تكون الكلمة مولى « علي » .

(١٨١) في الاصل ابن « الرقاب » والصحيح « ابن الرقيات » الشاعر المعروف .

يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى كسروا السجن واستخرجوه مع بني هاشم حتى صاروا الى مأمنهم • وفي حبسهم يقول كثير عزة :

تخبّرُ من لاقيت إنك عائذٌ بل العائذ المظلوم في سجن عارم
ومن يلق هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم انه غير ظالم
سمّي النبي المصطفى وابن عمه وفكّاك أغلال وقاضى مغارم

قوله « انك عائذ » كان ابن الزبير يدعى العائذ ، لانه عاذ بالبيت ، وفيه يقول ابن « الرقيات »[182] :

بلد تأمنُ الحمامةُ فيه حيثُ عاذَ الخليفة المظلوم

وكان يقال : المَحِلّ ، لاحلاله القتال في الحرم • وقال بعض الشعراء في رملة بنت الزبير :

ألا من لقلب معنّى عذل بذكر المحلة أخت المحل

وفيه وفي ابن الحنفية يقول الكميت :

وسمّي النبى بالشعب ذي الخيف طريد المحل بالاحرام

فلما عزل ابن الزبير المختار كتب اليه :

« من المختار بن أبى عبيد خليفة الوصي محمد بن علي الى عبدالله بن أسماء » ثم ملأ الكتاب بسبّه ، وخالفه ودعا الى ابن الحنفية ، وأظهر القول بامامته • ويقال كان عنده كرسي قديم قد غشّاه بالديباج وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وكان اذا حارب يضعه في « براح »[183] القتال ويقول : قاتلوا عليه فان محله فيكم محل السكينة فيبني اسرائيل • ويقال كان قد اشتراه من نجار بدرهمين • قالوا ولما خرج ابراهيم بن الاشتر الى قتال عبيد الله بن زياد دفع الى ثقاته حماما بيضا ووجههم معه وقال ان رأيتم الأمر لنا فامسكوها وان رأيتم علينا فارسلوها ثم سجع فقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فاني أجد في محكم الكتاب واليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب في صور الحمام دون السحاب •

---

(١٨٢) ابن « الرقيات » وليس الرقيات •
(١٨٣) في الاصل « براكا » والصحيح « براح » والبراح : الساحة والفناء •

فلما التقوا كانت على ابراهيم فأرسل أصحاب المختار الحمام فتصايح النـاس الملائكة الملائكة فرجعوا فانكشف اصحاب عبيدالله وقتل ابراهيم بن الاشتر عبيد الله بن زياد ،فأصل فرق الكيسانية كلها هي منسوبة اليه وهـم فـرق كثيرة في أهواء مختلفة يقيمون كلهم على القول بامامة محمد بن الحنفيـــة فمنهم من يزعم انها كانت بعد علي في الحسن ثم في الحسين ثم في محمد بن الحنفية وفي ذلك يقول « الشاعر »[184] :

علي والثلاثـة مـن بنيـه ... هم الأسباط ليس بهم خفـاء
فسبط سـبط ايمـان وبـر ... وسـبط غيبتـه كربـلاء
وسبط لا يذوق الموت حتـى ... يقود الجيش يقدمـه اللواء

ويزعمون أنه حي لا يموت مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة أسـد عن يمينه ونمر عن يساره يأتيه رزقه غدوة وعشية حتى يخرج فيمـلأ الارض عدلا كما ملئت جورا وهو القائم المهدي الذي بشرنا به وكان السيد بن[185] محمد يقول بامامته ٠ وفي ذلك يقول :

ياشعب رضوى فالمزيل لايرى ... حتى متى تخفى وأنت فقيـد

وله أيضا :

ياشعب رضوى ان فيك لطيبا ... من آل أحمد طاهرا مفقـودا
هجر الأنيس وحل طلاً بارداً ... فيه يراعي أدْربـا واسـّودا

ويقول أيضا ٠

ذكرتُ محمداً فجرت لعيني ... دموعٌ كالجمان على وسـاد
ذكرتمُغَيّباًبشِعاب رضوى ... فبتّ وما يلائمنـي مهـادى

---

(١٨٤) الشاعر ـ صاحب هذه الابيات هو كثير عزة ـ وهو كثير بن عبدالرحمن بن ابي جمعة بن الاسود بن عامر بن عويمر بن مخارق ٠٠٠ من شعراء الدولة الاموية واشتهر بكثير عزة اضافوه الى : عزة بنت جميل بن حفص من بنى حاجب وهو احد عشاق العرب وكان يقول بتناسخ الارواح/انظر مقالات الاسلاميين ٩٠ـ٩١ الملل والنحل ج١/ص ١٥٠ ٠ الاغانى ج٨/ص ١٥ ٠ وفيات الاعيان ج٣/ص ٣٦٥ ٠

(١٨٥) هو الشاعر المعروف بالسيد الحميري ٠

الكربية

والكربية زعموا ان الامامة كانت لمحمد بن الحنفية بعد علي وابطلوا امامة الحسن والحسين وقالوا انه كان صاحب رايته يوم البصرة دفعها اليه أبوه دون اخوته كما كان علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وان أباه سماه المهدي وانه لم يمت ولا يدرى أين هو وسيرجع ويملك بعد غيبته وانما قيل لهم الكربية لانهم نسبوا الى رجل كان يقال له أبو كرب وكان ضريرا ونسبوا اليه لانه خالف من قال بامامة الحسن والحسين قبل محمد بن الحنفية .

البيانية

وفرقة يقال لهم البيانية زعمت ان محمد بن الحنفية مات واوصى الى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وكان أكبر ولده وقالوا ان عبد الله قد مات وهو يرجع وانه المهدي الذي يخرج فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، وهؤلاء يقال لهم البيانية ونسبوا الى رئيس لهم كان اسمه بيان النهدي ويقال انه كان تبانا وادعى النبوة وقال بالغلو وتأول في كتاب الله عز وجل « هذا بيان للناس »[186] وقال اليّ أشار الله بهذه الآية وكتب الى محمد بن علي بن الحسين رضوان الله عليه ودعاه الى نفسه وفي كتابه اسلم تسلم ، وترتقي في سلم ، فانه لا ندري حيث يجعل الله النبوة ، فأمر محمد بن علي رسوله أن « أكل »[187] قرطاسه الذي جاء به ، وكان اسم الرسول عمر بن عفيف الازدي وقتل بيان على ذلك .

الهاشمية

زعموا أن أبا هاشم أوصى الى أخيه علي بن محمد وان عليا أوصى الى ابنه الحسن بن علي وأوصى الحسن الى ابنه علي بن الحسن فالامامة عندهم في بني محمد بن الحنفية لا تخرج الى غيرهم ومنهم يكون القائم المهدي . وهؤلاء هم الكيسانية الخلّص وهم المختارية .

---

(١٨٦) الآية ١٣٨ من سورة آل عمران .

(١٨٧) في الاصل ان لكل قرطاسه ـ والمعنى غير مستقيم ويبدو ان الكلمة « ان أكل قرطاسه » أي مزق أو أحرق الكتاب الذي جئت به .

الحـــارثية

وفرقة قالت ان أبا هاشم مات وأوصى الى عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الخارج بالكوفة وان أبا هاشم دفع الوصية الى صالح بن مدرك وأمره بحفظها حتى يبلغ عبد الله بن معاوية وذلك لانه كان صغـيرا فلما بلغ دفعها اليه • وعبد الله بن معاوية هو صاحب اصفهان الذي قتله أبو مسلم في جيشه وسموا هؤلاء الحارثية نسبوا الى رئيس لهم كان يقـال لـه عبد الله بن الحارث من أهل المدائن وغلوا في القول غلوا كبـيرا وأباحـوا المحارم وزعموا ان عبد الله بن معاوية حي لا يموت وانه مقيم بجبال اصبهان ولا يموت حتى يقوم وهو القائم المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليـه ولا يموت حتى يلي أمر الناس فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، ثم يسلمها الى رجل من بني هاشم فيموت حينئذ • وقال قوم : بل قد مات ولم يوص وليس بعده امام ، وقالوا بامامة رؤسائهم • وهم أصناف : الحارثية وهم الذين يقال لهم : الخرّم دينية •

العبـاســية

وفرقة يقال لهم العباسية : زعموا أن أبا هاشم عبد الله بن محمد أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، لانه مات عنـده بأرض الشراة بالشام ، ودفـع وصيته الى أبيـه علي بن عبد الله ، وذلك أن محمد بن علي بن عبدالله كان صغيرا عند وفاة أبي هاشم ، وأمره ان يدفعها اليه اذا أدرك فهو الوصي الامام ، وقد كان اختصم أصحاب عبد الله بن معاوية الذين ادعوا ان أبا هاشم أوصى اليه • وأصحاب محمد بن علي أن أبا هاشم أوصى الى رئيس من رؤسائهم كان يقال له : رباح ، فشهد ان أبا هاشم أوصى الى محمد بن علي وانه الامام فرجع الى القول بامامة محمد بن علي جماعـة منهم وأما الباقون فثبتوا على القول بامامـة عبد الله بن معاويـــة وافترقت العباسية ثلاث فرق فهذه احدى الفرق الثلاثة •

الرزاميــة

وفرقة زعمت ان محمد بن علي أوصى الى أبنه ابراهيم الامـام وهــو صاحب أبي مسلم الذي دعا اليه ، وقالوا بولاية أبي مسلم سـرا وادعوا له

الدلائل والمعجزات وقالوا فيه قولا عظيما • وهم أيضا ممن يعرفون بالخرمية متفرقون في ولايات أسلافهم ورؤسائهم • وكانوا ينسبون الى رئيس لهم يقال له رزّام ، فمنهم من زعم أن أبا مسلم حي لم يمت ، ودانوا بترك الفرائض ، وقالوا :الدين معرفة الامام واداء الامانة فقط ، ومنهم تشعبت فرقهم ، وادعوا ان الامامة صارت الى محمد بن علي من جهة أبي هاشم ، وأنها صارت في ولد العباس من جهة محمد بن الحنفية ، وان محمد بن الحنفية كان الامام بعد أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام وفرقة زعمت ان الامامة كانت للعباس بن عبد المطلب بعد رسول الله صلى الله عليه ، وثبتت على ولاية أسلافها سرا وكرهت أن تشهد على أسلافها بالكفر • وهو يتولون أبا مسلم ويعظمونه ، ويقولون فيه بالغلو • وكان المنصور قد دعاهم الى القول باثبات الامامة للعباس بعد رسول الله صلى الله عليه ، وقال : انما كان عمه ووارثه • وقد قال الله جل وعز « واولو الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله »[188] وان أبا بكر وعمر وعلي وكل من دخل فيها الى ان ولي أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عاصون متوثبون ، فعقد الامامة للعباس بعد النبي صلى الله عليه ، ثم لعبد الله بن العباس ، ثم لعلي بن عبد الله بن العباس ، ثم لمحمد بن عبد الله ، ثم لابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله ،وهو صاحب أبي مسلم الذي دعا اليه ، ثم لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ، ثم لابي جعفر المنصور بن عبدالله بن محمد بن علي ، ولعيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وذلك أن أبا العباس عبد الله بن محمد أوصى اليهما جميعا ، فكانوا مجتمعين على هذا ، وعلى أن الامام عيسى بن موسى بعد أبي جعفر المنصور وأجروها في ولد عيسى بن موسى ، وخطأوا أبا جعفر المنصور في عقده الخلافة لابنه المهدي ، وتصييره الأمر لعيسى بن موسى بعد المهدي ، وأنكروا ذلك وخالفوه حتى حاربه أبو مسلم وخرج عليه ، ثم هرب فتوارى حتى أخذ بعد ذلك بأمان وقتل • وانما خالفه أبو مسلم لادعائه الامامة والوصية من قبل العباس وانكاره أمر محمد بن الحنفية وأما الباقون فانهم اثبتوها للعباس بعد رسول الله صلى الله عليه وأنكروا عليه أمر المهدي بن المنصور وسموا الهريرية برئيس لهم كان يقال له أبو هريرة الدمشقي وهو

---

(١٨٨) الآية ٧٥ من سورة الأنفال •

الذي أصّل لهم هذا القول انها وراثة للعباس من النبي صلى الله عليه ، وهؤلاء يقلدهم الشيعة العباسية وفي ذلك يقول شاعر ولد العباس[189] :

أنّى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة الأعمام

ورد عليه شاعر العلوية فقال :

ما للطليق وللتراث وانما سجد الطليق مخافة الصمصام

يعني بالطليق العباس ، وذلك أنه أسر يوم بدر كافرا ويزعم هذا انه أسلم كرها مخافة السيف .

الرونـــدية

وطائفة منهم غلوا في القول وزعموا أن أبا مسلم نبي وان أبا جعفر المنصور هو الاله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا . وطلبهم أبو جعفر المنصور واستتابهم فرجع عن ذلك قوم ، وثبت عليه قوم فلم يتوبوا ، فقتلهم وصلبهم وسموا الروندية ، نسبوا الى عبد الله الرونـدي . ثم افترقـوا في ولايات أسلافهم ورؤسائهم .

الزيدية والجارودية والسـرحوبية

قالت الزيدية من دعا الى طاعة الله من آل محمد فهو امـام مفتـرض الطاعة ، وكان علي اماما حين دعا الى نفسه ، ثم الحسين ، ثم زيـد بن علي ، المقتول بالكوفة ، ثم يحيي بن زيد المقتول بخراسان ، ثم عيسى بن زيد ، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب الخارج بالمدينة المقتول بها ، وكان ابراهيم أخوه خرج بالبصرة ودعا الى امامة أخيه محمـد فقتله أبو جعفر المنصور ، فهؤلاء عندهم هم الائمة ، وكان من ظهـر من آل الحسن والحسين من السبطين جميعا دون سائر الناس ، فهو عندهم امام حق وجائز له أن يخرج ويدعو الى نفسه ويدعى الامامة ، وهم كلهم شرع ، سواء من قام منهم فهوامام مفترض الطاعة على أهل بيته وعلى جميع المسلمين ، ومن

---

(١٨٩) هو مروان بن سليمـان بن يحيى بن أبى حفصـة ، أنظر الحور العين ص ١٥٣ .

قعد عنه وهو مستطيع فهو كافر مشرك ، ومن ادعى الامامة وهو قاعد في بيته غير شاهر لسيفه فهو كافر ، ومن قال بامامته وهو قاعد في بيته أو قاعد عن امام يقول بامامته وهو مستطيع فهو كافر ، مشرك ، وهؤلاء يقال لهم الزيدية •

الجارودية ، وانما سموا زيدية لانهم نسبوا الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ، وهو اول من قال بهذا القول • وقيل لهم الجارودية لانهم نسبوا الى رئيس لهم كان يقال له ابو الجارود • وقيل لهم سرحوبية لان ابا الجارود كان مكفوف البصر ، وكان ابو جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه لقّب ابا الجارود بسرحوب • وقال ان سرحوب شيطان أعمى يسكن البحر ، وكان ابو الجارود يقول : ان عليا افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولى الناس بالامامة • ومن خالفه وتقدمه وادعى الامامة عليه هو كافر ، وهم اصحاب فضيل الرسان ، وأبى خالد الواسطي ، وهم مختلفون في الاحكام والسنن • وذلك ان بعضهم زعم ان من كان من ولد الحسن والحسين فعلمه مثل علم محمد صلى الله عليه قبل ان يتعلم، وان كان في الحرف كراهية ان يلزموا الامامة بعضهم دون بعض ، ومنهم من زعم ان العلم مشترك فيهم وفي غيرهم جائز ان يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العوام وربما لم يوجد عندهم ما يحتاج اليه ووجد عند غيرهم فجائز للناس ان يأخذوا غيره •

العجلية والبترية

العجلية نسبوا الى هارون بن سعيد العجلي وكانت له مقالة • وفرقة يقال لهم البترية قالوا ان عليا افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه واولى الناس « بالامامة » (١٩٠) • واجازوا خلافة ابي بكر وعمر وقالوا ان عليا سلّم الامر لهما ورضى بذلك وبايعهما طائعا غير مكره وترك حقه فنحن راضون لما رضي ، مسلمون لما سلم ، لا يحل لنا غير ذلك في تسليم علي ورضاه ، ولو لم يرض علي لكان ابو بكر هالكا مشركا كافرا • وهم الذين قالوا بالفاضل والمفضول ، واجازوا امامة المفضول على الفاضل وقالوا علي هو الامام بعد

---

(١٩٠) في الاصل « واولى الناس بالامة » وقد يكون « اولى الناس بالامامة » — ويجوز المعنى الاول •

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم هي في ولد الحسن والحسين . من خرج وشهر سيفه فهو امام وهي فيهم خاصة دون سائر الناس ، واجازوا جميعا خلافة ابي بكر وعمر وقال قوم منهم كانت خلافتهما خطأ ولكن لا يستحقان اسم الفسق لتسليم علي لهما ، ومنهم من تبرأ من عثمان وشهد عليه بالكفر ، ومنهم من وقف فيه . واول من قال بالفاضل والمفضول على ما روى رجل من فقهائهم ، كان يقال له الحسن بن صالح بن حي . فلما بلغ زيد بن علي قوله واتباع الناس اياه قال : بترتم امرنا بتر الله اعماركم فسموا البترية بذلك . ومنهم سليمان بن جرير وهو الذي قال ان ائمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما على كذب ابدا ، القول بالبداء ، واجازة التقية . وبايعهم على القول بالفاضل والمفضول قوم من المعتزلة منهم جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وكثير النواء وهو من اصحاب الحديث .

المغيرية

وقالت المغيرية الامام علي بن ابي طالب بعد رسول الله صلى الله عليه ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب الخارج بالمدينة . وزعموا انه حي لم يمت ، ولم يقتل ، وانه القائم المهدي ، وانه مقيم بجبل يقال له الطمية ، وهو الجبل الذي بطريق مكة بحذاء الحاجر عن يسار الذاهب الى مكة وهو جبل كبير فهم يزعمون انه الامام بعد محمد بن عبدالله حتى يخرج فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . وسموا المغيرية نسبة الى المغيرة بن سعيد ، وكان مولى لخالد بن عبدالله القسري . وكان يدعي ان ابا جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام اوصى اليه . وان محمد بن عبدالله بن الحسن اوصى اليه . وكان يدعي لنفسه النبوة والامامة ويقول بالغلو ويزعم ان جبريل عليه السلام يأتيه بالوحي ، وانه يحيي الموتى واخذه خالد بن عبدالله فقتله وصلبه . ومن المغيرية قوم يزعمون ان محمد بن عبدالله قد مات وانها في ولده . ويقال ان المغيرة هذا هو الذي لقب الرافضة بهذا اللقب لما مات ابو جعفر محمد بن علي وحين اظهر المغيرة هذه المقالة برىء منه جماعة من اصحابه ، ومالوا الى القول بامامة جعفر بن محمد رضوان الله عليه ورفضوا المغيرة فسماهم الرافضة .

الغــلاة

والغلاة فرق كثيرة مختلفون في أئمتهم ورؤسائهم . واصل الغلو الارتفاع. يقال غلا يغلو في القول : اذا ارتفع عن الحد ، وقال فوق الحد وجاوزه ، وبعّد الى الباطل . قال الله عز وجل « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله [(١٩١)] » الى قولــه « انما الله اله واحد سبحانه » وانما خاطبهم الله بذلك لانهم غلوا في القــول وقالوا ان الله ثالث ثلاثة فقال الله عز وجل « ولا تقولوا ثلاثة » والغلو كمــا قلنا هو الارتفاع ، يقال غلا في الدين غلوا اذا ارتفع عن المقدار ، فقال الامام هو نبي ، والنبي اله . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ويقال غــلا السعر غلاء اذا ارتفع وزاد ، وغلا الرجل في الطول غلوا . قال الشاعر :

لم يلتفت للداتهــا   ومضت على غلوائهــا [(١٩٢)]

يصف امرأة وحسن ثباتها اي انها نمت في الطول قبل اوانه ، وقبل ان تبلغ لداتها . واللدات الاقران والاتراب . ويقال للجارية اذا شبت شبابا حســنا وجازت لداتها غلا بها عظم وقال الشاعر[(١٩٣)] :

خمصانة قلق موشحهــا   رؤد الشباب غلا بها عظم

ويقال غلا في عمله اذا افرط . وانشد :

فــرع فصــيم غلا صوابعــه

وقال ذو الرمة [(١٩٤)] :

وما زال يغلو حب ميّة عندنا   ويزداد حتى لم نجد من يزيدها

---

(١٩١) الآية ١٧١ من سورة النساء .

(١٩٢) هو ابن الرقيات . انظر ديوانه ص١٧٦ .

(١٩٣) أنظر : ابن منظور لســان العرب ج ٩ / ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠ ونسبــه الى الحارث بن خالد .

(١٩٤) ديوانه ص ١٦٤ طبع كمبردج ١٩١٩م بتحقيق ماكارتني .

وروى الاصمعي والاخفش بيت لبيد [195] :

فغلا فروع الايهقان واطفلت بالجهلتين ظباؤهـا ونعامهـا

قالا : غلا ارتفع ، ويقال : غلا السهم اذا جاوز الهدف ، يغلـو غلـوا . والغالي في الرمي هو الذي يستفرغ مجهوده في النزع ولا يرمي هـدفا ولا رمية . ويقال غلا بالسهم غلوا ، وغلت القدر غليانا ، وانما سمي الغالي لانه جاوز المقدار فقال في النبي انه اله ، كما قالت النصارى في المسيح بربوبيته . وفي حديث علي عليه السلام قال : يهلك في اثنان ؛ محب غال ومفرط قال .

وفي حديث ابي موسى انه قال : من تعظيم جلال الله اكرام ذي الشيبـة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه ، واكرام ذي السلطان المقسط . قال ابو عبيدة : الجافي عنه هو المضيّع لحدوده . والغـالي فيه ، المتعمق المفرط حتى يتعداه الى غيره . وقال : وهو عندي مثل رأي الخوارج واشباههم من اهل الاهواء فانهم غلوا في تأويله حتى كفّروا الناس بالـذنوب فخرجوا بذلك من الدين . ونعتهم بيّن في حديث النبي صلى الله عليه انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فليس يكون المروق الا مـن شدة الدخول في الرمية حتى يبعد الى الوجه الآخر بانها منها ، وكذلك خروج الخوارج من الدين ، وهكذا كل من « عمق » [196] في الامور . وقال في قول الله عز وجل « لا تغلوا في دينكم » يقال غلا يغلو غلوا وهو التعمق في الدين والافراط حتى يخرج الى ما ليس فيه قال : ومما يبين ذلك حديث النبي صلى الله عليه وآله حين أتي بحصيات كحصى الحذف غداة جمع فقال بامثال هؤلاء واياكم والغلو في الدين . هذا قول ابى عبيدة ، فالغلو على ما قلنا هو الخروج عن الحد وتجاوز المقدار . وانشد ابو عبيدة :

الا كناشرة الذي صنعتم كالغصن في غلوائه المتنبت

فالقرآن والحديث واللغة تدل على ان الغلو هو التجاوز عن الحد والمقدار فكل من قال بنبوة من ليس بنبي ، وبالاهية البشر ، وبامامة من ليس بامـام

(١٩٥) ديوانه ص ٢٨٩ .
(١٩٦) في الاصل غمص : والاصح عمق أي تعمق في الشيء وذهب فيه بعيدا .

فقد استحق اسم الغلو . والغلاة هم في كل شريعة من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين . وهم اصناف كثيرة ، واكثر الغلاة من اهل الذمة هم في النصارى ، واكثرهم في هذه الامة من الشيعة . ومن اجل ذلك وقع شبه الرافضة بالنصارى لغلو في القول في امير المؤمنين علي عليه‌السلام وفي الائمة من بعده . ويقال : ان « اول » (197) من اظهر القول بالغلو في هذه الامة عبدالله بن سبأ وهو الذي قال في علي بالغيبة وقال بالاهيته تعالى الله .

السبأية

وقيل لفرقة من الغلاة السبأية نسبوا الى عبدالله بن سبأ . وكان هو ومن قال بقوله يزعمون ان عليا هو الاله ، وانه يحيي الموتى . وادعوا غيبته بعد موته ووقفوا عليه . وقالوا هو القائم الذي يخرج ، وانه حي لم يمت ، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ، ويملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا، وهي اول فرقة قالت بالوقف .

ويقال ان عبدالله بن سبأ كان يهوديا فاسلم ، ووالى عليا . وانه كان يقول في اليهودية في يوشع بن نون بعد موسى مثل ما قال في علي بعد رسول الله صلى الله عليه . ويقال هو اول من اظهر القول بالفرض بامامة علي ، وقد انقرضت السبأية الذين قالوا بالوقف على علي ، فليس احد اليوم يعرف بهذا القول . ومن السبأية انشعبت اصناف الغلاة وتفرقوا في المقالات ، ومنهم اصناف الكيسانية . ومن الغلاة البيانية والنهدية اصحاب صائد النهدي ، واصحاب بيان التبّان . والهاشمية من قال بابي هاشم . والحارثية اصحاب عبدالله بن الحارث . ومن قال بقول عبدالله بن معاوية صاحب اصبهان بالغلو. والعباسية الذين قالوا بولد العباس . والرزامية اصحاب رزام . والهريرية ، والروندية . هؤلاء كلهم غلاة منهم انشعبت اصناف الغلاة الكيسانيةوهم اهل القول بالتناسخ . وهم في بلدان متفرقة ولهم في كل بلد « لقب » (198) يلقبون

---

(197) ويقال ان ـ في الاصل والسياق والمعلومات التاريخية تقتضي اضافة « أول » حيث أن المؤرخين يرون ان عبدالله بن سبأ أول من اظهر القول بالغلو .

(198) لقب : ليست في الاصل وان وضعها في مكانها ينسجم مع المعنى ويقتضيه السياق .

به ، وهم يسمون ببلاد اصبهان الخرمية والكوذلية وبالري وغيرها من ارض الجبال المزادكة والسنباذية وبالماهين المحمرة وباذربيجان الدقولية وهم ألقاب كثيرة ، ومذاهب مختلفة ينتسبون الى رؤسائهم • ومن الغلاة السلمانية وهم الذين قالوا بنبوة سلمان(١٩٩) وقوم قالوا بالاهيته تعالى الله عن ذلك فمنهم من وقف ومنهم من قال بغيره بعده وتأولوا في قول الله عز وجل « واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا (٢٠٠) » قالوا انما هو سلمان وانما كانت الكتابة في المصحف الميم ملصقة بالنون بلا ألف وهو سلمن كماكتب لقمن وعثمن بلا ألف• وغلا فيه قوم حتى فضلوه على امير المؤمنين علي بن أبي طالب •

ومن الغلاة الخطابية ابو الخطاب ومن قال بقوله في الامامة بالسبق من علي بن ابي طالب الى جعفر بن محمد ، ومن نزل الى اسماعيل ومحمد بن اسماعيل •

والبزيغية اصحاب بزيغ بن « موسى » (٢٠١) كان يقول : ابو الخطاب هو نبي مرسل ارسله جعفر بن محمد ، وادعى الإلاهية جعفر ، وزعم ان ابا الخطاب ارسل بزيغا وادعى النبوة •

المعمرية

ينسبون الى رجل من رؤسائهم يقال له معمر وكان يزعم ان ابا جعفر وابا الخطاب الهان ، تعالى الله عما يقولون ، ويزعم انهما الها السماء ، وان معمرا اله الارض وهو يعرف فضل اله السماء • ويقول بالهية ابي طالب وعبدالمطلب ، وبالهية محمد وعلي عز الله وجل •

ومن غلاة الشيعة المغيرية اصحاب المغيرة بن سعيد • كانوا يقولون في الامامة بالغلو والوقف • ومنهم الناووسية الذين قالوا بالوقف على جعفر وغلوا فيه• ومنهم المطورة الذين وقفوا على موسى وغلو في القول وفي الائمة• ومنهم القطعية الذين قالوا بنسق الامامة الى الحسن بن علي العسكري ، والذين

---

(١٩٩) أي : سلمان الفارسي •
(٢٠٠) الآية ٤٥ من سورة الزخرف ••
(٢٠١) أنظر الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٧ •

قالوا بجعفر بن علي العسكري في كل هذه الفرق قوم قالوا بالغلو في الائمة وادعوا لهم الالهية . وزعموا ان الائمة حجب ومقامات ، وان الآلهية تحل في هذه الاجسام وتنتقل من جسم الى جسم ، وقالوا بالتناسخ .

العلبائية والعينية والميمية والمخمسة

ومنهم قوم يقال لهم العلبائية وهم ينسبون الى رئيس لهم كان يقال له العلباء بن ذراع الدوسي . وقال قوم هو أسدي ، وكان يفضل عليا على محمد صلى الله عليه ويزعم انه الاله الذي ارسل محمدا . وكان يقول بذم محمد . لعن الله العلبائية — ويزعم ان عليا ارسل محمدا ليدعو اليه فدعا الى نفسه .

والعينية الذين قالوا بآلهية علي ومحمد ، ويقدمون عليا على محمد ويفضلونه عليه .

والميمية يقولون بالهيتهما جميعا ويفضلون محمدا على علي .

والمخمسة وهم الذين زعموا ان محمدا ، وعليا ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، خمستهم شيء واحد . والروح حالّة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر . وزعموا ان فاطمة لم تكن امرأة . وكرهوا ان يقولوا فاطمة بالتأنيث ، وقالوا فاطم في ذلك يقول بعض شعرائهم :

توليت بعد الله في الدين خمسة   نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

أصناف التناسخ

اصناف الغلاة كلهم متفقون على القول بالتناسخ على اختلاف مقالاتهم في الرؤساء ، ومع تباينهم في المذاهب والاديان من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين . وكذلك قوم من الثنوية ومن الفلاسفة قالوا ان الارواح تنسخ في اربعة اجناس : نسوخ ، ومسوخ ، وفسوخ ، ورسوخ .

فاما النسوخ فما ينسخ في اجساد الآدميين ، روح تنقل من بدن انسان الى بدن انسان آخر فهذا هو النسخ .

والمسوخ ما ينقل من ارواح الآدميين في البهائم والسباع والطير فهذا هو المسخ . والفسوخ ما يمسخ في دواب الارض ، ودواب الماء من الحرشات ، مثل الحيات والعقارب والخنافس والدود والسراطين والسلاحف فهذا هو الفسخ .

والرسوخ ما يمسخ في انواع الشجر والنبات فهذا هو الرسخ . فزعموا ان الناس يمسخون في هذه الاصناف كلها على قدر مراتبهم ومقدار طبقاتهم ولا يزالون يكرون في الاجساد من جسد الى جسد حتى يذوقوا وبال ما اكتسبوا في هذا البدن الآدمي . وادعوا لرؤسائهم انهم انبياء ورسل وآلهة . وقالوا بالادوار والكرّات في هذه الدار ، وزعموا ان لا دار غيرها .

والقيامة عندهم خروج الروح من بدن الى بدن آخر ، ان خير فخير وان شر فشر ، مسرورون في هذه الابدان منعمون فيها ، والآخرون معذبون متعوبون . فالمنعم في الابدان الحسنة الانسية المتنعمة . والمعذبون في الاجسام الردية المشوهة من الكلاب والقردة والخنازير والحيات والعقارب متنقلون فيها أبد الآباد تكون فيها حتى يذوقوا وبال ما اكتسبوا . فاذا ما يمسخون في دودة صغيرة مقدار ما تدخل في سم الابرة يردون الى الآدمية . وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل « حتى يلج الجمل في سم الخياط [٢٠٢] » ، ولهم في هذا اقاويل

---

(٢٠٢) الآية ٤٠ من سورة الاعراف .

مختلفة على قدر اختلافهم في النحل والاديان • فهذه عندهم الجنة والنار • والاجساد عندهم بمنزلة الثياب التي يلبسها الانسان فتبلى وتطرح • وتأولوا في ذلك ايضا قول الله عز وجل « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب [٢٠٣] » ، وقوله « في اي صورة ما شاء ركبك [٢٠٤] » ، وقوله « وننشؤكم في ما لا تعلمون [٢٠٥] » ، وقوله « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم [٢٠٦] » ، فزعموا ان هذا الخلق من الحيوان هم الامم من الناس الذين كروا في المسوخية •

ثم لهم مقالات كثيرة يختلفون فيها ، فمنهم من زعم انهم يتعارفون في الاجساد في المسوخية • ومنهم من يزعم ان من يمسخ في اجساد الانس ذكر ما كان فيه من امر المسوخية • ومنهم من يزعم ان الدور الذي يكر فيه مقدار ألف سنة • ومنهم من يزعم انه عشرة آلاف سنة • ومنهم من زعم انه اذا صفى وانتقل من هذا الجسد طار فصار مع الملائكة ، وهؤلاء يقال لهم الطيارة • ولهم دعاوى كثيرة ومقالات مختلفة واهواء متشتتة ، ونعوذ بالله من العمى والضلال •

ويتعلق كثير من اهل التناسخ بحديث النبي صلى الله عليه : كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل • قالوا : قد مسخ قوم من بني اسرائيل قردة وخنازير ، وكذلك يمسخ من يستحق ذلك في هذه الامة واذا كان الامر على ما يزعمون فانه يجب ان يمسخ في هذه الامة قوم في عصر واحد كما كان في بني اسرائيل •

وروى ابو عبيدة باسناد له عن ابي مالك في قول الله عز وجل « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم [٢٠٧] » • قال لعنوا على لسان داود فجعلوا قردة ، ولعنوا على لسان عيسى فجعلوا خنازير •

وروى عن مجاهد انه قال : القردة والخنازير مسخت من يهرد • وعن ابن عباس وغيره في هذا روايات كثيرة • يروى عن الزهري انه قال : بلغنا انه

(٢٠٣) الآية ٥٦ من سورة النساء •
(٢٠٤) الآية ٨ من سورة الانفطار •
(٢٠٥) الآية ٦١ من سورة الواقعة •
(٢٠٦) الآية ٣٨ من سورة الانعام •
(٢٠٧) الآية ٧٨ سورة المائدة •

مسخ من بني اسرائيل من الآدميين عشرون صنفا ، منهم القردة ، والخنازير ، والضب ، والدب ، والدعموص ، والعقرب ، والفيل ، والكلب ، والزنبور ، والقنفذ ، والزهرة ، وسهيل ، والخرتيت ، وابن عرس ، والببغاء ، والفأرة ، وابن مقرض ، والعقعق ، والبطاه وهي العنكبوت ، والخفاش •

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله فيه اخبار كثيرة • وروت الشيعة عن الائمة صلوات الله عليهم فيه اخبار كثيرة غير ان التأويل فيه غير ما ذهب اليه اصحاب التناسخ الذين جعلوا اصناف الحيوانات كلها مسوخا • والقــول في هذا يكثر •

أصحاب الرجعـة

قال بالرجعة قوم من الكيسانية وهم اول من احدثوا القول بالرجعـة ، وكان اصله من السبأية الذين قالوا برجعة امير المؤمنين ، ثم خرج ذلك القول في فرقهم الذين قالوا بالوقف على الائمة من الكيسانية وغيرهم ولهم في ذلـك اخبار يروونها عن اسلافهم وقال فيهم شعراؤهم • قال السـيد وكان يقـول بالرجعــة :

واسماعيل [٢٠٨] يزعم غير شك ... مقالتـــه مقالـــة غـير آل
فان الله يبعث غـير شـك ... زجـالا هامهـــم فلق بوال
الى الدنيـا واسماعيل يأتـي ... عظيم في المقـال من الجبـال
وأمـر اللـه اصغره عظيـم ... تعالى ذو المعـارج والجـلال
وامتنـا على ناموس موسـى ... كحذو النعل في قذذ النبـال

يعني به قول النبي صلى الله عليه وآله « حذو النعل بالنعل ، والقـذة بالقذة » قالت المطورة بذلك وكذلك القطعية وهم الذين يشددون فيه الا انه قد ثبتوا عليه وشددوا فيه ، حتى رووا فيه عن جعفر بن محمد صلوات اللهعليه انه قال من لم يتمتع بمتعتنا ولم يؤمن برجعتنا فليس منا •

واحتجوا بآيات من القرآن منها قوله عز وجل « ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين [٢٠٩] » وبغيرها • ورووا فيه اخبارا كثيرة واحتجوا فيه بان النبي صلى الله عليه وآله قال « كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعـل والقذة بالقذة » وان الله احيا قوما بعد الموت في بني اسرائيل مثل قوم موسى حيث صعقوا ، وقوم حزقيل حيث يقول : « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم [٢١٠] » • وبقصة اصحاب

---

(٢٠٨) اسماعيل : اسم الشاعر المعروف بالسيد الحميري وهـو اسـماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة •
(٢٠٩) الآية ١١ من سورة غافر •
(٢١٠) الآية ٢٤٣ من سورة البقرة •

الكهف حيث يقول : « وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم (٢١١) » • وفي قصة عزير عليه السلام حيث يقول : « فأماته الله مائة عام ثم بعثه »(٢١٢) • قالوا : يجب ان يحيي الله في هذه الامة كما احيا فيما مضى من الامم • وقالوا ان الله يبعث للمؤمنين من هذه الامة جميع الامم حتى ان الانبياء صلوات الله عليهم الذين سلفوا يوم ظهور القائم لينصروه ولينتقموا به من اعدائه ثم يموتون بعد ذلك ، ويبعثون يوم القيامة ايضا • فهذا اصل قولهم في الرجعة • ولهم في ذلك روايات واحتجاجات يطول الكتاب « بها » (٢١٣) وقد افردنا لذكرها والرد عليها بالحجج والبراهين كتابا • فمن احب الوقوف عليه نظر فيه •

ومعنى الرجعة الرجوع مرة ، اذا قلت بفتح الراء فهو اسم الفعل رجع رجعة ، كما تقول : ركب ركبة واحدة ، وهو حسن الركبة والجلسة من الركوب والجلوس • والرجعة في الطلاق هي المراجعة • وفلان يملك الرجعة اي المراجعة • وراجعها رجعة بفتح الراء أي القطعة كما قالوا الرشدة والزنية فهذه ألقاب الفرق في الاسلام وتركنا الاستقصاء في ذكر مقالتهم ولم يكن القصد الى ذلك بكتابنا هذا بل اردنا ان نذكر ألقابهم والعلة فيها ليكون ذلك رسما في هذا الكتاب • ومن هذه الفرق التي ذكرنا ألقابها فرق كثيرة قد انقرضت ومنها قوم بقوا على مذاهبهم وحدثت ايضا فرق كثيرة ليست لها ألقاب مشهورة ونسأل الله تعالى التوفيق لما يرضاه والقبول الى الجماعة التي لا تفرق فيها ولا خلاف معها والاعتصام بدينه القيم من الفتنة برحمته •

---

(٢١١) الآية ١٩ من سورة الكهف •
(٢١٢) الآية ٢٥٩ من سورة البقرة •
(٢١٣) « بها » ليست في المخطوطة : اضيفت ليستقيم السياق •

الفهارس

تنبيـــه

يرجى مراعاة ما يأتي :

١ ـ في فهرسي الاعلام والملل والعقائد حصرت جميع الاسماء التي وردت في كتابي وكتاب الزينة (الملحق به) .

٢ ـ عقدت الفهارس الاخرى على محتوى كتاب الزينة فقط .



الأعـــلام

اللغــــة

الشواهد القرآنية

آيـات ومقاطع

الأحاديث والأخبار المأثورة

الامثـال

الايـام

الامكنــة

الشعر

الأبيات الكاملة

الشعر

الشعر

انصاف الابيات

الملـل والعقـائد

المحتوى





سعر الكتاب ٣٫٢٥٠ دينارا

دار واسط للنشر

لندن -- بغداد

الطبعة الثالثة

١٩٨٨

رقم الايداع 680 / 1972

طبع الدار العربية - بغداد

الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية

تأليف الدكتور عبد الله سلوم السامرائي